القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة التاسعة والعشرون العدد 9155 الأحد 15 نيسان (ابريل) 2018 – 29 رجب 1439 هـ
Volume 29 - Issue 9155 Sunday 15 April 2018

حريات: أسرى فلسطين في سجون الاحتلال

سعيد يقطين: انهيار أسطورتي قضية الصحراء

قرطاج التونسية: أيقونة المتوسط وهوية البلد

لماذا تخشى إسرائيل مسيرة العودة السلمية؟ 14

الاحتلال الأمريكي للعراق: الحصاد المر 26

غزيات يشاركن أزواجهن بمشغولات منزلية 40

الضربة الغربية: عقاب معلَن محدود

وجهت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا ضربات صاروخية منسقة ضد أهداف تابعة للنظام داخل مواقع مختلفة في سوريا، قالت الدول الثلاث إنها تستهدف ترسانة النظام من الأسلحة الكيميائية ومنشآت تصنيعها، وذلك عقاباً على استخدام هذه الأسلحة في قصف مدينة دوما الأسبوع الماضي. ومن الواضح أن النظام استفاد من مهلة التأجيل التي أعقبت التلويح بالضربة ونجح في تفادي بعض الأذى، كذلك بدا جلياً أن واشنطن وباريس ولندن تحاشت المساس بأهداف روسية أو إيرانية على الأرض، وأكدت بالتالي أن الضربة محدودة الأهداف ولا تتقصد التصعيد أو تغيير المعادلات على الأرض، ولا تتجاوز العقاب المعلن.

(ملف الحدث، ص 2 ـ 13)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

حدث الأسبوع

ضربة عسكرية محدودة

منهل باريش

ما أن أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بدء الضربة الجوية المحتملة ضد مواقع النظام السوري، فجر أمس السبت، حتى بدأت عملية مشتركة أمريكية فرنسية بريطانية، وقصفت الدول الثلاث أماكن يشتبه في كونها تحتوي سلاحا كيميائيا في قلب العاصمة دمشق وجوارها، إضافة لموقع غربي مدينة حمص في وسط البلاد.

ووصف قائد أركان الجيش الأمريكي الجنرال جوزيف دانفورد العملية بـ «ضربات محكمة» استهدفت ثلاثة أهداف هي:

أولاً– مركز البحوث العلمية في منطقة مساكن برزة، والتي تضم مختبرات بحوث السلاح الكيميائي الأساسية التابعة لوزارة الدفاع السورية.

ثانيا– منشأة تصنيع وتخزين أسلحة كيميائية على ضفة بحيرة قطينة غربي حمص وتعتبر أبرز مختبرات تصنيع غاز السارين لدى النظام السوري. إضافة إلى مستودعات جمرايا في منطقة الهامة غربي العاصمة دمشق والتي تعتبر امتدادا لجبل قاسيون من الجهة الشرقية.

ثالثا– مراكز القيادة والتحكم في اللواء 105 حرس جمهوري، مطار المزة العسكري، مبنى القيادة الإيرانية في مطار دمشق الدولي، مقر قيادة في اللواء 41 مدرع في الفرقة الرابعة.

وشاركت دول التحالف الثلاثي في العملية العسكرية بشكل متباين، فرنسا من جهتها شاركت في الضربة الجوية بطائرات مقاتلة من طراز «ميراج 2000» و«رافال» (دون تحديد عدد الطائرات المشاركة) ومساندة من قوة بحرية مكونة من أربع فرقاطات، واحدة تابعة للدفاع الجوي وثلاث مختلفة الاختصاص والمهام. كذلك تأكد مشاركة سلاح الجو الفرنسي بنظام التحكم والانذار المبكر والمعروف باسم «أواكس».

واشتركت أربع طائرات مقاتلة بريطانية نوع «تورنادو» انطلقت من قاعدتها الجوية «أكروتيري» في قبرص اليونانية وأطلقت القاذفات صواريخ نوع «ستورم شادو» على منشأة قطينة والتي تبعد مسافة 24 كم غرب مدينة حمص.

فيما يبدو حسب المعلومات الأولية أن أمريكا قصفت الأهداف بصواريخ طوافة نوع توماهوك من سفينة حربية متمركزة في البحر الأحمر، وكذلك استخدمت الأمريكية أكثر من 120 صاروخا، حسب وزارة الدفاع الأمريكية البنتاغون. وهو ما صرحت به وزارة الدفاع الأمريكية، رابطة بينه وبين قصفها على مطار الشعيرات في 7 ابريل/ نيسان عام 2017، الذي استهدفته بـ59 صاروخا «نحن نتعرض للتهديد، وحذرنا من أن مثل هذه التصرفات لن تمر دون تبعات».

وأشارت وزارة الدفاع الروسية إلى أن المضادات الجوية أسقطت عددا من الصواريخ المهاجمة في حمص وفوق مطار دمشق الدولي، وهو ما نفاه البنتاغون في مؤتمر صحافي، بعد ظهر أمس السبت. معتبرا أن «الدفاعات الجوية للنظام أطلقت أربعين صاروخا بعد سقوط آخر صاروخ لنا على الهدف وانتهاء العملية».

منع الاشتباك

وتطبيقاً لمنع الاتفاق منع الاشتباك، وكما رجح، فان البنتاغون أبلغ وزارة الدفاع الروسية عن ساعة بدء الهجوم الجوي عبر الخط الساخن مع حميميم الخاص بشأن التنسيق الجوي في السماء السورية بين واشنطن وموسكو. وقالت مصادر مقربة من حميميم لـ«القدس العربي» أن أمريكا أخطرت روسيا قبل بدء العملية بنحو 40 دقيقة فقط، أن المقاتلات الأمريكية ستدخل المنطقة تجنبا لأي احتكاك أو خطأ، وهو ما يعني عملياً تحذير موسكو من بقاء أي من قاذفاتها في الأجواء السورية خشية وقوع أي خطأ محتمل بين الصواريخ الأمريكية والقاذفات الروسية.

رد الفعل الروسي

لعل أبرز ردود الفعل الروسية السياسية كان التحذير الذي أطلقه السفير الروسي في واشنطن، أناتولي انطونيوف ان «هذه التصرفات ستكون لها عواقب»، وأضاف انه «ليس من المقبول إهانة الرئيس الروسي». وقال في تغريدة له في حسابه على تويتر: «نحن نتعرض للتهديد، وحذرنا من أن مثل هذه التصرفات لن تمر دون تبعات».

أحد أفراد أمن النظام يتفقد موقع القصف

ضد «كيميائي الأسد»

انسحاب الطيران الحربي الروسي من الأجواء سهل المهمة أمريكا وحليفيها بريطانيا وفرنسا، حي أنجزت العملية كاملة خلال خمسين دقيقة، دون أي أخطاء تذكر، دمر خلالها الحلفاء الأهداف الثلاثة الرئيسية المتمثلة بقيادة اللواء 105 حرس جمهوري والبحوث العلمية في مساكن برزة، إضافة لمنشأة غاز السارين بالقرب من بحيرة قطنية غرب حمص. وكذلك استهدفت صواريخ «التوماهوك» المجنحة عددا من المواقع الأخرى بضربات مدمرة.

الصور التي بثها التلفزيون الرسمي لدى النظام السوري أظهرت حجم الدمار الهائل في المباني الثلاث ضمن إدارة البحوث العلمية في منطقة مساكن برزة، إذ قامت القوات المهاجمة بتدميرها بشكل نهائي، هي والمنشأة الكيميائية في منطقة بحيرة قطينة والتي حفرت في باطن الأرض على شكل نفق طويل، كما أظهرت صور وزارة الدفاع الأمريكية.

ماذا بعد الضربة الأمريكية

من الواضح أن قرار الضربة الجوية على مواقع تطوير وخزن السلاح الكيميائي اتخذت بسرعة، فرغم كونها استهدفت مخبر التطوير ومعمل التصنيع الرئيس، إلا أن ذلك لا يعني خسارة النظام السوري لغاز السارين أو باقي أصناف السلاح الكيميائي، فالنظام الذي قام بتسليم 1400 كيلو غرام إلى منظمة حظر انتشار السلاح الكيميائي عام 2014 ما زال يحتفظ بكميات كبيرة من السلاح الكيميائي مكنته من استخدامه أكثر من 50 مرة حسب تقارير حقوقية مستقلة تقاطعت مع معلومات لدى البيت الأبيض منذ قصف الغوطة الشرقية منتصف عام 2013.

الضربة المحدودة تؤشر إلى أن أمريكا لم تتبن استراتيجية مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي جون بولتون تجاه إيران، حتى اللحظة، وما فكرت فيه الإدارة الأمريكية هي عملية «ردع سريع» بعد التصريحات النارية وحرب تويتر التي شنها الرئيس ترامب على رئيس النظام السوري بشار وطالت الاتهامات كل من روسيا وإيران ولم يدخر ترامب جهدا ليتهم بوتين شخصيا انه وراء الهجوم.

ان فكرة الردع ذات زمن محدود سرعان ما ينتهي في الحسابات الإقليمية وفي بلد تسيطر الحرب عليه منذ سبعة أعوام، بل ان فكرة الردع بالنسبة للأسد وحلفائه ستنسى بعد أيام كما هي ردود أفعال النظام على قوة الردع التي استخدمها ترامب إثر مجزرة الكيميائي في خان شيخون. إذ عاد بعدها لاستخدام الكيميائي مجدداً.

في المقابل، يبدو أن الإدارة الأمريكية فضلت عدم استهداف القوات الإيرانية بشكل مباشر وتركت ذلك لإسرائيل التي أغارت على مطار التياس الحربي «التيفور» وقتلت خمسة من الجنرالات الإيرانيين.

خبراء في الشؤون الأمنية والعسكرية وجهوا نصائح لعدم ازدواجية الضربة والتركيز على ما يفرق الحلفاء في سوريا وما يثير الشكوك بينهم عندما يستهدف طرف ويستثنى الآخرون. فضربة مزدوجة ستجعل النظام أكثر التحاما وقربا من إيران وحزب الله. وهي النصيحة التي طبقها التحالف الدولي الثلاثي من أجل عدم استثارة روسيا ودفع الأمور معها إلى ما لا يحمد عقباه.

الضربة الغربية: وقائع مسرح معلَن

صبحي حديدي

سوف يمضي بعض الوقت قبل أن تتضح تماماً لائحة المواقع التي استهدفتها الضربة الثلاثية، الأمريكية/ الفرنسية/ البريطانية، في سوريا فجر أمس؛ وما إذا كانت قد اقتصرت على منشآت وترسانة الأسلحة الكيميائية للنظام السوري كما تقول بيانات الدول الثلاث، أم شملت أيضاً بعض وحدات الحرس الجمهوري والفرقة الرابعة كما أشارت بعض التقارير.

الأرجح، وفق المنطق الأبسط لقراءة هذه الضربة، أنها صُمّمت لكي تكون محدودة النطاق، ومنحصرة بالفعل في خدمة رأي عامّ داخلي، أوروبي وأمريكي، رغب في معاقبة النظام السوري على استخدام الكلور، والسارين حسب تقديرات متقاطعة، في مدينة دوما ومواقع أخرى قبلها على امتداد الغوطة الشرقية. والرسالة هنا لم تكن جلية تماماً، ومحددة ودقيقة، فحسب؛ بل كانت معلنة منذ البدء، وتعاقب تكرار إعلانها طيلة أسبوع أعقب مجزرة دوما وابتداء خطاب التلويح بالضربة. بهذا المعنى فإنها لم تشكل مفاجأة لأحد، ولم يُقصد منها أن تفاجئ أحداً أصلاً؛ بل يجوز القول إنّ التريث سبعة أيام قبل تنفيذها كان يمنح روسيا وإيران فرصة كافية لإخلاء قواتهما من المواقع التي كان قصفها متوقعاً أو محتوماً، وذلك لتفادي أي استهداف غير مقصود لتلك القوات؛ الأمر الذي عنى أيضاً، واستطراداً، استفادة النظام السوري ذاته من محاسن مهلة التأجيل.

صحيح أنّ بعض الأذى يمكن أن يكون قد لحق ببعض منشآت تصنيع الأسلحة الكيميائية في جمرايا أو السفيرة أو برزة أو الرحيبة أو الكسوة... ولكنّ هذا الـ«بعض» لا يشمل الـ«جميع» بالطبع، من جهة أولى؛ كما انه لن يمنع النظام من إعادة صيانة تلك المنشآت، وإعادة تشغيلها، وتصنيع المزيد من القذائف الكيميائية واستخدامها مجدداً، من جهة ثانية. كذلك، في البُعد التالي الأخطر من الرسالة، يفهم النظام ــ كما فهم في الماضي، مراراً وتكراراً ــ أنّ خطّ المحرّم الأحمر هو استخدام الكيميائي؛ ولا حرج في استخدام البراميل المتفجرة أو النابالم أو القنابل الانشطارية والعنقودية أو أيّ سلاح آخر محرّم دولياً، ولكنه لا يندرج في الصنف الكيميائي.

وصحيح، إلى هذا، أنّ الرسالة قد تصل إلى الجمهور الروسي على نحو يخدش صورة سيد الكرملين القوي، وينتهي إلى بعض ما استخلصه السفير الروسي في واشنطن، أناتولي أنتونوف، من أنّ الضربة تُعتبر «إهانة للرئيس الروسي»؛ ولكن لا يخفى، إلا على السذّج والحمقى، أنّ تنسيقاً تاماً جرى مع موسكو بصدد كلّ تفصيل لوجستي يُبعد الوحدات الروسية عن الأذى، وأنّ «كرامة» فلاديمير بوتين حُفظت تماماً. وليس بغير مغزى أنّ وزارة الدفاع الروسية أعلنت أنّ «أياً من الصواريخ العابرة التي أطلقتها الولايات المتحدة وحلفاؤها لم يدخل منطقة مسؤولية الدفاعات الجوية الروسية التي تحمي المنشآت في طرطوس وحميميم».

ضربة علاقات عامة، إذن، تحفظ ماء وجه زعماء أمريكا وفرنسا وبريطانيا، بصدد محظور واحد وحيد في مأساة مفتوحة منذ سبع سنوات ونيف، حظي فيها مجرم حرب مثل بشار الأسد بأنماط شتى من صمت الديمقراطيات الغربية، أو سلوك الجعجعة اللفظية، أو تكتيك التواطؤ المباشر، أو ستراتيجية التفرغ لمحاربة الإرهاب تماماً على النحو الذي خطط له النظام. وفي الغضون، كانت قوى من كلّ حدب وصوب ــ إيران وميليشياتها المذهبية، «داعش» والجهاديون، موسكو وأنقرة ــ تتولى الفتك بالشعب السوري، واحتلال أرضه وسمائه، وتحويل البلد إلى سلسلة محميات واحتلالات. وليست، البتة، مفارقة طارئة أن تكون الصواريخ الإسرائيلية، التي استهدفت عشرات المواقع داخل سوريا، هي السابقة على صواريخ أمريكية وفرنسية وبريطانية لاحقة.

ومن الطريف أنّ هذا العقاب المسرحي المعلَن استولد ذلك التوازي الكاريكاتوري المعلَن أيضاً، بين مؤيدي الضربة (لأنها تؤذي النظام) ورافضيها (لأنها تؤذي السلام)، وكأنّ الضارب لا يتساوى مع المضروب في الشراكة عن المأساة الأمّ؛ في طول سوريا وعرضها، وليس فقط في دوما وخان شيخون وزملكا وعين ترما وعربين...

واشنطن: الضربات الصاروخية تهدف إلى شل برنامج الأسلحة الكيميائية في سوريا

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

قالت الولايات المتحدة ان الهجمات الصاروخية في سوريا تهدف إلى شل برنامج الأسلحة الكيميائية التابع للنظام وارسال رسالة قوية إلى الأسد وليست بداية لحرب مفتوحة. في حين أشار العديد من المسؤولين الأمريكيين، إلى ان النظام لم يفهم الرسالة في العام الماضي عندما شن الجيش الأمريكي هجوما على حقل جوي سوري تم استخدامه لشن هجمات كيميائية ضد المدنيين.

وأعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، انه أمر بضربات دقيقة ضد النظام السوري ردا على هجوم واضح بالأسلحة الكيميائية، وقال خلال خطاب متلفز في البيت الأبيض، ان فرنسا والمملكة المتحدة قد انضمتا إلى الضربات التي قال انها تستهدف مواقع تتعلق ببرنامج الأسلحة الكيميائية في سوريا.

ووصف ترامب الهجوم الكيميائي في نهاية الأسبوع الماضي بانه تصعيد كبير في الجهود التي تبذلها الحكومة السورية لإلحاق الأذى بمواطنيها، وهو أمر قال ان الأسد يستحق المعاقبة عليه، وأضاف «هذه ليست تصرفات رجل، انها جرائم وحش».

وزادت الضربات من دور الولايات المتحدة في الحرب الأهلية السورية المندلعة منذ سبع سنوات، وهو أمر قال ترامب انه يريد تجنبه، إذ أعلن قبل عشرة أيام أنه يريد سحب 2000 جندي أمريكي يقاتلون عناصر تنظيم «الدولة الإسلامية» في سوريا.

وصدم الإعلان القادة العسكريين الذين سارعوا إلى صياغة خطة لتلبية رغبة ترامب كما استغل النقاد قراره بعد السعي للحصول على موافقة الكونغرس على الهجمات.

وقال السناتور تيم كاين، ان قرار ترامب شن ضربات جوية ضد الحكومة السورية دون موافقة الكونغرس هو أمر غير قانوني وغياب لاستراتيجية أوسع وعمل متهور.

وحدد ترامب الضربات تحت إطار جهد رادع للأسد عن استخدام الأسلحة الكيميائية ضد شعبه وليس مشاركة عسكرية مفتوحة. وقال ان أمريكا لا تسعى إلى حضور غير محدد في سوريا التي وصفها بانها مكان مضطرب، إلا انه قال ان الولايات المتحدة ستواصل الضغط على سوريا إلى ان تتوقف حكومة الأسد عن استخدام المواد الكيميائية الخطيرة.

وأكد وزير الدفاع جيمس ماتيس في وقت لاحق انه لا توجد خطط لضربات إضافية ضد سوريا، وقال في وزارة الدفاع «انها طلقة واحدة فقط». ووصف ماتيس الضربة بانها رد أقوى من الضربة الأمريكية على القاعدة الجوية السورية في نيسان/أبريل 2017 بعد هجوم آخر بالأسلحة الكيميائية.

وبين «استخدمنا أكثر من ضعف عدد الأسلحة هذا العام مقارنة بما استخدمناه في العام الماضي» مشيرا إلى ان الضربات كانت دقيقة ومتناسبة وقوية.

وقال زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل، انه يؤيد عمل وهدف الهجمات التي تمت يوم الجمعة، وأشار إلى ان ترامب وافق على استخدام القذائف الانسيابية لضرب مطار في سوريا في العام الماضي كتحذير للأسد للتوقف عن استخدام الأسلحة الكيميائية في أعقاب هجوم كيميائي قتل فيه نحو 80 شخصا، وأضاف، ان الأسد تجاهل التحذير والإعلانات الصادرة عن الولايات المتحدة ليختار إرهاب شعب دوما، مشيرا إلى الهجوم الذي وقع الأسبوع الماضي على البلدة السورية.

وجاءت الضربات بعد سلسلة من التهديدات التي أطلقها ترامب إذ توعد بالقيام بعمل عسكري وحذر من قذائف لطيفة وسريعة وذكية ضد النظام السوري، كما أجرى محادثات مع قادة بريطانيا وفرنسا بشأن التخطيط الجماعي للرد على الهجوم الكيميائي.

وأطلقت الولايات المتحدة والقوات الفرنسية والبريطانية، ليلة الجمعة، أكثر من 120 صاروخا على ثلاثة أهداف مختلفة في سوريا في محاولة لتدمير المنشآت الحيوية للأسلحة الكيميائية التي تديرها حكومة الأسد. وقال وزير الدفاع الأمريكي ان الضربة الأمريكية كانت قوية جدا مقارنة مع الضربة الانتقامية ضد المطار في العام الماضي.

وأضاف «لقد بعثنا برسالة واضحة إلى الأسد وضباطه القتلة مفادها انه ينبغي عدم ارتكاب هجوم آخر بالأسلحة الكيميائية وانه سيعاقب إذا فعل ذلك».

ووصف رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال جوزيف دانفورد، الهدف الأول بانه مركز للأبحاث العلمية العسكرية مختص في أبحاث وتطوير وإنتاج واختبار تكنولوجيا الحرب الكيميائية والبيولوجية، يقع في منطقة دمشق الكبرى، أما الأهداف الأخرى فهي تقع بالقرب من حمص وتشمل مرافق لتخزين الأسلحة الكيميائية ومواقع رئيسية لغاز السارين وموقع يحتوي على مرفق لتخزين معدات الأسلحة الكيميائية.

وأعرب ماتيس ودانفورد، عن ثقتهما بان الولايات المتحدة لديها الدليل اللازم على الهجوم الكيميائي، إذ قال ماتيس انه واثق من ان النظام السوري قام بهجوم كيميائي على أناس أبرياء، ولم يقدم دانفورد سوى القليل من التفاصيل حول المعدات التي تستخدم لتنفيذ ضربات الجمعة مستشهدا بالأمن التشغيلي، ولكنه قال ان المعدات البحرية والجوية الأمريكية والبريطانية والفرنسية شاركت في العملية. وأشار مسؤولون عسكريون ان سفينة أمريكية واحدة على الأقل متواجدة في البحر الأحمر قد شاركت في الهجمات، وقالوا، لا توجد أي دلائل حتى الآن على خسائر أمريكية عقب الضربات بسبب محاولات النظام السوري اخراج نظام دفاع خاص.

وقال دانفورد انه لا يعلم عن أي نشاطات روسية أثناء الغارات، وأكد على ان الأهداف تم اختيارها لإلحاق الضرر ببرنامج الأسلحة الكيميائية مع تجنب وقوع اصابات في صفوف المدنيين أو تصعيد أوسع في المنطقة، في حين أشار ماتيس بانه تم حصر الأهداف في مواقع الأسلحة الكيميائية لكي لا يتم توسيع العملية وتخفيف خطر مشاركة القوات الروسية.

وكشف مسؤولون أمريكيون انه لم يتم إخطار الروس قبل الهجوم، وقالوا ان البنتاغون استخدم خط الديكتاتون الطبيعي قبل الضربات لضمان وضوح المجال الجوي. وصرح دانفورد ان الاتصالات الوحيدة التي ارتبطت على وجه التحديد بهذه العملية كانت تتمثل في عدم التنازع أو التشابك في المجال الجوي المعتاد، وهي الإجراءات المطبقة على جميع العمليات في سوريا.

وحذرت الولايات المتحدة النظام السوري من مواصلة العمليات العسكرية، إذا قرر استخدام الأسلحة الكيميائية في المستقبل.

وأشاد السيناتور جون ماكين بالرئيس الأمريكي ترامب بسبب توجيهه الأوامر بشن ضربات جوية في سوريا ولكنه حذر من ان الضربات لا تعوض غياب الاستراتيجية، وقال «كي ننجح على المدى الطويل، نحتاج إلى استراتيجية شاملة لسوريا والمنطقة برمتها، ويحتاج الرئيس إلى تحديد الأهداف، ليس فقط فيما يتعلق بداعش، بل كذلك في الصراع المستمر في سوريا والنفوذ الروسي والإيراني الخبيث في المنطقة، وقد يكون من الضروري القيام بضربات جوية منفصلة بعيدا عن استراتيجية واسعة ولكنها لن تحقق أهداف الولايات المتحدة في الشرق الأوسط».

وسارع مشرعون امريكيون إلى انتقاد قرار ترامب بشن هجوم عسكري على سوريا بسبب عدم حصوله على موافقة الكونغرس، وقد انضم ممثل جمهوري إلى مجموعة من الديمقراطيين في حملة انتقاد ترامب. وقال السناتور بوب كيسي، انه «لا نقاش على ان الأسد يجب ان يخضع للمساءلة عن استخدامه غير القانوني للأسلحة الكيميائية ضد المدنيين، إلا ان الضربات التي تم تنفيذها بدون إذن من الكونغرس هي ضربات غير مقبولة».

تجهيز مقاتلة التورنيدو البريطانية

المشاركة البريطانية في ضرب سوريا رفعا للعتب وحفظا لماء الوجه

صادق الطائي

مع تصاعد وتيرة الخطاب في الأزمة السورية الأخيرة على خلفية اتهام النظام السوري باستخدام الأسلحة الكيميائية ضد المدنيين في مدينة دوما يوم السابع من نيسان/ابريل الجاري، تذكر عدد من المراقبين موقف رئيس الوزراء البريطاني العمالي الأسبق توني بلير وجريه وراء المواقف المتشددة للرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأبن، وهو يحشد القوى الدولية للهجوم على العراق عام 2003. وساد تخوف الشارع البريطاني من جر المملكة المتحدة إلى مستنقع الحرب السورية الذي علقت في أوحاله دول كبرى وإقليمية دون وجود أي ضوء يلوح في نهاية نفق الأزمة.

أفاق الناس صباح عطلة نهاية الأسبوع السبت 14 نيسان/ابريل الجاري على خبر قيام مقاتلات تورنيدو البريطانية بشن ضربات عسكرية على أهداف عسكرية داخل سوريا، وقد أفادت مصادر بريطانية رسمية، إن الضربات الجوية التي شنتها طائراتها في سوريا «حققت قدرا عاليا من النجاح». وقال غافين ويليامسن، وزير الدفاع البريطاني، إن بلاده وفرنسا وأمريكا لعبت دورا مهما في «تجريد النظام السوري من القدرة على استخدام أسلحة كيميائية». كما أعلنت وزارة الدفاع البريطانية أن أربع طائرات تورنيدو بريطانية أطلقت صواريخ «ستورم شدو» على قاعدة صواريخ سابقة تقع على بعد 15 ميلا غرب حمص، حيث يعتقد أن النظام السوري يخزن مكونات تستخدم في تصنيع أسلحة كيميائية. كما صرح متحدث باسم الوزارة إن المنشأة المستهدفة «تقع على مسافة ما من أي تركيز معروف لسكان مدنيين»، وأضاف أنه تم استخدام التحليل العلمي «لتقليل أي مخاطر تلوث على المنطقة المحيطة إلى الحد الأدنى».

وفي ضوء المعطيات المتوفرة وتسلسل الأحداث يمكننا ان نقرأ الموقف بالشكل التالي؛ ان موقف النظام السوري على الأرض بات أقوى وابتدأ في تحقيق انجازات مهمة تتمثل بأستعادة الأراضي التي كانت تحت سيطرة فصائل المعارضة المسلحة، وقد كان للدعم الروسي غير المحدود الدور الأبرز في تقوية موقف النظام. من جانب آخر هناك تصعيد غربي ملحوظ ضد روسيا وصل إلى مديات تذكر بأيام الحرب الباردة بعد عدد من الأزمات منها اتهام الروس بالتدخل في نتائج الانتخابات الأمريكية الأخيرة التي أدت إلى صعود الرئيس دونالد ترامب إلى كرسي الرئاسة، واتهامات بريطانية لروسيا بخصوص محاولة اغتيال العميل المزدوج سكريبال وابنته بهجوم بغاز سام على الأراضي البريطانية، حيث اتهمت حكومة المملكة المتحدة رسميا روسيا بالوقوف وراء الهجوم وقامت بطرد دبلوماسيين روس من المملكة مما دفع الروس للتعامل بالمثل وطرد دبلوماسيين بريطانيين من موسكو، ودعما للموقف البريطاني قامت إدارة ترامب بطرد 60 دبلوماسيا روسيا من الولايات المتحدة ووصفتهم بالجواسيس ما دفع روسيا للرد بالمثل.

وتأتي الاتهامات الغربية للنظام السوري باستخدام غاز الكلور في ضربات كيميائية إبان عمليات استعادة الغوطة الشرقية من أيدي الفصائل المعارضة المسلحة يوم 7 نيسان/ابريل الجاري، وهذا ما نفاه النظام رسميا وطالب بارسال لجان دولية للتحقيق بالأمر، لكن التصعيد الأمريكي وصل مداه في مجلس الأمن يوم الثلاثاء 10 نيسان/ابريل 2018 عندما طرحت نيكي هالي ممثلة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة مشروع إقرار عقوبات على سوريا بسبب استخدامها الأسلحة الكيميائية، وأوقف الفيتو الروسي مشروع القرار الذي حاز تأييد أغلبية أعضاء مجلس الأمن بموافقة 12 عضوا من مجموع 15 عضوا، بينما امتنعت الصين عن التصويت ورفضت بوليفيا القرار، ما دفع الرئيس ترامب المعروف بتصريحاته غير المنضبطة إلى إطلاق تغريدات على حسابه على تويتر، يعد بها الروس والسوريين بامطارهم بصواريخ ذكية وجميلة لا يمكن صدها، ليجاوبه تصريح رسمي روسي مفاده انهم بانتظار هذه الصواريخ لإطاحتها وتدميرها.

كان لزاما على رئيسة الوزراء البريطانية تريزا ماي ان تصطف مع الموقف الأمريكي الذي دعم موقف بلادها في الأزمة الأخيرة مع الروس، كما انها تسعى لتقارب (بريطاني - أمريكي) استراتيجي على خلفية خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي، لكنها وفي الوقت نفسه سعت جاهدة لإيصال رسائل إلى مواطنيها مفادها ان هذه العملية العسكرية ان وقعت فهي أقرب إلى عملية مجاملة للأمريكان لرفع العتب وحفظ ماء الوجه. ويمكننا قراءة ذلك بسهولة في كل تصريحات تريزا ماي بشأن الأزمة لسورية الأخيرة، فمع كل تصريح بالتصعيد تعقبه بتصريح مطمئن للداخل البريطاني. فقد صرحت بعد تنفيذ القوات البريطانية ضرباتها مباشرة قائلة؛ إنه «لم يكن هناك بديل مناسب لاستخدام القوة لردع النظام السوري عن استخدام الأسلحة الكيميائية». وأضافت «أن الضربات ليس لها علاقة بتغيير النظام».

كما صرحت ماي في بيان آخر وقالت؛ «إن النظام السوري أظهر نمط سلوك متواصل في استخدام الأسلحة الكيميائية، ولابد من إيقافه». وأضافت؛ «سلكنا كل قناة دبلوماسية ممكنة لتحقيق ذلك». وشددت على أن «هذا ليس تدخلا في حرب أهلية، وأنه أمر لا يتعلق بتغيير النظام». وقالت: «إنها ضربة محدودة ومحددة كي لا تتصاعد التوترات في المنطقة، ونسلك أي وسيلة ممكنة لمنع وقوع خسائر في الأرواح».

أما على الصعيد الداخلي البريطاني، فقد حاول حزب العمال المعارض استثمار فرصة التدخل العسكري الذي أمرت به رئيسة الوزراء تريزا ماي ليضغط سياسيا مستخدما أعرافا لم يتم ترسيخها بعد، فقد أدان جيرمي كوربن زعيم حزب العمال البريطاني قرار رئيسة الوزراء، وقال؛ «كان يجب أن تحصل على موافقة البرلمان قبل المشاركة في ضربات جوية على مواقع عسكرية في سوريا»، كما دعا إلى إجراء تحقيق مستقل تقوده الأمم المتحدة في الهجوم الكيميائي، وقال إنه يفضل مواصلة السعي من أجل حل سياسي وليس من أجل حل عسكري. ومع ذلك هناك خلاف في الرأي بين كوربن وبعض المشرعين في حزب العمال، وليس من الواضح ما إذا كان بمقدوره الحصول على مساندة جميع نواب الحزب في معارضة العمل العسكري.

بينما يعلم المراقبون جيدا ان لرئيسة الوزراء الحق باتخاذ قرارات المشاركة العسكرية دون الحاجة إلى موافقة البرلمان، فمن حيث المبدأ ان رئيس الوزراء لا يحتاج لذلك. ففي بريطانيا سلطة إعلان الحرب يحكمها «الامتياز الملكي» الذي يعني أن حكومة ماي يمكن أن تقوم نيابة عن الملكة بعمل عسكري دون احتياج لطلب موافقة البرلمان. لكن مع ذلك فأن الواقع أكثر تعقيدا، فخلال العقدين الماضيين طرحت الحكومات البريطانية معظم قرارات العمل العسكري الهجومي للتصويت في البرلمان، وكان من شأن ذلك أن يتحول هذا الأمر إلى تقليد، وقال كثير من المشرعين إنه من الخطأ بالنسبة لماي أن تتدخل في سوريا دون أن يكون للبرلمان رأي، لكن في المقابل حصلت ماي على دعم قوي من حكومتها وحزبها، فقد صرح عدة مشرعين من حزب المحافظين الذي تتزعمه إنها يجب ألا تسعى لموافقة البرلمان لأن الموقف يتطلب ردا عاجلا وهذا ما كان، حيث تمت المشاركة العسكرية بينما البرلمان ما زال في إجازة عيد الفصح.

ابتدأ العمل العسكري، وتم توجيه ضربات لمواقع محدودة، ولم تقع خسائر في الأرواح بين المدنيين أو العسكريين في سوريا، لان الحكومة السورية كانت قد أخلت المواقع التي سيتم قصفها. بعد ساعات يعلن قائد الأركان الأمريكي الجنرال جو دانفورد انتهاء العمليات العسكرية التي نفذتها الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا ضد برنامج الأسلحة الكيميائية السوري. إذا هي عملية عسكرية لحفظ ماء الوجه دون تغيير حقيقي على الأرض، فهل سيؤثر ذلك على مستقبل تريزا ماي في الانتخابات المبكرة المقبلة؟

السنة التاسعة والعشرون العدد 9155 الأحد 15 نيسان (ابريل) 2018 – 29 رجب 1439 هـ

فرنسا: الحكومة تؤكد شرعية الضربات

باريس – «القدس العربي»: آدم جابر

كما كان منتظرا منذ بداية الأسبوع الجاري، نفذت فرنسا بالتنسيق مع حليفيها الأمريكي والبريطاني ضربات جوية، فجر السبت، ضد مواقع مختلفة في سوريا، وذلك ردا على الهجوم الكيميائي الأخير في دوما في الغوطة الشرقية لدمشق والذي تقول واشنطن وباريس إن بحوزتهما أدلة تثبت أن النظام السوري يقف خلفه.

الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي شدد مرارا منذ وصوله إلى السلطة في شهر أيار/مايو الماضي على أن أي استخدام للأسلحة الكيميائية في سوريا يعد «خطا أحمر» وسيكون «موضع رد فعلي فوري» من فرنسا، قال في بيان صادر عن قصر الإليزيه بعيد الضربات الجوية التي استهدفت منطقة دمشق إن: «الخط الأحمر الذي حددته فرنسا تم تجاوزه. لذلك أمرت القوات المسلحة الفرنسية بالتدخل في إطار عملية دولية تجري بتحالف مع الولايات المتحدة وبريطانيا وتستهدف الترسانة الكيميائية السرية للنظام السوري». وأضاف البيان «أن مشاركة فرنسا في العملية العسكرية مع الولايات المتحدة وبريطانيا في سوريا، تقتصر على شل قدرات النظام السوري في إنتاج واستخدام الأسلحة الكيميائية». وبعد هذا البيان بوقت قصير نشر ماكرون على حسابه الشخصي في تويتر وهو يتابع العمليات مع وزيرة الجيوش الفرنسية فلورانس بارلي وقادة القوات المسلحة وبعض مستشاريه وأرفق الصورة بالتغريدة التالية باللغة الفرنسية والإنكليزية والعربية: «السبت 7 نيسان/ابريل 2018 في دوما، وقع عشرات الرجال والنساء والأطفال ضحايا مجزرة بالسلاح الكيميائي. لقد تم اجتياز الخط الأحمر. بالتالي أمرت القوات الفرنسية بالتدخل».

وبعد بيان الرئيس ماكرون وتغريداته بنحو ثلاث ساعات، خرجت وزيرة الجيوش الفرنسية فلورانس بارلي في تصريح مشترك من قصر الإليزيه مع وزير الخارجية جان إيف لودريان، لتؤكد أن بلادها استخدمت «فرقاطات متعددة المهام ترافقها سفن حماية ومساندة، تم نشرها في البحر المتوسط وأنه في الوقت نفسه، غادرت طائرات حربية من طراز رافال في أولى ساعات الليل قواعد جوية عديدة في فرنسا نحو السواحل السورية»، مشيرة إلى أن «هذه الوسائل العديدة أطلقت بتنسيق تام مع الحلفاء الأمريكيين والبريطانيين». وشددت بارلي على أن بلادها لا تبحث عن المواجهة وأنه تم إخطار روسيا في وقت سابق بهذه الضربات من قبل باريس ولندن وواشنطن.

أما وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان فقد ركز أكثر على الجانب الدبلوماسي، مصرحا أن العملية العسكرية التي قامت بها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا «مشروعة» و«متكافئة ومحددة الأهداف». وشدد في الوقت ذاته على أن أولويات باريس في سوريا تبقى ثابتة وهي: محاربة الإرهاب متمثلا في تنظيم «الدولة» ثم العمل على استعادة الاستقرار في البلاد، وذلك عبر تدمير السلاح الكيميائي، ثم وقف إطلاق النار وإتاحة الفرصة لإيصال المساعدات الإنسانية إلى السكان المدنيين، وأخيرا ستطرح فرنسا مبادرة من أجل التوصل إلى تسوية سياسية للنزاع السوري.

مغامرة قد تغذي الإرهاب

ورأى محللون فرنسيون أن تزامن هذه الضربات الأمريكية ـ الفرنسية – البريطانية مع وصول المحققين الدوليين إلى دوما، للتحقيق في الهجوم الكيميائي المزعوم، قد يزيد من ضبابية الصورة، خاصة بعد اتهام الروس للبريطانيين بـ«فبركة» الهجوم. كما أن هذا التدخل العسكري في سوريا سيكون موضع نقاش في البرلمان الفرنسي في بداية الأسبوع المقبل، حسب ما ينص على ذلك دستور البلاد، وذلك وسط تباين في مواقف الطبقة السياسة حيالها.

فقد غردت زعيمة حزب الجبهة الوطنية اليميني مارين لوبان، السبت، قائلة إن: «الضربات ضد سوريا قد تكون لها عواقب وخيمة ودراماتيكية لا يمكن التنبؤ بها. وأن فرنسا تفقد من جديد فرصة الظهور على الساحة الدولية كقوة توازن مستقلة على الصعيد العالمي». لوبان كانت قد حذرت قبل هذه الضربات من مغبة تكرار سيناريو العراق «الفاشل والخطير» لجورج بوش وتوني بلير، مطالبة بانتظار إجراء تحقيق دولي بشأن هجوم دوما.

كما سارع زعيم حركة فرنسا اليسارية جان لوك ميلانشون إلى الرد على هذه الضربات، عبر حسابه على فيسبوك، موضحا أنه «تم تنفيذها من دون دلائل ودون تفويض من الأمم المتحدة ولا موافقة أوروبية وأيضا من دون تصويت في البرلمان الفرنسي». وأضاف: «هذه الضربات تشكل مغامرة انتقامية أمريكية – شمالية، وتصعيدا غير مسؤول. فرنسا تستحق أفضل من هذا الدور».

في حين شدد برينو ريتايو، رئيس كتلة حزب الجمهوريين اليميني المحافظ، السبت، على أن «إضافة الحرب إلى الحرب لم تقد يوما إلى السلام. استعراض القوة هذا قد يغذي الإرهاب» في سوريا والمنطقة.

وعكس هذا التيار تحدث بنوا آمون المرشح الاشتراكي إلى الانتخابات الرئاسية الأخيرة، في وقت سابق، مشدد على أن «جريمة قصف دوما بالسلاح الكيميائي يجب الا تمر دون عقاب» واستغرب كيف يمكن أن «يترك ديكتاتور مدعوم من قبل دول كثيرة منها روسيا يستمر في ذبح مواطنيه بما في ذلك بالأسلحة الكيميائية؟».

وستتوجه الأنظار إلى الحوار التلفزيوني، المرتقب بقوة للرئيس إيمانويل ماكرون، مساء اليوم الأحد، بمناسبة مرور عام على توليه السلطة، حيث سيكون على الرئيس الفرنسي الرد خلال ساعتين على أسئلة إثنين من أكبر وأشهر الصحافيين الفرنسيين، هما جان جاك بوردان عن تلفزيون «بي أف أم تيفي» وأدوي بلينيل مؤسس موقع «ميديا– بارت» الاستقصائي، والتي من المفترض أن تأخذ التطورات في سوريا حيزا مهما منها، في ظل انقسام الطبقة السياسية الفرنسية بشأن الضربات العسكرية في سوريا، التي اعتبر فرانسوا ديربير الخبير في الشأن الأمريكي في تصريح لقناة «بي أف م تي في» أنها: «ضربات بلا نتائج» ملموسة على المشهد السياسي والأمني السوري.

في سوريا والمعارضة تعتبرها مغامرة

Volume 29 - Issue 9155 Sunday 15 April 2018

سوريا: استعراض عسكري أمريكي وترتيب للقوى

دمشق – «القدس العربي»: هبة محمد

بعد أسبوع حافل بالإربك على خلفية تغريدات الرئيس الأمريكي ترامب، دوت انفجارات ضخمة فجر أمس السبت، في العاصمة السورية دمشق ومدن سورية أخرى وجهتها واشنطن ولندن وباريس، واستهدفت خلالها مواقع عسكرية عدة للنظام السوري، أولها مركز الأبحاث الكيميائية في جمرايا بدمشق ومقار للوحدات الخاصة في برزة شمالي العاصمة، ومقار للحرس الجمهوري لواء 105 في دمشق، كما استهدفت مطاري المزة و الضمير العسكريين، واللواء 41 قوات خاصة في ريف دمشق الغربي، وقواعد الدفاع الجوي في جبل قاسيون وسط العاصمة، اضافة إلى مواقع عسكرية قرب الرحيبة في منطقة القلمون، ومواقع في منطقة الكسوة في ريف دمشق، اضافة إلى مواقع عسكرية تقع تحت نفوذ حزب الله اللبناني يتم فيها إنتاج وتخزين الأسلحة الكيميائية بحمص قرب الحدود اللبنانية. ووصف مراقبون، الضربة الأمريكية بالخاطفة والمحدودة، عازين السبب إلى كونها مقيدة بالزمان والمكان وأصغر بكثير من حجم تهديدات ترامب التي وجهها لكل من النظامين الروسي والسوري، على مدار أيام، علاوة على انها لم تسفر عن نتائج جوهرية توازي حجم الكارثة التي لحقت بأبناء وأطفال مدينة دوما في الغوطة الشرقية، وانتهت بتهجيرهم، بعدما ارتكب النظامان المذكوران جرائم حرب ضد المدنيين باستخدام الغازات السامة، وسبقه قرابة 50 هجوما بالسلاح الكيميائي على مواقع المعارضة.

تناقض تحدث عنه خبراء عسكريون لـ«القدس العربي» بعد تصريحات البنتاغون التي جاء فيها ان «الضربة حققت أهدافها»، اضافة إلى تعليق ترامب حينما قال ان الهدف من الضربة العسكرية على مواقع للنظام السوري هي رادع قوي لمنع تصنيع الأسلحة الكيميائية وانتشارها واستخدامها، مضيفا ان الضربة أتت بسبب عجز روسيا عن لجم ديكتاتور سوريا، الأمر الذي رأى فيه البعض مبالغة غربية بتوجيه ردع حقيقي للنظام السوري بعدم استخدام السلاح الكيميائي، بعد ان عادوا وقالوا «أنه في حال استخدم الأسد الغازات السامة مجددا فسنكون أيضا جاهزين للرد» ما يشير إلى ان الضربة لم تهدف إلى ردع الأسد نهائيا، وإلى عدم وجود رغبة جادة في نزع السلاح الكيميائي من النظام السوري. الخبير الاستراتيجي والطيار مروان الحبوش من دمشق رأى ان الضربة الأمريكية اعتمدت على مبدأ «أنصاف الحلول» مثل سابقاتها، فلا هي مثلت ترامب بعد سلسلة من التصريحات النارية، ولا أزعجت موسكو والنظام السوري، بل على العكس فالضربة التي لا تقصم ظهر النظام هي إذا تقويه كما حصل في الضربات السابقة التي أبقت على بشار وحافظت عليه وأعطته مزيدا من الجرأة لكي يعيد استخدام الكيميائي مرات ومرات، حسب رأيه.

وعلى الطرف المقابل، بدا رأس النظام السوري بشار الأسد مرتاحا بعد تلك الهجمة حسب شريط مصور بثه التلفزيون الرسمي، كما ذكرت وكالة «سانا» للأنباء الناطقة باسم النظام السوري، ان الأضرار اقتصرت على المادية، مشيرة إلى ان القوة الجوية السورية تصدت للصواريخ بكفاءة عالية، وأمام هذه التصريحات قال الخبير بسلاح الجو السوري، الحبوش، ان هناك مراوغة بالتصريحات، فالصواريخ الأمريكية تجتبذ وسائل الدفاع الروسية كليا، وانه لا يمكن للنظام السوري إصابة مثل هذه الصواريخ.

مشيرا إلى ان الإدارة الأمريكية قد أرسلت بضربتها هذه رسالة عبرت فيها عن عودة دورها، لإعادة ترتيب القوى على الأرض.

وتحدث المحلل السياسي محمد بيرقدار لـ«القدس العربي» عما وصفها بالأسباب القريبة للتدخل الأمريكي في سوريا، منطلقا من شعور واشنطن ان إيران قد تصبح ذات امتداد جغرافي يصل من المحيط الهادي إلى البحر المتوسط حتى آسيا الصغرى، ونفوذ سياسي واسع من خلال تحالفها مع روسيا مستفيدة من عزل تركيا عن حلف شمال الأطلسي واقترابها من الحلف الروسي الإيراني، وهذا يعطيها قوة اقتصادية تضاف إلى قوتها التي لا تنكر.

هذه القوة الإيرانية مضافاً إلى خسارة الغرب لتركيا باقتصادها النامي وموقعها الجيوسياسي الهام جداً مضافين للطموح الروسي المتنامي الذي جسده فلاديمير بوتين بتدخله في القرم والشيشان وأخيراً سوريا وإلحاقها بروسيا من خلال الهيمنة على قراراها السياسي والسيادي والسيطرة على ثرواتها وموانئها واقتصادها لمدة نصف قرن ويزيد، والعنجهية السياسية التي يواجه بها أمريكا والغرب جعلت من التدخل أمراً ممكناً، لتعديل موازين القوى العالمية بما يخدم مصالح أمريكا والغرب ويحجم فلاديمير بوتين وأطماعه وإيران وأحلامها الشيطانية ويرسم ملامح جديدة للعلاقات الدولية في المستقبل.

ورأى المحلل السياسي ان أمريكا والغرب لم يتدخلوا سابقاً في سوريا، علماً أن أسباب تدخلهم كانت دائما موجودة ومبررة، فهم يدعّون رعاية حقوق الإنسان، وحماية النفس البشرية، وديمقراطية الأنظمة، وتركوا عصابة القتل والإجرام ومعها قوى الشرّ، تعيث فساداً في سوريا قتلاً واعتقالاً وتشريدا، وهدماً للحضارة ولبُناتها.

تهديد روسي بكيميائي جديد

وبالرغم من أوراق القوة التي امتلكها جيش الإسلام أكبر فصائل المعارضة السورية في محيط دمشق، واستحواذه على أسلحة ثقيلة وعشرات الأسرى للنظام السوري واقتراب تعداد قواته من 9 آلاف مقاتل، وبسط سيطرته على مدار سنوات على أهم المواقع الجيوسياسية في خاصرة دمشق الشرقية، إلا ان تأثير السلاح الكيميائي الذي استخدمه النظام السوري ضد المدنيين، وإعادة التهديد باستخدامه من جديد على لسان كبير مفاوضي الروس الانتهاء من تهجير أبناء ريف دمشق الشرقي، الذي ناهز تعدادهم 60 ألف شخص، بالتزامن مع اجلاء مقاتلي جيش الإسلام إلى مناطق سيطرة المعارضة في الشمال السوري، حيث رافق ذلك تحرير النظام السوري 200 محتجز لدى جيش الإسلام من أصل أكثر من 3000 قضى معظمهم خلال قصف النظام السوري على مدينة دوما.

وكالة «سانا» الناطقة باسم النظام قالت انه تم تحرير كامل المختطفين المحتجزين لدى جيش الإسلام في مدينة دوما بالغوطة الشرقية في ريف دمشق. كما ذكرت صحيفة «الوطن» المقربة من النظام أن الاتفاق المبرم بين جيش الإسلام وموسكو، ينص على تسليم جثامين قتلى النظام وتحديد أماكن الدفن، كما نص على إخراج المحتجزين بالتوازي مع إخراج مقاتلي جيش الإسلام، بنسبة تنسجم مع الأعداد من الطرفين، مشيرة إلى ان أعداد المهجرين من دوما يقارب الـ 40 ألفاً، في حين ان عدد المحتجزين لدى جيش الإسلام يقارب الـ 200 فقط.

الأمر الذي أثار حفيظة الموالين للنظام السوري، ودفعهم للخروج بمظاهرات غاضبة طالبت بشار الأسد بالكشف عن مصير أبنائهم، وحسب مصادر أهلية فإن صالة الفيحاء شهدت اعتصامات يومية منددة «بالكذب» الذي مورس على الشعب من قبل قيادات النظام السوري وعلى رأسهم، رئيس لجنة المصالحة.

وكان «جيش الإسلام» قد أبرم اتفاقا مع الجانب الروسي بعد ساعات من الهجوم الكيميائي على مدنية دوما، ينص على إخراج جميع مقاتليه الراغبين بالخروج إلى الشمال السوري مع سلاحهم الفردي، وتسوية أوضاع الراغبين في البقاء داخل المدينة، كما نص الاتفاق على عدم دخول قوات النظام إلى المنطقة قبل 6 أشهر، وتشكيل لجان شعبية من أهالي المدينة لحمايتها بالتنسيق والتعاون مع الشرطة الروسية، مقابل أن يطلق «جيش الإسلام» سراح جميع الأسرى وتسليم جثث جميع قتلى قوات النظام.

صفعة خجولة للنظام السوري وأركان الأسد الأساسية خارج بنك الأهداف

احد مواقع القصف

حسام محمد

أكدت مصادر عسكرية في المعارضة السورية لـ«القدس العربي»: أن موقعاً كيميائياً سورياً إيرانياً، وسط سوريا، قد تدمر بشكل شبه كامل جراء الضربات الجوية الأمريكية البريطانية الفرنسية.

وقال العقيد فاتح حسون لـ «القدس العربي» خلال اتصال هاتفي: إن الموقع الكيميائي الذي يقيمه النظامان السوري والإيراني وبمشاركة كبيرة من حزب الله اللبناني، قد تعرض لهجمات صاروخية فعالة، أدت إلى تدميره بشكل كبير.

وكانت قد انفردت صحيفة «القدس العربي»، بنشر تفاصيل خاصة حول الموقع النووي الذي تقيمه إيران في حال عدم الاستفادة الفعلية من هذه الضربات للتقدم بجدية نحو العملية السياسية وفق بيان جنيف1.

بعد كيلومترين منها)، وتتولى حراسة المنشأة مجموعة خاصة من مقاتلي حزب الله، ويشرف على العمليات خبراء أسلحة إيرانيون وكوريون شماليون، ويظن أنه تم نقل قضبان نووية إليه كانت معدة لمفاعل «الخبر» الذي دمرته إسرائيل عام 2007.

المنشأة، وفق ما قاله قائد حركة تحرير الوطن، العقيد فاتح حسون، في تصريحات سابقة، تتبع للقصر الجمهوري، وهو المشرف عليها بسرية كباقي المنشآت العسكرية السورية التي تنتج أسلحة الدمار الشامل «نووي كيميائي جرثومي»، والمؤكد أن بشار الأسد قام بزيارة للمنشأة قبل الثورة.

الضربات التي حدثت وفق تصريحات البنتاغون هي «موجة» وبالتالي قد تكون هناك «موجات» تالية في حال عدم الاستفادة الفعلية من هذه الضربات للتقدم بجدية نحو العملية السياسية وفق بيان جنيف1.

وقال حسون: من المبكر التحدث عن تأثير هذه الموجة من الضربات على كافة الصعد، لكن دوما العمل العسكري يجب أن يتوجه عمل سياسي، وبالتالي يبدو آن الأوان ليتشكل ضغط مستمر عسكري وسياسي واقتصادي على النظام وداعميه للتوقف عن استهداف المدنيين وارتكاب المجازر وتدمير ما تبقى من سوريا والمضي الجاد بالعملية السياسية التي تفضي إلى تشكيل هيئة حكم انتقالي لا مكان فيها للمجرم بشار وأركان نظامه.

وباتت أطراف الدنيا تعرف من هو جيش «الأسد أو نحرق البلد»، هذا الجيش الذي فتك بالسوريين بلا رحمة لأعوام خلت وما زال، إلا إن دائرة السوء اليوم تحوم حول هذا الجيش وقائده، بعد استخدامه للسلاح الكيميائي مؤخراً في مدينة دوما بغوطة دمشق الشرقية، التي انتهى مصيرها مع مصير شرق دمشق بالتهجير القسري نحو الشمال السوري.

والوعيد العسكري تخللته جلسات سياسية دولية بين القوى الكبرى، ومحاولة تكرار سيناريو كيميائي 2013 من جديد، لينتهي العراك السياسي بضربات جوية وصاروخية وصفها الكثير من المراقبين بـ «الضربات الخجولة»، التي لم تغير في واقع الحال السوري ولا تردع الأسد عن مواصلة هجماته الفتاكة ضد السوريين المعارضين له.

110 صواريخ استهدفت مواقع النظام السوري الكيميائية والقواعد المخصصة لإنتاج تلك الأسلحة، في حين قال النظام بانه أسقط 71 منها، لتعود الولايات المتحدة الأمريكية لنفي رواية الأسد، وتؤكد أن الصواريخ أصابت الأهداف التي وضعت لها، ولم تنجح دفاعات الأسد الجوية بإسقاط أي منها.

وخلال المناورات السياسية والأروقة التفاوضية، استغل النظام السوري المشهد، ليقلب قواته العسكرية رأساً على عقب، فالمطارات المدنية، تحولت لقواعد عسكرية، وأخرى أُفرغت بالكامل، وقيادات اختفت، وأخرى طلبت اللجوء والحماية من قبل الروس.

ناشطون سوريون، ومصادر، أكدت إفراغ القواعد العسكرية الجوية لـ «جيش الأسد أو نحرق» من الطائرات الفعالة قبل أيام من بدء الضربات الجوية الأمريكية الفرنسية البريطانية، ونقل ترسانته العسكرية بشكل متجزأ إلى مواقع يتوقعها النظام أكثر أمناً لمصيرها، ومن تلك القواعد الهامة، مطار دير الزور، ومطار التيفور، والضمير، وخلخلة، حيث وزع النظام السوري بين المطارات المدنية في حلب ودمشق، وأخرى لجأت إلى قاعدتين طرطوس وحميميم التابعتين للقوات الروسية، تحسباً لوقوع الضربات الغربية، في حال فشلت المساعي والاتفاقيات التي تقودها روسية إلى إبطالها.

الناطق باسم قاعدة حميميم الروسية في سوريا أليكسندر إيفانوف، أكد أن القوات الروسية أجلت العديد من الشخصيات الهامة في النظام السوري إلى مواقع أخرى، تحسباً من استهدافها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى تحييد المعدات العسكرية لقوات النظام.

وذكرت القاعدة الروسية، «إن القوات الجوية السورية تمتلك إمكانيات محدودة لتدمير صواريخ (كروز) الأمريكية في حال شنت هجوما على البلاد».

فيما قال عقيد طيار سوري منشق لـ «القدس العربي»: ما يجري ضمن وحدات الأسد العسكرية اليوم، ليس إعادة انتشار كما يشيعه الإعلام الموالي للأسد، بل هو انسحابات وتحركات عشوائية، الهدف منها تقليل حجم الخسائر العسكرية، لو دخلت العملية العسكرية حيز التنفيذ».

وأضاف الطيار، الذي فضل حجب اسمه: النظام السوري فقد الكثير من قدراته الجوية خلال الأعوام الفائتة، ولولا دعمه مقاتلات وطائراته من قبل الجيش الروسي، لما أمتلك النظام اليوم إلا عدداً قليلاً من الطائرات الحربية، وبالتالي يمكننا القول، الخطر الحقيقي لا يتواجد بقدرات الأسد الجوية، بل بالمخزون الكيميائي الذي تحويه مستودعاته ومصانعه».

الأسد خارج بنك الأهداف

وقال المحلل السياسي المقرب من النظام السوري صلاح قيراطة لـ «القدس العربي»: الضربات العسكرية التي استهدفت مواقع النظام السوري ولم تستهدف مواقع لها علاقة بأركان النظام الأساسية، ومنها المراكز القيادية، المخابرات، المراكز السياسية، القصور الرئاسية».

وأضاف، باختصار يمكننا القول: «أركان النظام خارج بنك الأهداف، وبالتالي فإن النظام باق» واعتبر أن «الدور الروسي في سوريا، كما الأمريكي تحركهما مصالحهما المرتبطة بمصلحة دولة الكيان فهي لهما العقل، وهما العضلات وعليه ما نراه من تصعيد لا أعتقد انه سيصبح واقعا إلا إذا اختلف الفريقان على حصته من التركة».

اتفاقيات سرية

الناشط السياسي ياسر العلي قال: لا استبعد وجود اتفاق ضمني أمريكي إسرائيلي روسي على تحجيم إيران في سوريا، وأن الأسد سيكون فعلياً قد دخل مرحلة الخطر في حال مساندته للإيرانيين على حساب التواجد الروسي.

وأضاف، ما نشاهده من تصريحات إيرانية اليوم، تدل على رفضها الخروج خارج الحدود السورية، أو إعادة نشر قواتها بمواقع محددة لها، ومنها التصريحات الرسمية الإيرانية التي تهدد باجتياح إدلب في الشمال السوري، إذ إن هدفها سياسي لا عسكري.

روسيا ترد على قصف الثلاثي الغربي بالنظر بتسليم دمشق دفاعات أس 300

فالح الحمراني

قللت موسكو من آثار قيام الولايات المتحدة وحلفائها فجر السبت قصف المنشآت العسكرية السورية والمؤسسات التي تعكف بتقديراتها على تطوير أسلحة كيميائية. وأفادت ان الدفاعات السورية سوفيتية الصنع «العتيقة» اعترضت صواريخ الثلاثي ودمرت عددا كبيرا منها. وقيمت وزارة الدفاع الروسية الوضع في سوريا بعد القصف الغربي بانه هادئ وقالت «في الوقت الحالي الوضع في دمشق وفي غيرها من المناطق السكنية السورية حسب تقييمنا هادئ». كما جاء في تصريح لناطق باسم الدفاع الروسية. وقال «إننا نراقب الوضع المترتب هناك عن كثب».

ووعدت وزارة الدفاع الروسية بانها ستنظر في تسليم دمشق ودول أخرى دفاعات جوية متطور من طراز «أس - 300» كانت قد امتنعت عن تصديرها لسوريا بطلب دول مجاورة في إشارة إلى إسرائيل. وبررت روسيا عدم اعتراض المضادات الدفاعية الروسية أس 400 المرابطة بسوريا لصواريخ «الثلاثي» الغربي بكونها لم تمس المنشآت العسكرية الروسية؛ قاعدة حميميم والقاعدة البحرية في طرطوس. وكانت روسيا حذرت من مغبة التداعيات على صعيد وزارتي الخارجية والدفاع وهددت بانها ستدمر الصواريخ التي تقصف سوريا. وتقول موسكو إن توقيت القصف هدف إلى التشويش على إجراء خبراء منظمة حظر الأسلحة النووية الذين كانوا من المفترض أن يشرعوا السبت في دراسة مكان حادث استخدام الأسلحة الكيميائية في مدينة دوما في الغوطة الشرقية ونسف العملية السلمية.

وقال الرئيس بوتين في أول رد فعل له على القصف الصاروخي الغربي ضد سوريا ان بلاده تدعو إلى عقد مجلس الأمن الدولي اجتماعا استثنائيا لمناقشة الوضع المتعلق في سوريا. ووفق تقديرات الرئيس بوتين فأن «التصعيد في سوريا سيؤثر بصورة مدمرة على جميع العلاقات الدولية». وقال بوتين الذي تلقى معلومات فورية عن الضربة الأمريكية - الفرنسية - البريطانية ضد سوريا في بيان خاص «إن التصعيد الحالي المتعلق بسوريا سيؤثر بصورة تدميرية على منظومة العلاقات الدولية بأسرها». وأضاف «إن التاريخ سيضع كل شيء في مكانه وأنه سيحمل واشنطن المسؤولية الكبرى على التنكيل بيوغسلافيا والعراق وليبيا».

كما أعلن رئيس إدارة العمليات في هيئة أركان القوات المسلحة الروسية الفريق سيرغي رودسكي: ان الدفاعات الجوية السورية اعترضت 17 صاروخا من 103 أطلقت من قبل التجمعات العسكرية الأمريكية والفرنسية والبريطانية. وقال إن الدفاعات الجوية الروسية تابعت إطلاق الصواريخ المجنحة في الأراضي والأجواء السورية. وأفاد ان القوات المسلحة السورية استخدمت عند الضربات الجوية الغربية المضادات الجوية أس - 125 وأس - 200 و «بوك» و «كفدرات» وكلها مصنوعة في زمن الاتحاد السوفييتي السابق قبل 30 عاما. وأشار إلى تدمير الدفاعات الجوية السورية كافة الصواريخ المجنحة الـ12 التي استهدفت مطار الضمير العسكري. وحسب معطيات رودسكي فان المضادات الجوية السورية تمكنت من اعتراض 71 صاروخا مجنحا من بين 103 أطلقتها التجمعات العسكرية الأمريكية والبريطانية والفرنسية. وقال إن وزارة الدفاع تقيم بإيجابية إسقاط الدفاعات الجوية السورية هذا العدد من صواريخ الخصم، وأشار إلى عدم وجود معلومات عن الخسائر في الأرواح المدنية والعسكرية.

وحسب معطيات وزارة الدفاع الروسية فقد أطلقت القوات الجوية والبحرية للثلاثي الغربي 1003 صواريخ مجنحة وصواريخ «جو - جو» على المواقع السورية. وكما أفادت أن الصواريخ انطلقت من سفينتين تابعتين للقوات الأمريكية ترابطان في البحر الأحمر، ومن طائرات تكتيكية كانت تحلق في أجواء البحر الأبيض المتوسط، وكذلك من المقاتلة الأمريكية روكويل في ـ ا لاندير من منطقة التنف السورية. كما أطلقت المقاتلات البريطانية تورنيدو التي حلقت من قاعدة القوة الجوية البريطانية «اكروتيري» في قبرص. وقالت الوزارة: «ان منظومة الدفاعات المضادة للأهداف الجوية في حميميم وطرطوس كشفت في الوقت المناسب وراقبت إطلاق الصواريخ الجوية والبحرية الأمريكية والبريطانية».

وأعلن رئيس هيئة لجان الأركان للقوات المسلحة الأمريكية جوزيف دانفورد إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تنسق بأي شكل من الأشكال مع روسيا بشأن قصف البنتاغون وبريطانيا وفرنسا لسوريا. وأشار إلى أن هناك اتصالات بالقنوات الاعتيادية جرت لتفادي الاشتباكات في المجال الجوي. وان الولايات المتحدة اختارت عن عمد أهدافا لخفض خطر جر القوات الروسية للمواجهة. واكد أيضا انه قد جرى إخطار روسيا عن استعمال الولايات المتحدة وحلفائها المجال الجوي السوري، بيد أن ذلك لا يعني «التنسيق بشأن الأهداف والتخطيط».

ووفق تقديرات المراقب السياسي المهتم بشؤون الشرق الأوسط فيكتور موراخوفسكي، فان الضربات الصاروخية التي أنزلتها الولايات المتحدة وحلفاؤها بسوريا لن تؤثر بشكل ملموس على القدرات العسكرية السورية، وان التشكيلات المسلحة المناهضة للنظام التي وصفها بالإرهابية، قد تستعملها كمناورة لصرف النظر قبل قيامها بهجوم على مواقع النظام. وأضاف «إن المنشآت التي أنزل الأمريكيون وحلفاؤهم بها ضربات صاروخية لا تلعب دورا حاسما في الحرب ضد الإرهاب، وان الحرب ضد الإرهاب على الأرض في سوريا ستستمر» في إشارة إلى المواجهة مع التشكيلات المسلحة المناوئة للنظام. وحسب تقديراته فان الضربات الصاروخية ستصب بهذه الصورة أو تلك لصالح من وصفهم «بالإرهابيين». ولم يستبعد ان عددا من المنظمات المتشددة ستحاول القيام بهجوم مضاد على خلفية القصف الأمريكي.

ويجمع عدد من القراءات على إن عدم إنزال الولايات المتحدة ضربة بالمنشآت الروسية في سوريا، يشير إلى أن الجانب الأمريكي «سمع» تحذير المؤسسة العسكرية الروسية بانها ستدمر الصواريخ وحواملها في الأجواء السورية. ولم تجر موسكو وواشنطن أي مباحثات بهذا الشأن كما ذكرت سابقا وسائل إعلام روسية.

وقالت الناطقة الرسمية باسم الخارجية الروسية ماريا زاخاروفا «ان البلدان الغربية أنزلت ضربات بسوريا في الوقت الذي انفتحت فيه آفاق لإحلال السلام في البلاد». وقالت على صفحتها في فيسبوك «في البداية جربوا الربيع على العربي على الشعب السوري ومن ثم داعش، والآن الصواريخ الأمريكية الذكية». وحثت وسائل الإعلام على التحلي بالشعور بالمسؤولية بعد أن «اعتمدت الولايات المتحدة بقصفها الصاروخي لسوريا على أنباء وسائل الإعلام عن أعراض الإصابات بالكيميائي وفيديو وصور». وقال رئيس لجنة الشؤون الخارجية في المجلس الأعلى للبرلمان الروسي قسطنطين كوساتشوف «ان الضربات الصاروخية الأمريكية والبريطانية والفرنسية هدفت إلى خلق المتاعب أمام بعثة منظمة حظر الأسلحة الكيميائية لتقصي الحقائق» التي على وفق معلوماته كان من المفترض ان تشرع بالعمل في دوما السبت.

ويعتقد العديد من الخبراء الروس المهتمين بشؤون الشرق الأوسط إن القصف الثلاثي يستهدف وضع الصعوبات أمام مكافحة الإرهاب والتسوية السلمية في سوريا. وقال مدير مركز الشرق الأوسط وآسيا الوسطى فلاديمير فيتين: «ان عملية الدول الغربية أصبحت ضربة إضافية للعملية السلمية»، وان ذلك وفق رأيه، «يتفق مع سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، نظرا لأنها خططت في البداية إلى إطاحة نظام بشار الأسد، بهدف عدم إتاحة الفرصة لروسيا صديقة سوريا تعزيز نفوذها في واحد من المناطق الاستراتيجية الهامة في العالم».

الوجود الإيراني العسكري في سوريا لن يتأثر بسبب الضربة

نجاح محمد علي

تميز رد الفعل الإيراني من الضربة العسكرية المحدودة التي وجهتها أمريكا وبريطانيا وفرنسا لأهداف في سوريا، بأنه وإن بدا شديد اللهجة خصوصاً فيما يتعلق بتحميل واشنطن مسؤولية تبعات الهجوم كما عبر الحرس الثوري، إلا أنه ظل يراوح تحت سقف التنديد الكلامي وإطلاق أوصاف حادة مباشرة لزعماء الدول الثلاث، حيث وصفهم المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية آية الله علي خامنئي بالجناة، وكان علي أكبر ولايتي أوفد مستشاره للشؤون الدولية إلى دمشق، ليس فقط ليبلغ الرئيس بشار الأسد قبل الهجمات، دعم بلاده الكامل له أمام أي عدوان مهما كان حجمه وأهدافه، بل ليعلن من بلدة دوما التي هي السبب في التطور الأخير، أن الهدف المقبل لسوريا وحلفائها لن يكون غير إدلب، مشيراً بقوة إلى استهداف الوجود العسكري الأمريكي الذي وصفه بالمحتل، في شمال سوريا في القريب ما لم يغادر الأراضي السورية.

ولم تختلف لهجة الرئيس المعتدل حسن روحاني عن خامنئي والحرس الثوري، وإن كانت دبلوماسية أكثر عندما هاتف نظيره السوري ليعلن استمرار الدعم الإيراني لسوريا حكومة وشعباً، دون أن يخرج عن سقف التنديد بالكلام، متجنباً، وهو الموقف الرسمي لإيران، التصعيد وكان الضربات على سوريا، مرتبة ومدروسة، وبما يُراد لها أن تكون منصة ورافعة للحل السياسي الشامل للأزمة في سوريا في إطار مؤتمر جنيف، وبمشاركة جميع الأطراف المعنية.

وكان لافتاً أن الدول الثلاث أمريكا وبريطانيا وفرنسا تعمدت من جهتها إرسال رسائل مرنة وحتى «إيجابية» للإيرانيين، إذ قال الرئيس الأمريكي ترامب بعد الغارات إن من الممكن التوصل إلى تفاهم مع روسيا وحتى إيران مبرراً ذلك بأن أمريكا دولة قوية تملك أقوى اقتصاد في العالم.

تصريح ترامب المتلفز جاء قبل أن تعلن ومهما قيل ويقال في تقييم الموقف الإيراني مما حصل في سوريا، يمكن القول أيضا في ضوء تسريبات روجت لها أطراف قريبة من المحور الأمريكي، ذكرت قبل الضربات الأخيرة أن واشنطن عرضت على موسكو القيام بدور لإخراج الوجود الإيراني من سوريا، إن الوجود الإيراني العسكري في سوريا لن يتأثر بسبب هذه الضربة، ولا يوجد ما يشير إلى صفقة بين الروس والأمريكيين تقضي بعدم استهداف رأس النظام في سوريا مقابل خروج إيران منها، لأن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين كان أوفد إلى طهران قبيل الغارات الأخيرة، مبعوثاً رئاسياً لتنسيق المواقف والحصول على إذن بعبور الصواريخ والطائرات الروسية الأجواء الإيرانية، واستخدام الأراضي الإيرانية أيضاً في أي عمليات عسكرية للدفاع عن سوريا.

ورغم أن التوقعات في إيران كانت تشير إلى أن حدثاً كبيراً لن يحصل، إلا أن ما قاله قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري قاسم سليماني قبل هذه الضربات، وهو يُخاطب قواته في تأبين ضحايا الغارة الإسرائيلية الأخيرة على مطار تيفور في مدينة حمص السورية إن عليهم أن لا يطلبوا الشهادة في سوريا بل في الحرب الموعودة مع إسرائيل، كان هو العنوان العام الذي غلف أهداف ونهايات الدور الإيراني في سوريا، مهما كانت قوة المعارضة داخل إيران وخارجها لهذا الدور وعموم «التدخل» الإيراني في المنطقة.

وقال المتحدث باسم الخارجية الإيرانية بهرام قاسمي، مع أن الإيرانيين السبعة الذين قضوا في الغارة الإسرائيلية على مطار تيفور لم يكونوا مجرد مقاتلين عاديين تطوعوا دفاعاً عن المقدسات في سوريا أو كما عرفهم الإعلام الإيراني الرسمي كمستشارين، بل كانوا ضمن وحدة خاصة لإنتاج صواريخ أرض جو وتنفيذ مهمات استراتيجية أخرى تهدف في الأساس إلى خنق إسرائيل وتطويقها بجملة من القواعد السرية التي يشارك في تأسيسها أفغان متمرسون في حفر الأنفاق، كانوا شاركوا في «الجهاد» السابق في أفغانستان.

وليس سراً القول إن معظم (إذا لم يكن كل)، الغارات التي نفذتها إسرائيل طوال سنوات الأزمة السورية الراهنة في عامها السابع، كانت أهدافها إيرانية ومعها أهداف لحزب الله لبنان.

وتدرك إسرائيل أكثر من واشنطن أن التحرك العسكري بحجة «الكيميائي» لضرب سوريا لن يقضي نهائياً على مخاوفها من حجم وجود إيران وحزب الله ولواء «فاطميون» الأفغاني الذي له دور خطير في تكريس هذا الوجود ليخنق إسرائيل، علماً أن تعبير «خنق إسرائيل» استخدمه وزير الدفاع الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان، الثلاثاء، عندما أعلن إنه لا يعرف من قصف القاعدة الجوية السورية تيفور فجر الاثنين، لكنه أكد مجدداً أن إسرائيل لن تسمح لإيران بالتموضع في سوريا.

وفي هذا الواقع، فإن الرسالة التي سوقتها إيران وحلفاؤها قبل الغارات، كانت أن المواجهة مع إسرائيل ستكون أقرب من أي وقت سابق.

وبينما ينفي قادة الحزب أن تكون هناك مصانع لإنتاج صواريخ جديدة في لبنان، وأن الموجود هي مصانع لتطوير الصواريخ، أعلن في طهران أن العقيد مهدي دهقان يزدلي الذي قضى في مطار تيفور، كان من الفاعلين المؤثرين في مجال الدفاع الجوي وإنتاج الصواريخ، ما يشير إلى أن الغارات الإسرائيلية تحقق أهدافها من إيران وحزب الله بدقة بعكس الضربات الأمريكية الفرنسية البريطانية الأخيرة.

من هنا جاء موقف طهران متناغماً إلى حد ما مع حدود وحجم وأهداف الضربات، وعينها ما تزال على الاتفاق النووي الذي هدد ترامب الانسحاب منه، وتعمل فرنسا وبريطانيا (الشريكتان في ضرب سوريا) ومعهما المانيا على الإبقاء عليه، ولكل مقام مقال.

لقاء بوتين واردغان وروحاني في انقرة

أنقرة رحبت بالعملية الغربية ضد النظام

إسطنبول - «القدس العربي»: إسماعيل جمال

تواصل تركيا محاولاتها المعقدة والحساسة لتجنب الوقوع في فخ الاختيار الصعب بين تحالفها الإستراتيجي مع حلف شمال الأطلسي «الناتو» وتحالفها التكتيكي الهام مع روسيا فيما يتعلق بتطورات الملف السوري، والذي دخل مرحلة جديدة مع العملية العسكرية التي نفذتها أمريكا وبريطانيا وفرنسا ضد النظام السوري.

هذا التحدي المتجدد لصناع القرار في تركيا دخل مرحلة جديدة من التعقيد عقب الهجوم الكيميائي الذي أجمعت معظم دول العالم على اتهام النظام السوري بتنفيذه، وما أعقبه من تهديدات دولية بالرد عليه عسكرياً، وهو ما ولد انطباعاً عاماً لدى المراقبين بأن أنقرة سوف تكون مجبرة على الاختيار بين تأييد الضربة الغربية وبالتالي خسارة «تحالفها التكتيكي» و«تعاونها الإستراتيجي» مع روسيا، أو معارضة الضربة وبالتالي خسارة «تحالفها الإستراتيجي» مع الناتو.

لكن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان سعى كالعادة إلى محاولة تقديم موقف متوازن في محاولة للتهرب من استحقاق هذا الاختيار الصعب بالتأكيد مجدداً على أن العلاقات مع روسيا والناتو غير متضاربة، وأن بلاده تعارض أخطاء البلدين في سوريا.

وقال أردوغان في خطاب له قبل يومين: «أولئك الذين يدعمون الأسد في سوريا يرتكبون خطأ، وأولئك الذين يدعمون الميليشيات الكردية (وحدات حماية الشعب) يرتكبون خطأ أيضاً. تركيا ستقف ضد الموقفين»، وهو الموقف الذي حاول من خلاله التأكيد على أن تركيا ليست في موقع الوقوف الكامل بجانب روسيا أو أمريكا في سوريا.

وفي خطوة متقدمة، أجرى أردوغان اتصالين هاتفيين مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين واتصالاً آخر مع الأمريكي دونالد ترامب، في محاولة على ما يبدو لتقريب المواقف ومنع تفجر الخلافات، حيث توقعت مصادر تركية أن يكون أردوغان لعب دور الوسيط في التقليل من حدة التحرك الغربي لكي يبقى في إطار توجيه ضربة محدودة للنظام، وتقليل احتمالات الصدام مع روسيا. وألمح أردوغان إلى ذلك بالقول: «يبدو أنّ الأجواء أصبحت لينة قليلاً، اتصالاتنا مستمرة».

الموقف التركي الحالي يبدو أنه تبلور تدريجياً عقب اتصالات أردوغان الذي فهمت من خلالها أنقرة أن التوجهات الأمريكية والغربية تتعلق بتوجيه ضربة محدودة للنظام، وأن الأمر لا يتعلق برغبة في إسقاطه أو بدء عمليات واسعة من حيث الزمان والمكان، وهو ما سهل عليها إمكانية الوصول إلى صيغة متوازنة لا تظهرها في موقف المدافع عن الأسد، ولا في موقف المعارض لتوجه كبرى دول «الناتو» وهو ما حصل بالفعل. فتركيا لديها موقف مبدئي من الأسد، وما زالت ترغب في إسقاطه بقوة لكن يقينها أن التحرك الغربي يتعلق بضربة خاطفة لن تؤدي إلى إسقاطه أو زعزعة مكانته جعلها تتمسك أكثر في الحفاظ على موقف متوازن لا يؤدي إلى تخريب علاقاتها مع روسيا، وما يؤكد صحة التقدير التركي ما أعلنته رئيس الوزراء البريطانية تريزا ماي، السبت، بشكل واضح أن الضربات لا تهدف لإسقاط نظام الأسد.

وفي هذا الإطار، حرصت أنقرة على عدم المشاركة بشكل مباشر في العملية العسكرية التي نفذت بشكل مشترك من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، كما أنها أكدت أن القوات الأمريكية لم تستخدم في الهجوم قاعدة إنجيرليك الجوية التي تتواجد فيها هذه القوات في مدينة أضنة التركية.

المتحدث باسم الحكومة التركية، بكير بوزداغ، أكد أن قاعدة إنجيرليك جنوب البلاد لم تستخدم في شن الضربات الغربية، موضحاً أن رئيسي الأركان التركي والأمريكي أجريا اتصالا قبل الضربات العسكرية في سوريا، بتعليمات من الرئيسين رجب طيب أردوغان ودونالد ترامب، ولفت إلى أنه جرى إبلاغ تركيا مسبقاً بهذه الضربات. لكن بوزداغ دعا أيضاً إلى «إنهاء التنافس وتحقيق حل سياسي بعيد عن حسابات المصالح، وإلا فإن إراقة الدماء ستستمر»، مجدداً التأكيد على أن «موقفنا واضح، وهو ضد نظام الأسد واستخدام الأسلحة الكيميائية والتقليدية والحرب الداخلية وقتل البشر وتهجيرهم».

وأكد الناطق باسم الرئاسة التركية إبراهيم كالين أنه لم يكن وارداً أن يتم ترك منفذ الهجوم الكيميائي على دوما بالغوطة الشرقية دون رد، وقال: «ندعو المجتمع الدولي أن يتوحد للعمل على منع أي هجوم كيميائي مستقبلي آخر في سوريا» وتابع: «كما نطالب بوقف المذابح بالأسلحة الكيميائية نطالب أيضاً بوقف الهجمات والمذابح التي يتم ارتكابها بالأسلحة التقليدية والعمل على الانتقال للحل السياسي النهائي».

السوري ونفت استخدام قاعدة إنجيرليك

وفي السياق ذاته، أعلنت الخارجية التركية ترحيبها بالعملية، وجاء في بيان لها: «نرحب بالعملية العسكرية التي ترجمت مشاعر الضمير الإنساني بأسره في مواجهة الهجوم الكيميائي على دوما»، لافتةً إلى أن تركيا تولي أهمية بالغة لضمان معاقبة مثل هذه الجرائم وتأسيس آلية لمحاسبة المسؤولين، وذلك من أجل الحيلولة دون تكرار حوادث مشابهة.

وعلى الرغم من الرغبة التركية الجامحة في إسقاط نظام الأسد، إلا أنها تخشى أن التطورات الأخيرة ستودي إلى إعادة تصعيد الحرب في سوريا في الوقت الذي عملت فيه مع موسكو وطهران منذ سنوات من أجل وضع حد لهذه الحرب ووقف آثارها السلبية على تركيا.

«كيميائي» ما قبل المونديال: الضربة وسياقها

وسام سعادة

شهران فاصلان عن نهائيات كأس العالم لكرة القدم التي تستقبل روسيا الاتحادية بطولتها العتيدة هذا العام. كما في ولبليد سوتشي للألعاب الشتوية لعام 2014، تنظر موسكو لهذا الاستحقاق الرياضي الكوكبي على انه مناسبة ثمينة لتثبيت «رجعة روسيا» كقوة امبراطورية عظمى خلفت وراءها مرحلة التشرّش والضياع التالية لانهيار الاتحاد السوفييتي.

«اولمبياد سوتشي» تبعته مباشرة انتفاضة شعبية في كييف شباط2014، أسرعت بالإطاحة بحكم الرئيس فيكتور يانكوفيتش الذي اعتمد حزبه، «حزب الأقاليم» على تأييد الشطر الشرقي من اوكرانيا، المائل صوب روسيا ثقافة وسياسة، بما استتبعه ذلك من انفصال شبه جزيرة القرم عن اوكرانيا وضمها من قبل الاتحاد الروسي، ثم رعاية موسكو للانفصاليين في حرب الدونباس المتقطعة والمتواصلة. التوتر تصاعد أيار/مايو المقبل، والحال ان فرنسا جمعت حاليا بين مشاركتها في الضربة، حيث توجهت طائراتها لقصف مركزي تخزين وإنتاج غازات سامة في منطقة حمص، وبين توليها التنسيق مع الروس لتفادي اصابة الوجود العسكري الروسي في سوريا بأي أذى.

تلاقت الدول الثلاثة على هدف، منع النظام من استخدام «الكيميائي» مجددا، وعدم السماح بجعل استخدام الكيميائي امراً عادياً. بالتالي، لا ضربة جديدة لفرض اجندة الحل السياسي كما تراه روسيا، وكما يظهر في المسودة الروسية للدستور السوري. برّياً، الوجود الروسي محدود، قياسا بالإيرانيين وأنصارهم، وهذا ما يحد من قدرة روسيا على فرض دفترها في سوريا، في الوقت نفسه الذي تحاسب فيه على ما يفعله حلفاؤها، بل تدافع عنهم هي بشكل لا يتناسب مع عرقلتهم لمساعيها تثمير النجاح الحربي سلماً.

وعملياً، لم يعد مطلوبا من بشار الأسد، بعد هذه الضربة، سوى «نسيان الكيمياء». لم يعد الغرب يطلب منه أي تسهيل لحل سياسي انتقالي. وليس هناك مؤشر إلى ان هناك مسعى لتجريم الأسد، يقارن في أقل تقدير بمذكرة توقيف عمر حسن البشير بعد دارفور.

في هذا يتلاقى الأمريكيون مع الإيرانيين: نسف أي سبيل إلى حل سياسي في سوريا. الروس كانوا يريدونه بالحرب، وبمسودة دستور، لعلها أفضل من معظم أدبيات الربيع العربي. الأسد واإليرانيون عطلوا مرادهم أكثر من سواهم، نظرا لمحدودية الوجود العسكري الروسي أو «نخبويته» قياسا على جيش النظام، وحرس الثورة، وتوابعهما.

في مونديال 2018 تشارك إيران والسعودية. اما المباراة الاولى، في 14 حزيران، فبين الدولة المضيفة وبين السعودية. الوقت المستقطع الذي يفصلنا عنها قد لا يشهد ضربة غربية جديدة في سوريا، وسيشهد الجواب الروسي عليها. أزمة كيميائي ما قبل المونديال متواصلة. السؤال الروسي الاساسي فيها عن ميدانها الاساسي، سوريا أم اوكرانيا. ليس هناك قلق في موسكو لجهة الغاء المونديال، وهم يعملون لأجله بجهد محموم، ويصعب تخيل مقاطعة غربية له على غرار مقاطعة اولمبياد موسكو 1980. لا يزال هذا يفرقنا عن الروس الحربي البارد، وان كان العالم اليوم، وكما يظهر في المسودة الروسية للدستور السوري. برّياً، الوجود الروسي محدود، قياسا بالإيرانيين وأنصارهم، وهذا ما يحد من قدرة روسيا على فرض دفترها في القارة»، من المباريات في كالينينغراد غير المتصلة برّا ببقية روسيا والتي تجاورها بلدان تنتمي كلها إلى الاتحاد الأوروبي، إلى كازان عاصمة تتارستان، إلى يكاترينبورغ شرق الأورال.

أما التدقيق الثاني فيتصل بالمغارفة: تسعى روسيا، بما اوتي لها، إلى انجاح مونديالها، وتقليل «مجال رؤية» آثار العقوبات الغربية وانهيار أسعار النفط على اقتصادها، لكنها تتصرف كما لو ان «المونديال» في مجرة، والموجة الحالية من التوتر مع المجموعة الغربية في مجرة ثانية.

«الكيميائي» هو العنوان الكبير لأزمة العلاقة بين روسيا والمجموعة الغربية «عشية المونديال». بدأت هذه الأزمة بخبر اغتيال سيرغي سكريبال في 4 اذار/مارس الفائت، في سالزبوري بانكلترا، العميل السابق للاستخبارات الروسية الذي جندته الاستخبارات البريطانية، وقد صادقت وكالة حظر الأسلحة الكيميائية في 12 من الشهر الجاري على ان سيرغي وابنته يوليا تعرضا لـ«عوامل نوفيتشوك» وهو من أعلى الغازات سمّية ومن «ابداعات» المخابرات السوفييتية في السبعينيات. قبل ان تصادق الوكالة على التشخيص البريطاني لطبيعة السم، وبالتالي «جنسية الصنع»، كانت اخر جيوب المسلحين المناهضين للنظام والآهلة بالمدنيين في الغوطة تتعرض لهجوم بغاز الكلورين. ليس بسعة الهجوم على خان العسل عام 2013 او خان شيخون في العام الماضي، لكنه هجوم أظهر توفر الأدلة عليه، بالنسبة للمعارضة السورية والمجموعة الغربية، الدليل على تحول «الكلورين» الى مادة سائبة ومستخدمة منذ أشهر في عدد من المعارك التي تخوضها الجيش السوري بمعية الطيران الروسي. الكلورين اقل تسميما من السارين، وأسهل تصنيعا، ولا يحرم بذاته كمادة، بل لاستخدامه العسكري، كما ان آثاره تزول ببطء أقل من آثار غاز السارين.

حدث عندها التلاقي بين البريطانيين والأميركيين على اعتبار استخدام موسكو للنوفيتشوك في قلب انكلترا، و«غضها الطرف» عن الكلورين، تحت ناظريها في سوريا، بمثابة تجاوز لقواعد اللعبة في مرحلة ما بعد نهاية الحرب الباردة. من هذه الزاوية، يكون الدافع إلى تسديد ضربة في سوريا فيها كم من التوتر حيال موسكو، التحذير من الدخول فعلا في مناخ حرب باردة منهجية جديدة، أكثر منه المضي فعلا في واحدة جديدة. في نفس الوقت، جاءت تغريدة «الصواريخ الأنيقة والذكية» لدونالد ترامب ردا، في واحدة من المفارقات، على تصريح لسفير روسيا في بيروت وليس أي مسؤول أعلى منه في الحكومة أو الخارجية الروسيتين، لتعيد إلى الأذهان لحظات «الرجفة» في أيام الحرب الباردة، حين كان يدب الهلع من ان حربا نووية سوف تقع (علما انها ليست المرة الاولى بعد سقوط الاتحاد السوفييتي يحدث فيها ذلك، فبوريس يلتسن حصل له نهاية التسعينيات، رغم كل ما يمثله الرجل في التاريخ الروسي من تبعية فظة للمجموعة الغربية، ان هدد واشنطن بالصواريخ النووية، خلال زيارة له الى بكين عام 1999، وردا على انتقاد من بيل كلينتون للحرب الروسية في الشيشان).

بدوره، سارع الرئيس الفرنسي فرنسوا ماكرون، للاقاة هذه الاندفاعة المزدوجة الأمريكية البريطانية. رغم ان زيارة ماكرون مرتقبة في موسكو في 24 من أيار/مايو المقبل، والحال ان فرنسا جمعت حاليا بين مشاركتها في الضربة، حيث توجهت طائراتها لقصف مركزي تخزين وإنتاج غازات سامة في منطقة حمص، وبين توليها التنسيق مع الروس لتفادي اصابة الوجود العسكري الروسي في سوريا بأي أذى.

تلاقت الدول الثلاثة على هدف، منع النظام من استخدام «الكيميائي» مجددا، وعدم السماح بجعل استخدام الكيميائي امراً عادياً. بالتالي، لا ضربة جديدة لفرض اجندة الحل السياسي كما تراه روسيا، وكما يظهر في المسودة الروسية للدستور السوري. برّياً، الوجود الروسي محدود، قياسا بالإيرانيين وأنصارهم، وهذا ما يحد من قدرة روسيا على فرض دفترها في القارة»، من المباريات في كالينينغراد غير المتصلة برّا ببقية روسيا والتي تجاورها بلدان تنتمي كلها إلى الاتحاد الأوروبي، إلى كازان عاصمة تتارستان، إلى يكاترينبورغ شرق الأورال.

أما التدقيق الثاني فيتصل بالمغارفة: تسعى روسيا، بما اوتي لها، إلى انجاح مونديالها، وتقليل «مجال رؤية» آثار العقوبات الغربية وانهيار أسعار النفط على اقتصادها، لكنها تتصرف كما لو ان «المونديال» في مجرة، والموجة الحالية من التوتر مع المجموعة الغربية في مجرة ثانية.

«الكيميائي» هو العنوان الكبير لأزمة العلاقة بين روسيا والمجموعة الغربية «عشية المونديال». بدأت هذه الأزمة بخبر اغتيال سيرغي سكريبال في 4 اذار/مارس الفائت، في سالزبوري بانكلترا، العميل السابق للاستخبارات الروسية الذي جندته الاستخبارات البريطانية، وقد صادقت وكالة حظر الأسلحة الكيميائية في 12 من الشهر الجاري على ان سيرغي وابنته يوليا تعرضا لـ«عوامل نوفيتشوك» وهو من أعلى الغازات سمّية ومن «ابداعات» المخابرات السوفييتية في السبعينيات. قبل ان تصادق الوكالة على التشخيص البريطاني لطبيعة السم، وبالتالي «جنسية الصنع»، كانت اخر جيوب المسلحين المناهضين للنظام والآهلة بالمدنيين في الغوطة تتعرض لهجوم بغاز الكلورين. ليس بسعة الهجوم على خان العسل عام 2013 او خان شيخون في العام الماضي، لكنه هجوم أظهر توفر الأدلة عليه، بالنسبة للمعارضة السورية والمجموعة الغربية، الدليل على تحول «الكلورين» الى مادة سائبة ومستخدمة منذ أشهر في عدد من المعارك التي تخوضها الجيش السوري بمعية الطيران الروسي. الكلورين اقل تسميما من السارين، وأسهل تصنيعا، ولا يحرم بذاته كمادة، بل لاستخدامه العسكري، كما ان آثاره تزول ببطء أقل من آثار غاز السارين.

حدث عندها التلاقي بين البريطانيين والأميركيين على اعتبار استخدام موسكو للنوفيتشوك في قلب انكلترا، و«غضها الطرف» عن الكلورين، تحت ناظريها في سوريا، بمثابة تجاوز لقواعد اللعبة في مرحلة ما بعد نهاية الحرب الباردة. من هذه الزاوية، يكون الدافع إلى تسديد ضربة في سوريا فيها كم من التوتر حيال موسكو، التحذير من الدخول فعلا في مناخ حرب

عقيدة بوتين الاستراتيجية على المحك

د. حسين مجدوبي

شنت القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية المكونة للنواة القوية للغرب، هجوما على منشآت سورية فجر السبت 14 نيسان/أبريل الجاري. وجرى تبرير الهجوم بالرد على استعمال نظام بشار الأسد أسلحة كيميائية ضد المدنيين في دوما. لكن العملية العسكرية تتعدى هذا التبرير المقدم وهي بمثابة رد على سياسة موسكو التي تقول ببداية نهاية الغرب العسكري، كما تشكل في الوقت ذاته امتحانا للعقيدة الاستراتيجية الروسية الجديدة بشأن الدفاع عن شركائها.

وتؤكد الدول الغربية استعمال نظام بشار الأسد أسلحة كيميائية في ضرب دوما خلال الأسبوع الماضي، ونفت سوريا القصف بل سارعت موسكو إلى اتهام لندن بفبركة الهجوم لأغراض استراتيجية. ومن الناحية العملية، كيف يمكن لنظام بشار الأسد استعمال السلاح الكيميائي وهو الذي يتقدم في جميع المناطق؟ ويبدو من رواية السلاح الكيميائي الذي لم يتأكد بعد بحكم استباق الغرب تنفيذ الهجوم قبل زيارة خبراء دوليين مكان الاعتداء المفترض، هو الإيحاء بأن روسيا فشلت في التصدي للحركات المسلحة ولا تمانع من استعمال نظام دمشق السلاح الكيميائي للانتهاء من النزاع.

وقبل التحقيق الدولي، وقع الهجوم الثلاثي الأمريكي–الفرنسي– البريطاني على منشآت سورية فجر السبت، حيث جرى، وفق وزارة الدفاع الروسية، توجيه 103 صواريخ من مختلف الأنواع جو–أرض ومجنحة ومن منصات مختلفة ومقنبلات روسية بالمحاذاة مع أجواء دول الحلف الأطلسي في أوروبا. كما جاء في وقت تحدث فيه روسيا الغرب من خلال ملف جزيرة القرم التي ضمتها وانتزعتها من أوكرانيا السائرة في فلك الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي.

كانت هذه المعطيات الجديدة والتطورات المتلاحقة إيذانا ببدء نهاية الهيمنة العسكرية للغرب على العالم وما يترتب عنها من التأثير على القدرة في صنع القرار السياسي. وتعد سوريا المنعطف الحقيقي بحكم أن التحليلات ذهبت إلى القول بقرار الكرملين حماية سوريا من أي تدخل غربي في إشارة قوية إلى نهاية صناعة القرار الدولي للغرب.

الصدد، كان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أعلن بداية اذار/مارس الماضي عن سياسة جديدة مفادها توفر روسيا على أسلحة لا تقهر وهي بهذا ستوفر الحماية لكل حلفائها. وكان الخطاب تحديا حقيقيا للغرب خاصة وأنه تزامن مع استعراض أسلحة تعتبر مرعبة حقا ومع انتشار عسكري للروس في كثير من أنحاء العالم بما فيها تسيير سفن قريبة من المياه الإقليمية الأمريكية وطيران مقاتلات أرض ومجنحة ومن منصات مختلفة وهي السفن الحربية والمقاتلات مثل الرافال الفرنسية وتورنيدو البريطانية والمقنبلات الاستراتيجية الأمريكية ب 1. ونجحت مضادات الطيران والصواريخ في اعتراض 71 صاروخا من أصل 103، وفي حالة صحة هذه الأخبار، يعتبر نجاحا كبيرا للجيش السوري لأنه بمضادات طيران قديمة نجح في اعتراض صواريخ متقدمة للغاية. وقد يكون هذا النجاح مضاعفا في حالة التأكد من اعتراض الصواريخ 12 التي استهدفت مطار دومير بالقرب من العاصمة دمشق.

لكن ما يمكن اعتباره نجاحا للجيش السوري قد يعتبر من جهة أخرى هزيمة لسياسة روسيا في الوقت الراهن ومستقبلا. في هذا وعليه، لا يعتبر الهجوم الغربي مدمرا لقدرات الجيش السوري لأنه كان محدودا واستهدف مبان بعضها خالية، كما أنه لن يؤثر على تقدم سيطرة القوات السورية على معظم أراضي البلاد، لكن في المقابل حمل هذا الهجوم رسائل رئيسية ليس لنظام الأسد بل للكرملين وللرد على خطاب الرئيس فلاديمير بوتين.

وهذه الرسائل هي:

في المقام الأول، رغم سيطرتها على أغلب الأراضي السورية، فروسيا لم تحسم النزاع السوري لصالحها بل ما زال الغرب يمتلك كلمة في التدخل متى شاء، وهو ما نفذه يوم 14 نيسان/أبريل من خلال عملية القصف. وقد حرصت الدول الغربية على تفادي ضرب أي مصالح روسية مباشرة في سوريا لتفادي الرد المباشر، لكن الهجوم يحمل في طياته نبرة «الردع العسكري» الغربي وتنفيذ تعهد أن هناك حدودا حمراء لا يمكن تجاوزها وإن تعلق الأمر بقوة عظمى في الواجهة الأخرى مثل روسيا.

في المقام الثاني، رغبت الدول الغربية في ضرب ودحض أطروحة دفاع روسيا عن سوريا إذا تعرضت دمشق لهجوم عسكري غربي. وعمليا، مقابل عملية القصف العسكري التي تبقى محدودة، أرادت روسيا تبرير موقفها بنجاح سوريا في إسقاط 71 صاروخا من أصل 103 بفضل مضادات طيران روسية وإن كانت قديمة، وكذلك إعلانها نيتها تسليم منظومة إس 300 إلى سوريا لتكون في مستوى التحديات العسكرية الغربية.

في المقام الثالث، ارتباطا بالنقطة السابقة، يسعى الغرب من وراء الهجوم للتلميح إلى أن الأطروحة الاستراتيجية للكرملين التي أعلنها بوتين بالدفاع عن الحلفاء مجرد كلام بدون تنفيذ عملي. ومن خلال هذا، تريد التشكيك في التزامات موسكو في الدفاع عن شركائها وخلق التشكيك والتردد لدى كل دولة ترغب في التحالف مع روسيا مستقبلا وتعتمد عليها لتأمين قومنها الأمني.

لقد انخرطت روسيا في الدفاع عن سوريا لمنع سقوطها في يد الغرب لأن فيها القاعدة العسكرية الوحيدة التي تمتلكها موسكو خارج الأراضي الروسية وهي طرطوس البحرية، والآن هناك حميميم الجوية. ولقد وظفت لهذا الغرض أسلحة متطورة ودفعت بالآلاف من جنودها للميدان للحفاظ على النظام السوري. لكن روسيا أخفقت في نقطتين رئيسيتين وهما:

في المقام الأول، لم تعمل على اعتراض الصواريخ الغربية التي استهدفت فجر السبت أهدافا سورية، ونشرت روسيا منظومة إس 400 في سوريا، وكانت عملية الاعتراض ستكون ناجحة لو قررت ذلك. ولا يفهم السر في عدم القيام باعتراض الصواريخ الغربية.

في المقام الثاني، لم تزود موسكو دمشق بمنظومة مضادة متطورة للصواريخ مثل إس 300 أو إس 400، بل الغرابة هي تصريحات موسكو بعد الهجوم نيتها تسليم إس 300 إلى سوريا، وعليه، لماذا لم تفعل من قبل وهي المدركة بالمخاطر التي تهدد دمشق؟

في أعقاب القصف، قال بيان صادر عن الرئاسة الروسية يقلق بوتين من الهجوم لأنه يعتبر عدوانا على دولة ذات سيادة، كما يعتبر انتهاكا صارخا للقانون الدولي، لكن لماذا لم تلتزم روسيا بتعهداتها باعتراض الصواريخ التي استهدفت سوريا؟

لقد وضع الغرب عقيدة بوتين الاستراتيجية على المحك من خلال هذا الهجوم العسكري، فهل ستردد روسيا عبر مفاجأة قوية أم ستلتزم الصمت؟

السعودية تشكل رأس الحربة في دعم الضربات في سوريا
ودول عربية تدعو لحل سياسي ينهي معاناة الشعب

قوات روسية قرب دمشق

الدوحة ـ «القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

تباينت المواقف العربية والخليجية تحديدا من الضربات التي وجهتها الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا لأهداف في سوريا بين مرحب مثل السعودية وحليفتها الإمارات، وداع إلى ضرورة الاسراع في إيجاد حل نهائي للأزمة التي يشهدها البلد منذ سنوات وساهمت في تشريد الملايين ووقوع مئات آلاف الضحايا وتدمير البنية التحتية.

وسارعت الرياض التي تحشد العدة لأي مواجهة لتوجيه سهام غضبها على غريمتها طهران، إلى مباركة الضربة التي قادتها الولايات المتحدة بالتحالف مع فرنسا وبريطانيا.

وأعلنت الخارجية السعودية تأييد المملكة للعمليات العسكرية التي قامت بها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، على أهداف عسكرية في سوريا. وجاء التصريح على لسان مصدر في الخارجية من دون تسميته، نقلته وكالة الأنباء السعودية (واس)، أن «العمليات العسكرية جاءت ردا على استمرار النظام السوري في استخدام الأسلحة الكيماوية المحرمة دوليا، ضد المدنيين الأبرياء بمن فيهم الأطفال والنساء، استمرارا لجرائمه البشعة التي يرتكبها منذ سنوات ضد الشعب السوري الشقيق».

ويراهن ولي العهد السعودي كثيرا على تدخل أمريكي ضد إيران واستقطابه للمعبه للعزف على وتر الخطر الإيراني وضروردة تقليم أظافرها وسحبها لستنفع مواجهة شاملة معها تنهكها وتستنزف قدراتها، أي إيران.

وسعت السعودية من خلال زيارة ولي عهدها لواشنطن لإقناع دونالد ترامب بضرورة حسم موضوع إيران بأسرع وقت ممكن، ومن خلال الساحة السورية، وهذا للتخفيف من حدة معاناتها في اليمن مع جماعة الحوثي باستنزاف قدرات غريمتها في دمشق.

الموقف السعودي تناغم تماما مع المنامة، ولم تتأخر مملكة البحرين في إعلان موقفها، ولحظات بعد إعلان السعودية لموقفها سارعت للتعبير عن تأيدها الكامل.

وشددت وزارة خارجية البحرين في بيان رسمي، إن هذه العملية العسكرية «كانت ضرورية لحماية المدنيين في جميع الأراضي السورية ومنع استخدام أي أسلحة محظورة من شأنها زيادة وتيرة العنف وتدهور الأوضاع الإنسانية».

كما أكدت المنامة على ضرورة تحرك مجلس الأمن الدولي للتحقيق في استخدام الأسلحة الكيميائية في الغوطة الشرقية، مشددة على أهمية تضافر كافة الجهود الرامية لإنهاء الأزمة السورية، والتوصل لحل سياسي لها.

الإمارات موقفها لم يختلف عن حليفتها الرياض والمنامة وهي الدول التي تنسق جهودها للخروج بمواقف مشتركة حيال القضايا التي تمر بها المنطقة.

وتعزف أبو ظبي على ذات النغمة في كل القضايا التي تتدخل فيها السعودية باستثناء التي لها علاقة بمصالحها الاستراتيجية الخاصة على غرار الأزمة في اليمن التي لها فيها طموحات تتجاوز سقف التعاون مع الرياض.

دولة قطر من جانبها أعربت عن تأييدها للعمليات العسكرية الأمريكية والبريطانية والفرنسية على أهداف عسكرية محددة يستخدمها النظام السوري في شن هجماته على المدنيين الأبرياء. وربطت الدوحة موافقتها للضربات بكونها تستهدف القدرات التي يستخدمها النظام في شن هجمات على السكان والمدنيين. واعتبرت قطر أن استمرار استخدام النظام السوري الأسلحة الكيميائية والعشوائية ضد المدنيين، وعدم اكتراثه بالنتائج الإنسانية والقانونية المترتبة على تلك الجرائم، يتطلب قيام المجتمع الدولي باتخاذ إجراءات فورية لحماية الشعب السوري وتجريد النظام من الأسلحة المحرمة دولياً.

وحملت الخارجية القطرية النظام السوري المسؤولية الكاملة عن الجريمة البشعة التي ارتكبها باستخدام أسلحة كيميائية ضد المدنيين في دوما بالغوطة الشرقية وغيرها من جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي أودت بحياة أطفال ونساء ومدنيين طوال السنوات الماضية.

وناشدت الدوحة مجلس الأمن الاضطلاع بمسؤولياته لوقف جرائم النظام واستخدامه الأسلحة المحرمة دولياً وتقديم مرتكبي تلك الجرائم للعدالة الدولية.

وكان موقف قطر واضحا بضرورة إيجاد حل نهائي للأزمة من دون تصعيد يساهم في زيادة منسوب التوتر، وعبرت عن دعمها لكافة الجهود الدولية الرامية للتوصل إلى حل سياسي يستند إلى بيان جنيف لعام 2012 وقرارات مجلس الأمن ذات الصلة، وبما يلبي التطلعات المشروعة للشعب السوري الشقيق في الأمن والاستقرار والحفاظ على وحدة سوريا الوطنية.

وعلى الطرف المقابل عبرت مصر عن «قلقها البالغ نتيجة التصعيد العسكري الراهن على الساحة السورية، لما ينطوي عليه من آثار على سلامة الشعب السوري الشقيق، ويهدد ما تم التوصل إليه من تفاهمات حول تحديد مناطق خفض التوتر».

وقال بيان رسمي صادر عن الخارجية المصرية إن القاهرة «تؤكد على رفضها القاطع لاستخدام أي أسلحة محرمة دوليا على الأراضي السورية، مطالبة بإجراء تحقيق دولي شفاف في هذا الشأن وفقا للآليات والمرجعيات الدولية».

وأضافت القاهرة أنها إذ تعبر عن تضامنها مع الشعب السوري في سبيل تحقيق تطلعاته للعيش في أمان واستقرار، والحفاظ على مقدراته الوطنية وسلامة ووحدة أراضيه من خلال توافق سياسي جامع لكافة المكونات السياسية السورية بعيدا عن محاولات تقويض طموحاته وآماله، فإنها تدعو المجتمع الدولي والدول الكبرى لتحمل مسئولياتها في الدفع بالحل السلمي للأزمة السورية بعيدا عن الاستقطاب، والمساعدة في ضمان وصول المساعدات الإنسانية إلى المحاصرين والمتضررين من استمرار النزاع المسلح».

وتأتي المواقف العربية المتباينة من ضربات الثلاثي الغربي من خلفية التحرك الأخير والذي لم يكن لحل الأزمة بقدر ما عبر عن ميزاج نزيل البيت الأبيض الذي حاول الخروج من الضغوط المفروضة عليه بسبب سياساته وملفاته المفتوحة مع المحققين في تورط موسكو في وصوله لسدة الحكم.

الهجوم على سوريا في ميزان القانون الدولي

نيويورك ـ «القدس العربي»:
عبد الحميد صيام

من أفضل ما قيل في جلسة مجلس الأمن يوم الجمعة الفائت حول الوضع في سوريا والهجوم المزعوم بالأسلحة الكيميائية على مدينة دوما مساء 7 نيسان/أبريل الماضي، ما قاله السفير البوليفي، ساشا سوليز، ملخصا المشهد: «لا يجوز أن تقاوم انتهاك القانون الدولي عن طريق انتهاك القانون الدولي».

لا أحد ينكر أن استخدام السلاح الكيميائي انتهاك رهيب للقانون الدولي حسب الاتفاقية الدولية لحظر الأسلحة الكيميائية التي دخلت حيز الانفاذ عام 1997. والاتفاقية تحظر استخدام الأسلحة الكيميائية وتطويرها وإنتاجها وتخزينها ونقلها على نطاق واسع. لكن الاتفاقية تسمح بإنتاج محدود جدا لبعض المواد الكيميائية للأغراض البحثية أو الطبية أو الصيدلانية أو الوقائية. فمجرد أن تنضم الدولة إلى الاتفاقية تصبح ملتزمة بمجموعة من القوانين والقواعد والالتزامات. وهو ما ينطبق على الدولة السورية بعد انضمامها للاتفاقية، طوعا أو كرها لا فرق، عام 2013.

فإذا ما وجدت دولة في حالة انتهاك أو شك بأنها أرتكبت انتهاكا لبنود الاتفاقية يصبح لزاما على المنظمة الراعية للاتفاقية وهي «منظمة حظر الأسلحة الكيميائية» ومقرها لاهاي بهولندا، التحقق من الانتهاك ونوعه وحجمه وتاريخه وأهدافه ومرتكبيه وضحاياه وتصبح الدولة هي المسؤولة عن الانتهاك.

إذن موضوع التحقق من التخلص من مخزونات الأسلحة الكيميائية وعدم إنتاجها والتخلص من المختبرات والمواد الخام ليس متروكا للدولة نفسها بل يجب أن تتم جميع عمليات التدمير والتخلص من امكانية إنتاج الأسلحة بموجب آليات التحقق التي تستخدمها منظمة حظر الأسلحة الكيميائية فقط. وفي الحالة السورية وبعد اعتماد القرار 2118 بتاريخ 27 أيلول/سبتمبر 2013 أصبح لزاما على الدولة القيام بتدمير ترسانتها من الأسلحة الكيميائية تحت إشراف دولي من مجلس الأمن صاحب القرار ومن منظمة حظر الأسلحة الكيميائية حيث تم اختيار الهولندية سيغرد كاغ لتنفيذ المهمة خلال عام.

حق استخدام القوة في العلاقات الدولية

حدد ميثاق الأمم المتحدة بكل وضوح الحالات التي يمكن للدولة أن تدخل في عمليات عسكرية مع دولة أخرى، وهاتان الحالتان هما حق الدفاع عن النفس حسب نص البند 51. والحالة الثانية بتفويض من مجلس الأمن بعد تقييم وضع المعتدي الذي لا يرتدع. ومن حق الدولة أن تطلب مساعدة من الأمم المتحدة أو من دولة أو من مجموعة دول لردع العدوان.

وتنص المادة 41 على أن: «لمجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته، وله أن يطلب إلى أعضاء الأمم المتحدة تطبيق هذه التدابير، ويجوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريدية والبرقية واللاسلكية وغيرها من وسائل المواصلات وقفا جزئياً أو كليا وقطع العلاقات الدبلوماسية».

أما إذا فشلت كل الإجراءات السابقة فتأتي المادة 42 التي تنص على: «إذا رأى مجلس الأمن أن التدابير المنصوص عليها في المادة 41 لا تفي بالغرض أو ثبت أنها لم تف به، جاز له أن يتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم والأمن الدوليين».

ويشترط الميثاق من الدولة التي تمارس حق الدفاع عن النفس أن تبلغ مجلس الأمن فورا بمجرد بدء عمليات القتال. أما بالنسبة للتفويض فيأتي ذلك على صيغة قرار من مجلس الأمن يعطي الدولة المعتدى عليها القيام بعمليات عسكرية أو قد يفوض مجموعة أخرى للقيام بالعمليات العسكرية أو قد يبقي باب الانضمام إلى الدولة أو الدول التي ستقوم بالعمليات العسكرية مفتوحا.

وفي هذا السياق حصلت الولايات المتحدة على تفويض من مجلس الأمن بعد هجمات الحادي عشر من ايلول/سبتمبر 2001 حق الدفاع عن النفس وردع العدوان حيث صنفت الهجمات على أنها «عدوان على الولايات المتحدة». كما اعتمد مجلس الأمن القرار 678 في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1990 الذي طالب العراق بالانسحاب من الكويت خلال 45 يوما وإلا فمن حق الدول الأعضاء أن «تستخدم كافة الوسائل الممكنة لإجبار العراق على الانسحاب» وهو ما اعتبر تفويضا شرعيا لتلك الحرب التي أطلق عليها «عاصفة الصحراء» وانتهت بتحرير الكويت.

العملية العسكرية التي شنتها القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية مساء الجمعة (بتوقيت واشنطن) هي أقرب من الناحية القانونية إلى «عملية حرية العراق» عام 2003 والتي لم تأخذ تفويضا من مجلس الأمن ولم تكن حربا دفاعية. قامت الولايات المتحدة بشنها بناء على تهمة ملفقة بامتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل بينما كان مفتشو الأمم المتحدة (أونموفيك) ومفتشو الوكالة الدولية للطاقة الذرية منتشرين في العراق. المهلة لم تعط للمفتشين وشن جورج بوش الحرب التي صنفها كوفي عنان في ما بعد «غير شرعية».

مقاتلة بريطانية

الأسلحة الكيميائية عبر التاريخ

مع استمرار استخدام نظام الأسد الأسلحة الكيميائية ضد الشعب السوري، والتي كان آخرها في الغوطة الشرقية قبل بضعة أيام، وأسفر عن سقوط 78 مدنياً، عاد الحديث عن استخدامات المواد الكيميائية في الحروب إلى الواجهة مجددا.

وتتمتع الأسلحة الكيميائية برخصها وفعاليتها مقارنة مع نظيرتها التقليدية، ويتم إنتاجها بطرق سهلة حتى في المخابر البسيطة.

وتُعد كل من غازات الخردل، والسارين، والأعصاب «VX»، والأرسين، وسيانيد الهيدروجين، والتابون، والكلور، والفوسجين، من أشهر المواد الكيميائية السامة، إذ تؤدي إلى أضرار في الأجهزة العصبية، والتنفسية، والعضلات، والقلب.

ويعتبر غاز فلوريد الكبريت أكثر الغازات السامة شهرة، لما يخلفه من آثار كبيرة على البشر، حيث يؤدي إلى حروق في الجلد، وتدمير للعضلات، وانهيار الجهاز العصبي، فضلا عن فقدان البصر.

أما السارين والياتون، فتعرف بغازات الأعصاب أيضا، حيث تؤثر على الجهاز العصبي وتؤدي إلى فقدان الوعي، والعمى، والشلل، في حين يُعد غاز «في إكس/VX» أكثر غازات الأعصاب فتكا، إذ يمكنه قتل الإنسان خلال دقائق عديدة.

ويصنف الكلور والفوسجين ضمن الغازات الخانقة، حيث يؤثران على الجهاز التنفسي والقلب، ويؤديان إلى الاختناق وتوقف مفاجئ.

جرى استخدام الأسلحة الكيميائية سواء كانت بحالة غازات أو سوائل، في الكثير من الحروب والمجازر على مر التاريخ.

ووقع أول هجوم بهذا النوع من الأسلحة في القرن السادس قبل الميلاد في العهد اليوناني القديم، لدى حصار جيش أثينا لمدينة «كيرها»، حيث مزج الجيش نباتات «الخربق» بمياه الشرب، ما أسفر عن تسمم جنود الأعداء والمدنيين بالمدينة.

ونفذ الجيش الفرنسي واحدا من أكبر الهجمات الكيماوية حصدا للأرواح، عام 1845، خلال احتلال الجزائر، حيث حبس نحو ألف سجين أمازيغي في إحدى المغارات وقام بتسميمهم جميعا.

وفي القرن العشرين، تم استخدام الأسلحة الكيميائية بكثرة، حيث سقط أكثر من مليون شخص خلال الحرب العالمية الأولى نتيجة استخدام فرنسا وألمانيا وبريطانيا للغازات السامة.

215 هجوما كيميائي لنظام الأسد

حسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان فإن نظام الأسد شنّ منذ بداية الاحتجاجات بالبلاد 215 هجوما بالأسلحة الكيميائية. ووقعت مجزرة الكيميائي الكبرى في سوريا بمنطقة الغوطة الشرقية ومعضمية الشام بتاريخ 21 أغسطس/آب عام 2013، حيث راح ضحيتها أكثر من ألف و400 مدني، وتؤثر عدد آخر كبير غالبيتهم من الأطفال والنساء.

وارتكب النظام السوري ثاني أكبر مجزرة كيميائية له بتاريخ 4 أبريل/نيسان 2017 في مدينة خان شيخون بريف محافظة إدلب، إذ أسفرت عن سقوط أكثر من 100 مدني.

صواريخ ترامب «الجميلة الذكية» لن تغير ميزان الحرب في سوريا

إبراهيم درويش

ماذا سيحدث بعد معاقبة بشار الأسد على الهجوم الكيميائي في بلدة دوما يوم 7 نيسان (إبريل)؟ وماذا ستفعل أمريكا دونالد ترامب التي كانت تتحدث قبل أسبوع عن خروج قريب لقواتها من سوريا؟ فقد تمت هزيمة تنظيم «الدولة» ولهذا أمر ترامب قادته بالتحضير للخروج وأعطاهم 48 ساعة، وهو ما أدى لذهول بين المسؤولين في البنتاغون الذين أقنعوا الرئيس بأن يؤجل الإنسحاب لستة أشهر. إلا أن الهجوم الكيميائي كشف عن معضلة الرئيس الأمريكي الذي كان يفكر بترك سوريا لدول المنطقة بل وطلب في نهاية العام الماضي من الملك سلمان مساهمة مالية لتحقيق الإستقرار هناك.

وعملية محددة ضد قصور الأسد ومنشآته العسكرية في دمشق وحمص لن تغير من ميزان الحرب، فلم يعد هناك ما يمنعه من الانتصار بسبب حماته الروس والإيرانيين. لكن مشكلة الرئيس، كما تقول «إيكونوميست» (2018/4/12) أنه لا يعرف ما يريد تحقيقه بل ويقوم ببذر الشكوك حول الأهداف الأمريكية. ففي الوقت الذي كان يتحدث فيه عن الحملة الناجحة ضد تنظيم «الدولة» الإسلامية في الأمم المتحدة، ومواجهة التأثير الإيراني، والمساعدة على عودة اللاجئين السوريين وتنظيف سوريا من أسلحة الدمار الشامل. وتبتعد هذه الإستراتيجية عن رؤية ترامب القائمة على تدمير تنظيم «الدولة» والانسحاب سريعا. وقد لقيت رؤية تيلرسون قبولا لدى خبراء السياسة الخارجية مع وجود شكوك حولها. ووصف روبرت فورد، آخر سفير أمريكي لسوريا قبل الثورة الخطة بالجيدة، لكن لا يمكن تحقيقها في ضوء ما هو متوفر من مصادر والواقع على الأرض. وقال فورد إن عناصر تنظيم القاعدة في شمال–غرب سوريا بعيدين عن القوات الأمريكية فيما انهارت كل جولات السلام التي أشرفت عليها الأمم المتحدة، فيما لا تستطيع القوات الأمريكية في الشرق الوقوف أمام تأثير إيران في الغرب من سوريا ولم يظهر الأسد أي رغبة بالتخلي عن استخدام السلاح الكيميائي حيث يجد دعما من روسيا والصين في الأمم المتحدة واللتان تقفان أمام أي جهود لردعه. كل هذا لا يعني التخلي عن المهمة الأمريكية في الشرق، فحتى لو لم يظهر تنظيم «الدولة» فخروج القوات الأمريكية سيخلق فراغا يدفع الإيرانيين والروس للمُلء واستعادة المناطق. وستتعامل إيران وبالضرورة روسيا على خروج الأمريكيين من سوريا كمقدمة للانسحاب من العراق وربما من كل الشرق الأوسط. كما وستسارع تركيا بضرب الأكراد وسيختفي كل الاستقرار النسبي الذي جلبه الأمريكيون لمناطق شرق سوريا. ومعه ستفقد الولايات المتحدة أي فرصة لتشكيل مستقبل سوريا. ولا يريد حلفاء أمريكا في المنطقة، خاصة السعودية وإسرائيل جلاء القوات بل زيادتها. كما أن وزير الخارجية الجديد مايك بومبيو ومستشار الأمن القومي الجديد جون بولتون من دعاة مواجهة إيران لا التنازل لها. وفي الوقت نفسه لا يزال وزير الدفاع جيمس ماتيس ملتزما بإنهاء المهمة ويمكنه إقناع ترامب الذي يتبع ما يعتقد أنه صحيح وما يرى أنه مهم لمصالح قاعدته الشعبية، فلو كان الانسحاب السريع هو ما وعد به فمن المحتمل أن يحدث.

وهناك اشكالية أخرى تؤكدها العملية الأخيرة في سوريا هي أن اللاعبين الثلاثة فيها قرروا إطلاق صواريخهم على دمشق في ظل ضعف آلية منع الحرب والحفاظ على السلام في العالم وهي الأمم المتحدة. وعندما كان يقول انطونيو غويترش، الأمين العام للأمم المتحدة أن الحرب الباردة عادت وبانتقام كان يؤشر إلى ضعف مؤسسته الدولية ومجلس الأمن الذي عسكرت فيه القوى العظمى الفيتو من أجل مصالحها. والخطورة في الأمر أن كلا من ترامب الذي يدير سياسته الخارجية عبر التويتر، وتيريزا ماي التي خسر حزبها المحافظ غالبيته في البرلمان مع إيمانويل ماكرون، الرئيس الفرنسي تدفعهما المصالح الداخلية، ومشاكلهما التي تخدم الحروب الخارجية في التعمية عليها. وكما قالت صحيفة «نيويورك تايمز» (2018/4/13) فإن الهجوم المنسق ينم عن اسلوب ترامب الذي يتعامل مع العمل العسكري كلعبة والسياسة الخارجية كأسلوب تهكم على الإنترنت، ويعتقد أنه كفائد أعلى للقوات المسلحة يمكنه اتباع رغباته.

وأضافت إن الرد مع ذلك جاء منسقا مع بريطانيا وفرنسا، وقال إنه من أجل «حماية المصالح القومية الحيوية للولايات المتحدة». ولاحظت الصحيفة أن رسالته في بداية الأسبوع كانت أكثر عنجهية لروسيا الداعمة للأسد «استعدي للصواريخ الجميلة الجديدة الذكية» وغيرها ليلة الجمعة بلهجة أكثر هدوءا حيث قال إن الدول تقاس بالصديق الذي تصادقه. وأكد وزير الدفاع ماتيس إن الهجوم كان ردا وحيدا مثل الغارة الجوية العام الماضي على قاعدة عسكرية واستهدف مخازن السلاح الكيميائي، ولكنه حذر من هجمات أخرى لو استخدمت سوريا السلاح الكيميائي. وقالت إن الهجوم الكيميائي الأخير على دوما كان حادثا مريعا، إلا أن ماتيس حاول تأخير الغارات الجوية لأنه شعر بالحاجة لأدلة للتثبت والتأكد من صحة الإتهامات للحكومة السورية. ولكنه في ليلة الجمعة نسب الهجوم الكيميائي لنظام الأسد.

وقيل إن ماتيس كان قلقا من إمكانية المواجهة مع الروس والإيرانيين في ساحة حرب تحتشد بالمتنافسين والفصائل والإرهابيين والقوات الأمريكية والقوى الأجنبية. وقال يوم الجمعة إن الغارات اختيرت بعناية لتخفيض مخاطر ضرب قوات غير– سورية. وتقول «نيويورك تايمز»: «إن استعداد ماتيس وقدرته للوقوف أمام صرخات ترامب والحفاظ على الثقة في إدارة تمثلُ بالمتلقين هو الشيء الوحيد الذي يجعل أمريكا تبتعد عن التورط عميقا في عمليات عسكرية غير مخطط لها». وعن قانونية الهجوم الحالي بناء على ميثاق الأمم المتحدة تقول الصحيفة، أن الهجوم مبرر إن كان كحالة للدفاع عن النفس أو بقرار من مجلس الأمن الدولي، فالأول لا ينطبق على هذه الحالة أما الثاني فلا يمكن في ضوء الفيتو الروسي في المجلس. وبناء على الدستور الأمريكي فسلطات الحرب موزعة بين الكونغرس والرئيس. وحسب رأي الخبراء القانونيين أكد الآباء المؤسسين على دور الكونغرس في إصدار قرار الحرب إلا عندما يتعرض البلد للهجوم. ومنذ الحرب العالمية الثانية دفع الرؤساء الأمريكيون باتجاه استخدام سلطتهم التنفيذية وشنوا سلسلة من العمليات العسكرية بدون مصادقة من الكونغرس، وفعل ترامب الشيء نفسه عندما أطلق 59 صاروخ كروز على قاعدة جوية بعد الهجوم على خان شيخون قرب إدلب. إلا أن الكونغرس ومنذ قانون سلطات الحرب عام 1973 والذي من المفترض أن يعطيه السلطة لاستعادة نفوذه من الرئيس كان سجله متناقضا.

وتوصل خبراء القانون إلى ان الرئيس يمكنه إصدار أمر عسكري حال اعتقد أنه يخدم المصلحة القومية. وهناك استثناءان يتعلقان بغزو أفغانستان عام 2001 بعد هجمات 11/9 ومواجهة تهديد الزعيم العراقي صدام حسين عام 2002. واستخدم الرئيس باراك أوباما وترامب الآن هذين القرارين 37 مرة لتبرير الهجمات على تنظيم «الدولة» وجماعات متشددة أخرى في 14 دولة منها اليمن والفلبين وكينيا وإريتريا والنيجر. وقد سمح للكونغرس الذي يقوده الجمهوريون تجنب النقاش العام حول الحرب وبالضرورة المسؤولية عن إرسال الجنود إلى المعركة. وتحذر الصحيفة قائلة إن التفسيرات لهذا القانون تعطي يدا حرا لأشخاص لا يفكرون مثل ترامب وربما بدا خطيرا لو قرر الهجوم على كوريا الشمالية وإيران.

ورغم الضربة المحدودة التي بدت وكأنها محاولة لتجنب المواجهة مع حلفاء الأسد، إلا أن الخبراء يعتقدون أنها مرحلة تصعيد جديدة. وقد تؤدي إلى دائرة تورط الولايات المتحدة عميقا في النزاع السوري. وحسب الجنرال المتقاعد جيمس دوبيك، الباحث البارز في معهد دراسات الحرب: «في ضوء الرابطة بين روسيا وإيران والأسد، فأي هجوم نعتقد أنه محدود ودقيق يمكن أن يسيء واحد من الأطراف الثلاثة فهمه ويكون مبررا لغارتهم الإنتقامية» و«عندها ماذا سنفعل؟». وقالت صحيفة «واشنطن بوست» (201/4/13) إن من السيناريوهات المحتملة للرد هجمات إيرانية ضد القوات الأمريكية في سوريا تشنها الجماعات الوكيلة عن إيران. وردود منسقة من خلال غارات الكترونية. كما أن أثر الغارات الأخيرة غير حاسم في منع الأسد الراغب باستعادة السيطرة على كل البلاد وتدعيم ما حققه من إنجازات خلال العام الماضي. ويرى فورد الذي يعمل الآن في معهد الشرق الأوسط وجامعة ييل، أن الأسد سيردع عن استخدام السلاح الكيميائي لو اتبعت الولايات المتحدة العمليات بعمليات أخرى حال ارتكاب مجازر جديدة. وقال «لا أعتقد أنه سيكون الهجوم الأخير لو أردت أن تستخدم عصا الـردع». وأضاف أن قوات الأسد تستخدم السلاح الكيميائي لعدم توفر القوات اللازمة وقد يحاول الأسد «امتحان»الأمريكيين. إلا أن العملية الأخيرة تأتي في وقت لم تعد فيه الولايات المتحدة معنية برحيل الأسد بقدر ما هي مشغولة بتهيئة جنودها للرحيل. وكما يرى كينث بولاك، المحلل السابق في «سي آي إيه» والباحث في معهد أمريكان إنتربرايز: «طالما كان لديك استراتيجية تترك الأسد في مكانه وتسمح له بقتل شعبه كما يريد فإنه سيفعل هـذا» و «وربمـا استخدم العوامل الكيميائية». وحتى توقف الولايات المتحدة الأسد عن ارتكاب جرائمه يقول فورد «إننا نقترب من سيناريو تغيير النظام لأنه يقصف شعبه كل يوم». و«بالنسبة لي فهذا سيجرنا للحرب ولست واثقا أننا قادرون على التحكم بما سيحدث». وتثير الغارات الجوية أسئلة حول استعداد الولايات المتحدة التحرك عندما يستخدم الأسد السلاح الكيميائي ولكن لا تفعل شيئا عندما يقتل شعبه بأسلحة تقليدية، وهو ما يطرح أسئلة حول الانتقائية في عملية القتل أو كما تقول مارا كارلين، المسؤولة السابقة في إدارة أوباما: «كم هو فظيع أننا نشعر بالغضب على طريقة معينة في قتل الأطفال السوريين ولكن ليس أخرى».

وربما كان الدافع هو أن الأمريكيين يشعرون بالراحة أنهم فعلوا أمرا جيدا، مع أن بولاك يعترض قائلا «لا. فقد قتل 500.000 سوري ولم نفعل شيئا». وفي المحصلة فالغارات الأخيرة هي عرض عن ان السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط تتراجع منذ بيل كلينتون، وتميزت بمحاولة كل رئيس محو ما عمله الآخر أي «كلما جاءت أمة لعنت أختها» وانتهت أمريكا بأنها لا تعرف الدور الذي تريد لعبه. وقرأنا كثيرا الأسبوع الماضي عن غياب الخطة والرؤية والهدف والسياسة الواضحة. ففي ظل رئيس تلاحقه الفضائح، فسوريا توفر له فرصة لمخاطبة قاعدته وتجاوز العاصفة. وقيل أن ترامب ألغى رحلة مهمة له إلى أمريكا اللاتينية لمواجهة الأزمة السورية، وفي الحقيقة كما نقلت مجلة «تايم» في عددها الأخير كان معنيا أكثر بما حدث لحاميه الخاص مايكل كوهين، ومداهمة محققي مكتب التحقيقات الفدرالي مكتبه. ويبدو كما تقول المجلة أن ماضيه يلاحقه ولم يعد يستطيع الفكاك منه. ومن هنا تظل سوريا عرضا جانبيا في عاصفة اسمها «ستورمي».

تقارير اخبارية

لماذا تخشى إسرائيل مسيرة العودة السلمية؟

مشهد من مسيرات العودة

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

تواصل إسرائيل البحث عن كل وسيلة للتخلص من مسيرات العودة في غزة وإطفاء جذوتها لأنها تخشى من جرها لحرب تستنزف طاقاتها وتنهك جيشها ولا تستطيع أن تخرج منها بصورة إيجابية وهي تستخدم الرصاص مقابل متظاهرين مدنيين. وتخشى إسرائيل من أن هذا النضال المدني على طراز الانتفاضة الأولى سيعيد للقضية الفلسطينية ألقها وشعبيتها في العالم ويسلط الضوء على حقيقة الحصار السياسي الظالم المفروض على غزة منذ 11 عاما ويحولها لأكبر سجن في العالم.

ورغم موازين القوى تخشى إسرائيل من كل نشاط سلمي فلسطيني يفضح انتهاكاتها ويعرضها لضغوط في العالم ويغذي حملة المقاطعة الدولية كما تجلى في قضية دخول رئيس بلدية دبلن البلاد رغم أمر حظر دخوله. إسرائيل طالما كانت وما تزال معنية بلجوء منظمات المقاومة في غزة لاستخدام وسائل قتالية تتيح لها الرد بقوة حاسمة «دفاعا عن النفس» وتظهر في المواجهة الضحية المعتدى على سيادتها ومدنيها من قبل «داعش الفلسطيني»، حماس والجهاد الإسلامي. ولذا حاولت إسرائيل دون جدوى كَيّ وعي الفلسطينيين وترهيبهم ففتحت بنيرانها على مسيرة العودة الأولى بغية القضاء عليها بالضربة القاضية وإخماد ناره. وإزاء الاحتجاجات في العالم على مشاهد المجزرة اضطرت لتخفيف نيرانها على المسيرتين التاليتين وبالتزام تحاول إحكام الخناق على غزة لردع سكانها عن المشاركة في نضال مدني طويل يستنزفها ويحرجها ومن ضمن ذلك منع مداواة جرحى رصاصها خارج القطاع.

وكان مركز «عدالة» ومركز «الميزان» لحقوق الإنسان غزّة، قد قدّما التماسًا للمحكمة الإسرائيلية العليا يطالبان فيه بخروج الجريحين يوسف الكرنز ومحمد العجوري من قطاع غزّة لتلقّي العلاج في مستشفيات رام الله بسبب حالتهم الحرجة. وكانت المحكمة الإسرائيليّة قد تجاوبت مع مماطلة سلطات الاحتلال لعقد جلسة للنظر في الالتماس، مما أدى إلى بتر ساقيّ الجريح محمد العجوري وبتر ساق الجريح يوسف كرنز. هذا وتركّزت الجلسة التي عُقدت الخميس الماضي في إمكانيّة نقل الجريح يوسف الكرنز إلى رام الله وذلك لمنع بتر ساقه الثانية. من جهتها، أوصت المحكمة السلطات الإسرائيليّة بنقله للعلاج في الضفة الغربيّة، إلا أن وزارة الأمن الإسرائيليّة رفضت التوصية متمسكةً بردّها الذي يؤكّد أن الجريح «يستوفي الشروط الطبيّة لنقله» إلا أن الوزارة ترفض نقله بسبب إصابته خلال مشاركته في مسيرة العودة. في أعقاب الأمر الاحترازيّ، طالبت المحامية سوسن زهر من مركز عدالة بعقد جلسة عاجلة يوم الجمعة نظرًا لخطورة الحالة الطبيّة، إلا أنّ المحكمة أصرّت على المماطلة ورفضت طلب الملتمسين.

وقال المدير العام لمركز الميزان لحقوق الإنسان، عصام يونس أنّه «رغم الحالة الإنسانيّة المروّعة، ورغم تحذيرنا أمام المحكمة العليا من مغبّة المماطلة التي أدّت إلى بتر سيقان الجريحين، إلا أن المحكمة تستمر في مماطلتها وإهدار الوقت الثمين دون البت في القضيّة. مؤكدا أن هذه السياسة تدل على أن قطاع غزّة بالنسبة للسلطات الإسرائيليّة هو السجن الأكبر في العالم حيث يقتل الناس ويُصابون برصاص جيش الاحتلال دون أن يتلقّوا العلاج الطبيّ الملائم، وهو ما يعرّفه القانون الدوليّ كجريمة حرب.

على خلفية استمرار القمع الإسرائيلي دعا الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، أمام مجلس الأمن الدولي إلى إجراء «تحقيق مستقل وشفاف» بشأن جرائم الاحتلال في مواجهة مسيرات العودة في قطاع غزة. وقال خلال اجتماع للمجلس لبحث الوضع في الشرق الأوسط وخصوصا في سوريا «إن أعمال العنف الأخيرة في غزة أوقعت قتلى وجرحى من دون طائل». وأضاف «أدعو الأطراف إلى الامتناع عن أي عمل يمكن أن يوقع ضحايا جدد، وعن كل إجراء يمكن أن يعرض المدنيين للخطر». وتابع «أن هذه المأساة تؤكد الطابع الملح لإعادة إطلاق عملية السلام من أجل حل الدولتين الذي سيتيح للفلسطينيين والإسرائيليين العيش في دولتين ديمقراطيتين جنبا إلى جنب في سلام وأمن داخل حدود معترف بها»، على حد تعبيره. وخلال مؤتمر صحافي في الأمم المتحدة، قال ممثلو تونس والكويت وفلسطين وجامعة الدول العربية إنهم يعطوا برسالة إلى مجلس الأمن، الجمعة، للفت انتباهه إلى الوضع في غزة. وجاء في الرسالة «ندعو المجتمع الدولي على وجه السرعة لتحمل مسؤولياته، والعمل على وقف عمليات القتل والإصابات المتعمدة التي يتعرض لها المدنيون الفلسطينيون.

وأضافت الرسالة أن الفلسطينيين اختاروا «مسارا سلميا» للتعبير عن مطالبهم. وندد السفير الفلسطيني رياض منصور بـ«فشل مجلس الأمن» في تحمل مسؤوليّته، مشيرا إلى أن 14 من أصل أعضاء المجلس الـ15 يؤيدون إجراء تحقيق مستقل لكن هناك دولة واحدة فقط تعارض ذلك، مشيرا بذلك إلى الولايات المتحدة بشكل ضمني.

للجمعة الثالثة على التوالي، شارك عشرات آلاف الفلسطينيين في قطاع غزة في فعاليات مسيرة العودة الكبرى، التي تمت تحت عنوان «جمعة رفع العلم»، واستشهد فيها الشاب إسلام حرز الله (28 عامًا) بنيران قوات الاحتلال، وأصيب أكثر من 1000 آخرين، بينهم صحافيون وأعضاء طواقم طبية.

وقال الناطق باسم المركز الطبي التابع للهلال الأحمر الفلسطيني في غزة، محمد أبو مصبح إن قوات الاحتلال تستهدف طواقم الإسعاف الأولي أيضا. وتابع أبو مصبح «صحيح أن الشارة الطبية يفترض ان تحمي الطاقم الطبي، لكن في مثل هذه الظروف نحن ننزل للميدان بأجسادنا، بلا دروع ولا دبابات».

في انتظار قرار مجلس الأمن الدولي بشأن بعثة المينورسيو

تحركات جبهة البوليساريو شرق الجدار الأمني تستفز المغرب

الجدار الأمني

الرباط ـ «القدس العربي»: محمود معروف

تواصل دق طبول الحرب بمنطقة المغرب العربي، وارتفاع حدة التهديدات وتكثيف الحشود العسكرية، لا يعني ان الحرب على الأبواب، أو انها ستقع، انها أصوات سنوية تسبق، عادة، قرارا دوليا جديدا يصدره مجلس الأمن الدولي ذات صلة بالنزاع الصحراوي، لكنها هذه المرة كانت أكثر ارتفاعا وأشد، لأنها كشفت عن تحولات ميدانية، حتى لو لم تكن عسكرية، لكنها تنعكس على الحرب في الميدان الإعلامي والدبلوماسي، الذي بات منذ 1991، الميدان الوحيد للنزاع بين المغرب وجبهة البوليساريو المدعومة من الجزائر.

وتتمثل هذه التحولات في تشييد جبهة البوليساريو لبان في المنطقة العازلة شرق الجدار الأمني الذي يزنر به المغرب 80 في المئة من الصحراء الغربية التي استردها المغرب من اسبانيا 1976 وتسعى جبهة البوليساريو لانفصالها واقامة دولة مستقلة عليها، وحسب التقارير التي تم تداولها، فان هذه المباني مخصصة مقرات لمؤسسات الجبهة وجمهوريتها بالإضافة إلى مخيمات للصحراويين اللاجئين منذ 1976 في منطقة تندوف الجزائرية.

المغرب وبعد الكشف عن هذه التحولات، قام باتصالات سريعة مع الأمم المتحدة وتحركات دبلوماسية مكثفة في عواصم عدد من الدول الكبرى والمعنية بالنزاع، لأنه يرى في هذه التحولات انتهاكا لاتفاق وقف إطلاق النار رقم 1 لسنة 1991، الذي اعتبر المناطق الصحراوية الواقعة جنوب الجدار الأمني على الحدود مع موريتانيا وشرقه على الحدود مع الجزائر (20 في المئة من الصحراء المتنازع عليها) منطقة عازلة تحت اشراف بعثة الأمم المتحدة بالمنطقة (مينورسيو) التي تقيم فيها نقاط عسكرية أو تسيير دوريات مسلحة، على ان لا يقوم أي من أطراف النزاع إحداث أي تغييرات في المنطقة.

وحاولت جبهة البوليساريو خلال السنوات الماضية الاحتكاك بهذه المنطقة، ان كان في تحركات عسكرية أو سياسية في المنطقة شرق الجدار، مثل عروض عسكرية في منطقة تيفاريتي بمناسبات سياسية أو توليها الاشراف على زيارة بن كي مون الأمين العام للأمم المتحدة 2015 لمنطقة بير لحلو، التي دفن بها عام 2016 جثمان زعيمها محمد عبد العزيز، أو في جنوب الجدار على الحدود مع موريتانيا بتحريك دوريات مسلحة بمنطقة الكركرات عام 2017 ردا على قيام المغرب بتطهير المنطقة من تجارة المخدرات والتهريب.

وكانت هذه التحركات تستفز المغرب ويتحرك لامتصاص الاهداف السياسية التي ترمي اليها الجبهة من وراء هذه التحركات، التي لم تترك اثارا على الارض، الا انه وجد في التحركات الاخيرة، نقل مقرات الجبهة واقامة مخيمات، محاولات من الجبهة لإقامة بنيات تحتية لجمهوريتها واعتبار المناطق خارج الجدار مناطق محررة وإقليم دولتها، لتكتمل اركان دولتها التي ما زالت الأمم المتحدة ترفض الاعتراف بها وتتعامل مع الجبهة كحركة طرف في نزاع تتولى الاشراف على تسويته لكنها هذه الدولة تحظى باعتراف الاتحاد الافريقي وعضو به منذ 1982، ومع عضوية المغرب، تصبح هذه الأراضي، معترف بها كأراض للدولة، مضمونة الحماية الدولية، في حالة حاول المغرب إعادة الأمور كما كانت عليه.

ويقول المغرب في مذكرة سريعة لمجلس الأمن الدولي بداية شهر نيسان/ابريل الجاري، ملاحظته في شهر اب/اغسطس 2017، اقامة أساسات مبان في منطقة الحبس وتيفاريتي ولاحظ انه تم التسريع في هذه المباني في شهر اذار/مارس الماضي وحذر الأمم المتحدة من مخاطر هذه التحركات وهو التحذير الذي ترافق مع حملة شعبية وسياسة وإعلامية توجت الاثنين الماضي بلقاء لجميع الأحزاب والنقابات المغربية في مدينة العيون، كبرى حواضر الصحراء الغربية، صدر عنه إعلان العيون المؤكد على مغربية الصحراء والتنديد بكل ما تقوم به الجبهة.

وإذا كانت التحركات المغربية نجحت في حشد الرأي العام المحلي والتأكيد على وحدة المغاربة حول وحدة بلادهم الترابية ومغربية الصحراء، وفي تعميق الهوة مع الجزائر بعد ان تركزت التحركات على ان الجزائر هي الطرف المعني بالنزاع والتمسك بالتفاوض معها وليس التفاوض مع جبهة البوليساريو، فان الانتظار يكون لنتائج هذه الحملة أولا على أرض الواقع ووقف الجبهة للبناء أو التحركات العسكرية وعلى الصعيد الدولي تحديدا ما سيقوله مجلس الأمن الدولي نهاية الشهر الجاري في قراره الجديد الذي يتضمن التمديد لبعثة المينورسيو حتى 30 نيسان/ابريل 2019، ورؤية المجلس لكيفية اعادة الحياة للعملية السلمية للنزاع الصحراوي المجمدة مذ عدة سنوات، في ظل تحفظات مغربية سابقة حول مقترحات لآلية هذه المفاوضات، قدمها مبعوث الأمم المتحدة للمنطقة، خاصة فيما يتعلق بالمفاوضات المباشرة بين المغرب وجبهة البوليساريو، حساسية مغربية حول اعلان الأمانة العامة للأمم المتحدة وبعثتها بالمنطقة بعدم ملاحظتها تحركات عسكرية بالمنطقة العازلة والعبارات التي استخدمها ممثلو البعثة في تعزية الجبهة بوفاة احمد البخاري ممثلها بالأمم المتحدة ووصفه بالسفير، والسفير صفة رسمية تطلق على رؤساء البعثات الدبلوماسية للدول في الأمم المتحدة أو الدول الأخرى.

اليمن: يوم دام للإعلاميين إثر مقتل 3 منهم وإصابة آخرين في قصف لميليشيا الحوثي والتحالف العربي

تعز ـ «القدس العربي»: خالد الحمادي

شهد أمس الأول الجمعة يوما داميا للإعلاميين في اليمن، إثر مقتل 3 إعلاميين وإصابة 2 آخرين في حادثين منفصلين، الأول على يد ميليشيا الحوثي الانقلابية والثاني عبر الغارات الجوية لقوات التحالف العربي بقيادة السعودية في محافظتي البيضاء والحديدة.

وأعلنت نقابة الصحافيين اليمنيين في بيانين مستقلين مقتل مصور تلفزيوني يعمل في قناة بلقيس الخاصة على يد الميليشيا الحوثية، وكذا مقتل موظفين اثنين يعملان في قناة اليمن الغضائية العامة التي تدار من قبل الحوثيين بصنعاء الجمعة في كل من محافظتي البيضاء، وسط االيمن، والحديدة، غربي اليمن.

وقالت نقابة الصحافيين اليمنيين انها «تلقت بلاغا من قناة بلقيس الغضائية تفيد فيه مقتل مصورها في محافظة مأرب عبدالله القادري إثر إصابته ووفد صحافي في منطقة قانية بمحافظة البيضاء الجمعة بصاروخ أطلقته جماعة الحوثي أدى إلى احتراق السيارة التي كانت تقل الصحافيين والمصورين».

وأكدت إصابة إعلاميين آخرين في هذه الحادثة، وهما مراسل قناة «يمن شباب» الغضائية الخاصة ذياب الشاطر بإصابات بليغة ومصورها وليد الجعوري ونجاة صحافيين آخرين.

ودانت نقابة الصحافيين اليمنيين هذه الحادثة واعتبرتها «جريمة» بحث الصحافيين وأعلنت ان «كل الجرائم التي ارتكبت بحق الصحافة والصحافيين لا تسقط بالتقادم ولابد ان ينال مقترفوها العقاب الرادع».

وطالبت كافة وسائل الإعلام اليمنية بتوفير أدوات الحماية للمصورين والصحافيين وتدريبهم على إجراءات السلامة المهنية اثناء تغطية الصراعات والحروب.

في غضون ذلك قالت النقابة في بيان مستقل انها تلقت بلاغا من الغضائية اليمنية الواقعة تحت إدارة الحوثيين بصنعاء تفيد فيه بتعرض عدد من كادرها إلى قصف بطيران التحالف في محافظة الحديدة أدى إلى مقتل مدير إدارة الديكور بالقناة عبدالله النجار ومحمد ناصر متابع الإنتاج أثناء التجهيز لعمل تلفزيوني، دون أن تحدد زمن مقتلهما.

ودانت نقابة الصحافيين اليمنين هذه الحادثة واعتبرتها «جريمة» وحمّلت التحالف العربي كامل المسؤولية وجددت مطالبتها بعدم الزج بالصحافيين والعاملين في وسائل الإعلام في الصراعات المسلحة.

وقالت قناة «بلقيس» الفضائية «ذهب مصور القناة في محافظة مأرب، عبد الله القادري، ضحية جديدة في مذبحة الصحافة اليمنية التي ترتكبها ميليشيا الحوثي منذ سيطرتها على صنعاء في أيلول/سبتمبر عام 2014».

وأوضحت أنه «بينما كان مصور القناة عبدالله القادري في مهمة إعلامية لتغطية الأوضاع الميدانية في المناطق المحررة حديثا في منطقة قانية بمحافظة البيضاء، اغتالته قذيفة ميليشيا الحوثي».

مشيرة الى أن وفاته كانت إثر تعرضه لإصابة بليغة في عنقه بشظايا القذيفة، وتوفي بعد ساعات متأثرا بهذه الإصابة، خاصة وأن الحادثة وقعت في منطقة نائية تفتقر لأدنى الخدمات الطبية في محافظة البيضاء التي تعد من المحافظات النائية الأقل خدمات في مختلف القطاعات العامة.

وذكرت مصادر حقوقية انه بمقتل هؤلاء، يكون وصل عدد القتلى من الصحافيين في اليمن إلى 27 إعلاميا وصحافيا منذ كانون الثاني (يناير) 2015. وتعرض الصحافيون اليمنيون لأسوأ حالات القمع التي وصلت حد القتل في أكثر من محافظة يمنية وفي مقدمتها مدينة تعز التي شهدت لوحدها مقتل 8 صحافيين على يد الميليشيا الحوثية خلال الثلاث السنوات الماضية من الحرب والصراع المسلح.

وقتل العديد من الصحافيين والإعلاميين في حوادث متفرقة في تعز خلال الثلاث السنوات الماضية، بينهم المصور الصحافي تقي الدين الحذيفي والمصور الصحافي وائل العبسي والمصور التلفزيوني أحمد الشيباني، والمصور الصحافي أواب الزبيري، والمصور الصحافي محمد اليمني.

وإضافة إلى حوادث القتل والإصابات البليغة التي يتعرض لها الصحافيون، يعاني أغلبهم من الملاحقات والمضايقات المستمرة من قبل ميليشيا الحوثي وكذا من قبل القوات التابعة لدولة الإمارات في المحافظات الجنوبية اليمنية، حيث يقبع نحو 16 صحافيا في سجون الانقلابيين الحوثيين بصنعاء فيما اعتقلت القوات الموالية للإمارات مؤخرا في الجنوب العديد من الصحافيين أبرزهم عوض كشميم الذي اعتقل في محافظة حضرموت وأفرج عنه بعد عدة أسابيع من الاعتقال التعسفي بعد حملات حقوقية واسعة للمطالبة بالافراج عنه.

حريات

أسرى فلسطين في سجون الاحتلال:
رحلات تعذيب وزنازين معتمة وإهمال طبي وقتل وتحرش بالأطفال

غزة ـ «القدس العربي»: أشرف الهور

يواجه الأسرى الفلسطينيون في سجون الاحتلال، وعددهم يقدر بـ 6500 أسير، شتى أنواع التعذيب والمعاناة، على أيدي فرق متخصصة في إسرائيل، فمن العزل الانفرادي إلى التعذيب الجسدي إلى سياسة الإهمال الطبي، وليس انتهاء بمنع الزيارات، يقضي هؤلاء سنوات من أعمارهم، خلف قضبان حديدية وفي غرف تفتقد لأي مقومات للحياة، ينظرون إلى اليوم الذي يفيق فيه المجتمع الدولي وينتفت إليهم لإنهاء أزمتهم، التي تفاقمت بزيادة وتيرة الاعتقالات منذ إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب قراراته ضد مدينة القدس.

ففي تلك السجون وعددها يفوق 20 معتقلا، يقبع أيضا مئات الأطفال الذين يعاملون معاملة قاسية جدا، يفتقدون فيها لحنان الأسرة، فاستبدلوا قسرا مقاعد الدراسة بجدران مرتفعة وبوابات حديدية وقرارات قمعية لا تنتهي بتعريضهم للتعذيب، بل وصلت إلى حد «التحرش اللفظي» كما حدث مع الأسيرة الطفلة عهد التميمي.

كذلك تضع السجون الإسرائيلية خلف تلك الجدران والقضبان الحديدية العديد من النساء، اللواتي فرقن قسرا عن أطفالهن وأسرهن، بعضهن يعانين من أمراض مزمنة وخطيرة، وجميعهن كما باقي الأسرى يعانين من التعذيب وعمليات التفتيش المستمر، وعذابات أخرى خلال حركة النقل من السجون إلى المحاكم.

سياسة للقتل البطيء

في السجون الإسرائيلية تبرز مشكلة كبيرة تهدد حياة الأسرى، وتتمثل في استمرار اتباع سلطاتها سياسة «الإهمال الطبي» المتعمد، فهناك المئات من الأسرى يعانون من أمراض مزمنة خطيرة، ويحتاجون إلى علاجات فورية ومن بينها تدخلات جراحية، غير أنهم لا يلقون آذانا صاغية ولا تحركات دولية تجبر إسرائيل على الالتزام بالمعاهدات الدولية الخاصة برعاية الأسرى.

خلال الأيام الماضية واستعدادا لإحياء «يوم الأسير الفلسطيني» الذي يصادف 17 نيسان/أبريل من كل عام، صدرت العديد من التقارير والدراسات الخاصة بالأسرى، وجميعها تناولت المأساة الحقيقية التي يعيشها هؤلاء في غيابات السجن.

ففي دراسة إحصائية أعدها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ذكرت أن هناك 1467 طفلا من بين 6742 فلسطينيا اعتقلوا العام من قبل إسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وذكر التقرير أن هؤلاء الأطفال شكلوا ما نسبته 21.8 في المئة من مجموع المعتقلين، حيث ما زال منهم نحو 350 طفلا رهن الاعتقال ومحرومين من طفولتهم، بما فيه مواصلة دراستهم، علاوة على تعرضهم للانتهاكات أثناء الاعتقال.

الطفولة في عتمة الزنازين

ويقول عبد الناصر فروانة رئيس وحدة الدراسات والتوثيق في هيئة شؤون الأسرى والمحررين، أن سلطات الاحتلال «لم ترحم الطفولة الفلسطينية من إجراءاتها التعسفية». وفي استعراض لواقع الاعتقال، قال انه منذ اندلاع «انتفاضة القدس» في الأول من تشرين الأول/أكتوبر من العام 2015، سجل اعتقال نحو 4737 حالة لأطفال فلسطينيين تتراوح أعمارهم بين 11–18 عاما، ذكورا وإناثا، حيث لا تزال إسرائيل تعتقل ثماني فتيات قاصرات، بالإضافة إلى وجود المئات من المعتقلين الذين اعتقلوا وهم أطفال، واجتازوا سن الثامنة عشرة وما زالوا في السجن.

وأوضح، أن سلطات الاحتلال توسعت في «الاعتقالات التعسفية» للأطفال الفلسطينيين في السنوات الأخيرة، وتصاعدت باضطراد مؤخرا.

وقد تطرق تقرير جديد لهيئة الأسرى إلى نقل شهادات لأطفال أكدوا تعرضهم خلال الاعتقال للتعذيب الجسدي والنفسي، وحرمانهم من قبل الاحتلال من أبسط الحقوق الإنسانية، وأن الاعترافات التي انتزعت منهم كانت «تحت وطأة التعذيب» حيث شكلت أدلة ادانة لإصدار الأحكام الجائرة بحقهم من قبل المحاكم العسكرية.

وكشف الشريط المصور الذي حصلت عليه محامية الطفلة الأسيرة عهد التميمي، عملية التحقيق معها من قبل رجال المخابرات الإسرائيلية، وتعرضها للتعنيف وإلى «التحرش اللفظي» وهو ما يفتح الباب أمام المخاطر والتهديدات التي يتعرض لها الأطفال من الأسرى على أيدي رجال أمن مدربين على هذه الأساليب جيدا.

وتحضيرا لبدء فعاليات إحياء «يوم الأسير» دعا عيسى قراقع رئيس هيئة الأسرى في تصريح صحافي إلى «حشد كل الطاقات الإعلامية والجماهيرية والقانونية والسياسية لمناصرة الأسرى» وأشار إلى أهمية المناسبة خاصة لهذا العام في إحياء «يوم الأسير» كرد على الهجمة الإسرائيلية الواسعة، التي تقوم على التحريض على الأسرى وحقوقهم من قبل المستوى السياسي الإسرائيلي والكنيست، ودعا لاعتبار «يوم الأسير» يوما لـ«الدفاع عن حق الأسرى بالحرية والكرامة، بصفتهم أسرى حرية» وطالب المسؤول الفلسطيني المجتمع الدولي ومؤسساته بـ «التحرك» لإلزام إسرائيل احترام قواعد وأحكام المعاهدات والاتفاقيات الدولية في التعامل مع الأسرى، موضحا أن أوضاع الأسرى «تزداد صعوبة وقساوة».

أبشع الجرائم والانتهاكات

وفي أحدث تقرير تناول أوضاع الأسرى بلغة الأرقام، وصدر عن هيئة شؤون الأسرى ونادي الأسير الفلسطيني، ذكر أن إسرائيل تمارس «أبشع الجرائم والانتهاكات» بحق الأسرى الفلسطينيين في سجونها وتستهدف مكانتهم القانونية.

وذكر التقرير أن السابع عشر من نيسان/أبريل من كل عام، هو «اليوم الوطني والعالمي لنصرة الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، والذي أقره المجلس الوطني الفلسطيني، باعتباره السلطة العليا لمنظمة التحرير الفلسطينية في عام 1974، خلال دورته العادية، وفاء لشهداء الحركة الوطنية الأسيرة وتضحياتهم، وللأسرى القابعين في المعتقلات الإسرائيلية، واعتباره يوما لتوحيد الجهود والفعاليات لنصرتهم ودعم حقهم المشروع بالحرية».

وأوضح التقرير أنه منذ أن تم اقراره من قبل المجلس الوطني كان وما يزال «يوم الأسير الفلسطيني» يوماً ساطعاً يحيه الشعب الفلسطيني في فلسطين والشتات ويشاركه في احيائه أحرار العالم في العديد من العواصم العربية والأوروبية.

التقرير الجديد أشار إلى أن تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية بدأ مع بدايات

أكثر من 6500 أسير بينهم 350 طفلا و21 أما و8 قاصرات

الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية عام 1948 وأن سلطات الاحتلال الإسرائيلي انتهجت الاعتقالات كـ «سياسة ومنهج وأداة للقمع والسيطرة» على الشعب الفلسطيني وبث الرعب والخوف لدى كل الفلسطينيين، وأن الاعتقالات أصبحت جزءا أساسيا وثابتا من سياستها في تعاملها مع الفلسطينيين وغدت ظاهرة يومية مقلقة، ووسيلة للعقاب الجماعي، حيث لا يمر يوم إلا ويُسجل فيها حالات اعتقال، ويُقدر عدد حالات الاعتقال على مدار سنين الاحتلال بنحو مليون حالة.

وبين التقرير أن نحو مليون فلسطيني مرّوا بتجربة الاعتقال في سجون الاحتلال الإسرائيلي منذ العام 1967، الذي احتلت فيه إسرائيل باقي المناطق الفلسطينية.

أرقام مؤلمة

ووفق الإحصائية التي عرضها التقرير، فقد بلغ عدد الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي مع أواخر اذار/مارس 2018 نحو 6500 أسير في سجون الاحتلال الإسرائيلي، بينهم 350 طفلا، و 62 أسيرة بينهن 21 أما، و8 قاصرات و6 نواب، و500 معتقل إداري، و1800 مريض بينهم 700 بحاجة إلى تدخل علاجي عاجل، و48 أسيرا مضى على اعتقالهم أكثر من عشرين سنة بشكل متواصل، و25 أسيرا مضى على اعتقالهم أكثر من ربع قرن، و12 أسيرا من أولئك قد مضى على اعتقالهم أكثر من ثلاثين عاما وأقدمهم الأسيران كريم وماهر يونس وهما معتقلان منذ 35 عاما. وتوضح الإحصائية أن هناك أيضا 29 أسيرا معتقلين منذ ما قبل «اتفاقية أوسلو» وهؤلاء ممن كان يفترض إطلاق سراحهم ضمن الدفعة الرابعة في اذار/مارس عام 2014 إلا أن الحكومة الإسرائيلية تنصلت من الاتفاقيات وأبقتهم رهائن في سجونها.

ولم يغفل التقرير اولئك الأسرى الذين قضوا في سجون الاحتلال، فأشار إلى استشهاد 214 أسيرا، منذ العام 1967 بينهم 72 شهيدا سقطوا بسبب التعذيب على يد المحققين في أقبية التحقيق، و60 سقطوا بسبب الإهمال الطبي، 7 أسرى استشهدوا بسبب القمع وإطلاق النار المباشر عليهم من قبل الجنود والحراس، 75 أسيرا استشهدوا نتيجة القتل العمد والتصفية المباشرة والاعدام الميداني بعد الاعتقال مباشرة.

اجماع إسرائيلي على التعذيب

هذا وتؤكد المؤسسات التي تعنى بأوضاع الأسرى، أن سلطات الاحتلال الإسرائيلية، صادرت كافة حقوق الأسرى الإنسانية والتي كفلتها لهم الاتفاقيات والمواثيق الدولية، وفرضت عليهم داخل السجن حياة لا تطاق في تحد صارخ للقانون الدولي.

وتؤكد هذه المؤسسات أن سلطات الاحتلال تلجأ إلى التنكيل والضرب والتعذيب والعزل الانفرادي، إلى فرض التفتيش العاري والحرمان من التعليم، واستخدام القوة المفرطة وفرض الغرامات المالية.

وفي هذا السياق أكد مدير مركز الأسرى للدراسات الدكتور رأفت حمدونة، أن سلطات الاحتلال ترتكب عشرات الانتهاكات بحق المعتقلين من ضمنها استخدام القوة والاحتجاز في أماكن لا تليق بهم.

وتحدث عن حالة الاجماع الإسرائيلي في كل أركان منظومة تل أبيب سواء القضائية أو التشريعية أو الذراع التنفيذي المتمثل في إدارة مصلحة السجون وكل قوى وأحزاب الائتلاف الحكومي، على إيذاء الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين بعيداً عن الاتفاقيات والمواثيق الدولية والقانون الدولي الإنساني.

وقد ظهر ذلك من القوانين التي قدمت لإقرارها مؤخرا من قبل الكنيست، والتي تدعو لتشديد الاعتقال، وإلى فرض عقوبة «الإعدام» على المعتقلين الفلسطينيين.

يشار إلى أنه بسبب هذه الممارسات الإسرائيلية، لجأ الكثير من الأسرى إلى خوض إضرابات طويلة عن الطعام، امتد بعضها لأكثر من أربعة أشهر متتالية، حرص الأسرى الذين خاضوها وعرضوا حياتهم للخطر إلى كسر القيود الإسرائيلية وتتسم الحرية، وكان للغالبية العظمى ما يردون، وقد تجسد ذلك في إضرابات خاضها الأسير خضر عدنان وسامر العيساوي وجعفر عز الدين وثائر حلاحلة، ومحمود السكسك.

وفي هذا السياق ما زال هناك أربعة أسرى حاليا في سجون الاحتلال يخوضون إضرابا عن الطعام، بعضهم بدأه منذ شهر، رفضا لظروف اعتقالهم السيئة، خاصة وأن من بينهم أسرى إداريون.

الإداريون عذابات أخرى

وما زال الأسرى الإداريون وعددهم 450 يواصلون احتجاجاتهم على طريقة اعتقالهم التي تفتقد لأي لائحة اتهام، من خلال رفض المثول أمام المحاكم منذ يوم 15 من الشهر الماضي، حيث قرر هؤلاء تصعيد خطواتهم ضد سياسة اعتقالهم التعسفي، تزامنا مع انطلاق فعاليات يوم الأسير.

ومن المقرر أن يقوم هؤلاء إضافة إلى مقاطعة المحاكم، البدء في مقاطعة كافة عيادات السجون والمعتقلات، حيث سيمتنعون عن تناول الأدوية والعلاجات ابتداء من يوم 12 من الشهر الجاري، حيث تقرر أن يكون التصعيد أيضا دخول المعتقلين الإداريين، اضرابا مفتوحا عن الطعام على شكل دفعات، تبدأ أولها منتصف هذا الشهر.

وتشير الاحصائيات الفلسطينية إلى أن سلطات الاحتلال أصدرت منذ عام 1967 أكثر من 52 ألف أمر اعتقال إداري ما بين قرار جديد وتجديد اعتقال، منها 1119 قرارا صدرت العام الماضي.

والاعتقال الإداري يكون من خلال زج أسرى محددين في السجون «دون تهمة محددة ودون محاكمة» ويحرم المعتقل ومحاميه من معرفة أسباب الاعتقال، حيث تتذرع إسرائيل بـ «سرية الملف» وتتراوح مدة الاعتقال من شهر إلى ستة أشهر، قابلة للتجديد دون تحديد عدد مرات التجديد، وتصدر بأمر من قائد عسكري إسرائيلي.

كتب

كرّاس العودة الى أرض الوطن لشاعر الكونغو إيمي سيزير

هاشم شفيق

كان ذلك في عام 1987 حين قرأت شاعر الكونغو الكبير إيمي سيزير، في رائعته الشهيرة «كراسة العودة إلى مسقط الرأس»، هكذا تُرجمتْ حينذاك في مجلة «الأقلام» العراقية التي نشرت هذه القصيدة الغنائية الملحمية، بترجمة منيرة، مترعة بالوضوح، أحدثت حركة لافتة في الوسط الثقافي.

كنت مأخوذاً حقاً بمناخات وأجواء ورؤى هذه القصيدة، وأحفظ منها مقاطع ووقفات وجملاً بعينها، كونها تحاكي منفاي وغربتي وبعدي عن بلدي العراق، ومسقط رأسي في القرى الناعمة والغافية على كتف الفرات. كانت هذه القصيدة تعينني على تحمُّل ألم المنافي وقسوتها والتشرد من مدينة إلى أخرى مع عائلة صغيرة، حيث لا مستقر دائم ولا شعور بوميض من مستقبل معلوم، حيث كل شيء في المنفى يكون قلقاً، غير ثابت، ليس ثمة تماهٍ مع البناء والتوكيد على الحاضر، كل شيء كان يشوبه الغموض والتوتر والإبهام الذي يوفره المنفى اليك، كوافد مقيم بين ظهرانيه، فأنت مترحل وبعيد عن مَواطن الأرض الأولى.

لم أقرأ قصيدة تجسّد غربة المنفى وإشكالاته وأنسقته الراسخة في عمق النوستالجيا، كما كان في قصيدة ايمي سيزير، هذه البلاد التي اعتمدت النشيد الكورالي العالي، واستجمعت بين تضاعيفها ونسيجها الفني والجمالي واللغوي، كل فنون القول الشعري، معتمدة على المخيلة الجماعية، والأحاسيس والمشاعر الجماعية للزنوج الذين كانوا ضحية الاستعباد، والإقصاء والنخاسة، وكذلك العبودية الجاهلية التي جسّدها الغرب والكولونيالية العالمية في أبشع صورها، تلك المتمثلة بمضامينها العنصرية القادمة من منطق الظلام الذي كان سائداً في العصور الوسطى.

وتأسيساً على ذلك، ها هو ذا مترجم عربي يُعيدني مرة أخرى إلى عوالم ايمي سيزير، وإلى المعمار الكبير الذي تُظهره القصيدة في ترجمة جديدة، تُعيدنا مرة أخرى إلى هذا الشاعر ذي الصوت البوليفوني، البليغ والمتنوع، هذا الصوت الناهل من عمق الأرض الكونغوية، والذي كان صديقاً لأندريه بروتون، رائد السريالية الكبير، والمنخرط في مدرستها وفنها التعبيري، الجانح إلى السريلة، وأيضاً إلى البعد السنتيمنتالي وإلى الشغف المُبطن بعشق القضايا الجميلة والغريبة.

لقد انخرط الشاعر أيمي سيزير في السوريالية كمدرسة وتيار وجماعة، رسمت للفن التشكيلي، والشعري، والمسرحي نسقاً مختلفاً ومغيِّراً، ومتجاوزاً للأنساق الفنية الأخرى، تلك التي كانت تعاني في فترة من فتراتها، من أمراض فنية عديدة، من الابتذال اللغوي والفني، ومن الإعاقة الجمالية، وتفتقد في الوقت عينه، إلى المدهش والصادم والمقلق، والمؤرق وغير المستقر والراسخ والثابت على صيغ مكرورة، تبشّر بالقبول والعادة والنمطية والمعلوم.

من هنا وإضافة إلى موهبة ايمي سيزير الفذة، وشعره المتميز الموسوم بالمُفارق والمختلف والمبتكر، ثمة بعد آخر ميزه في تلك الفترة المضطربة من فترة الستينيات، ألا وهو حسّ الزنوجة، على أننا ينبغي أن ندرك أن السريالية قد أعطت لشعره مسحة تركيبية أخرى، أوصلته إلى ذرى الفن العالي، هذا الفن الذي يمزج كل الفنون في نسيج واحد، ويجعل منه مادة مختلفة وخامة ثانية مغايرة، لا تشبه السائد، ولذا ستكون قصيدة، أو نشيد أو ملحمة «كراس العودة إلى الوطن» كما ترجمها جمال الجلاصي، والتي هي بين أيدينا، ستكون دون شك، إضافة ترجمية أخرى للمكتبة العربية، وستضيء وتعكس عوالم ومميزات وأحلام هذا الشاعر والمبدع الكونغوي الكبير ايمي سيزير للقارئ العربي.

المثير في هذا الكتاب هو مقدمة رائد السوريالية أندريه بروتون، إنها مقدمة ضافية، ومنحازة ومُلهَمة بشعر سيزير، ومليئة بحس التفجع على الزنوج في كل مكان، من قبل رجل يعد الأب الروحي للسرياليين العالميين والتي فيها يقول:

«ما يميّز الشعر الأصيل المُناقض للشعر المزيف، للشعر المصطنع من الجنس المسموم الذي يتكاثر حوله، أن تغني أو لا تغني، هذا هو السؤال، ولن يكون هناك سلام في الشعر لمن لا يغني، رغم أنه يُطلب على الرفض، ومهارة التحويل الاستثنائية التي يعتنقها، سيكون الأمر عبثياً إذا أرجعنا كلّ هذا إلى بعض الأسرار التقنية، ما يمكن استنتاجه هو أن الثلاثة يجمعهم من الشاعر أكثر من الغناء، ولست في حاجة إلى القول، إنّ من لا يحسن الغناء، ويلجأ إلى القوافي والمتر الثابت والتفاهات الأخرى، لا يمكنه سوى ازعاج آذان ميداس، قبل كل شيء ايميه سيزير هو المغني».

لعل هذا ما يؤكد على أن قصيدة سيزير لم تكن سوى مغناة عظيمة، مرفودة بجوهر وإيقاع عالم المارتنيك الحسّي، عالم تلك الجزيرة الخيالية المفعمة بعناصر الطبيعة، ولألئها التي تضيء عالم المارتنيك، أرض ومسقط رأس الشاعر، ويضيف بروتون قائلاً: «موهبة الغناء والقدرة على الرفض، ومهارة التحويل الاستثنائية التي يعتنقها، سيكون الأمر عبثياً إذا أرجعنا كلّ هذا إلى بعض الأسرار التقنية، ما يمكن استنتاجه هو أن الثلاثة يجمعهم قاسم مشترك، هو الدفق الشديد للدهشة الاستثنائية أمام الحياة».

ولكيلا نبتعد عن عوالم هذه القصيدة الكبرى، فلنتتبع معاً أسرارها الجمالية والفنية، عبر صياغاتها المنسوجة مثل جزيرة من كلمات، والمصوغة كقطعة من طبيعة المارتنيك الباهرة بجمالها، تلك الجزيرة المستنزفة والمستندة لثرواتها الطبيعية من قبل الغزاة والمستعمرين، أولئك الذين استعمروا الجمال والطبيعة والإرث الذهبي لهذه الأرض الناهدة بالشموس، والمياه، والغابات، والسحر اليومي الذي يرفدها من جميع الجهات، وها هو سيزير يُنشد تلك الأرض المنكوبة بأصابع الكولونيالية:

«أيها الضوء الصديق

أيها النبع الضوئي الصافي،

هؤلاء الذين لم يختزعوا البارود والبوصلة،

هؤلاء الذين لم يروّضوا البخار أو الكهرباء،

هـؤلاء الذين لـم يستكشفوا البحار أو السماء،

لكن هؤلاء الذين دونهم لن تكون الأرض السّنام».

تخرَّج سيزير من جامعات فرنسية، بلد الاستعمار الأم، نال أعلى الشهادات فيها، ليدرس في المآل بجامعاتها، وهو هناك في باريس، كان يتذكر عاله الزنجي، مُبجِّلا إيّـاه، ومُصعِّداً نشيده صوب المارتنيك وجزر الأنتيل، وبذا رأيناه لن يفوته تفصيل ما، مشهد معيّن، رؤية قديمة، صباح بعيد، فجر غائر في البعد والتنائي، انـه يستذكر كالجريح تاريخه الشخصي وحياته العائلية ليدوّن:

«زنوجتي ليست صخرة،

صمّمها المندفع ضد صخب النهار،

زنوجتي ليست لطخة ماء ميت على عين الأرض الميتة،

زنوجتي ليست برجاً

ولا كاتدرائية،

إنها تنغرس في اللحم الأحمر للتراب،

إنها تنغرس في اللحم المتوقد للسماء».

وحـين يـخرج مـن تـاريـخه المستَعمَر، يتذكر مـا تركه هذا التاريخ على البلد والجزر الفقيرة، تلك التي نُهبتْ ثرواتها ونُهب أرضها الثمين وكنوزها العلنية، لـتُـترك هـكـذا نـهـبـا لـلأمـراض المـسـتـوطـنـة والـجـوع والـفـقـر المُسيطر والبارز على البلاد المنهَكة والمستهلكة، والجريحة، وهي تئنُّ وحيدة في الليالي العصيبة:

«بُعيد الفجر، بيت صغير آخر، براثحة شديدة النتانة، في طريق شديد الضيق، بيت صغير يضمّ في أحشائه الخشبية العفنة عشرات الجرذان، وشغب ستة من أخوتي وأخواتي، بيت صغير يجنّن تعنّته نهايات الشهر وأبي غريب الأطوار، يقرضه بؤس وحيد، لم أعرفه قط سوى سحر فجائيٍّ، يغفو في حزن رقيق، أو يتعالى في السنة لهب الغضب، وأقدامُ أمي التي تدور من أجل جوعنا الذي لا يعرف التعب، تدور ليلاً نهاراً، حتى أني أفيق ليلاً على أقدامها التي لا تعرف التعب تدور واللدغة المريرة في لحم الليل الطري لماكنة سنجر تديرها أمي ليلا نهاراً من أجل جوعنا».

لقد أثّـرت قصيدة، أو ديوان «كراس العودة إلى أرض الوطن» بأجيال عالية عديدة، وحفرتْ عميقاً دلالاتها الاستشرافية في عمق تلك البلاد، كان الحنين الأخ الأوّل للشاعر، وسنده والمرهم الشافي الذي يعالج به أمراض المنفى، وليس عدوًّا كما سمّاه أحد الشعراء العرب، لقد أفرغ كل ما كان في جعبته، من صور واستعارات وأفكار رؤيوية، وإشـارات بليغة وتهويمات، ذات نزوع سيميائي في هذا العمل الضخم والبانورامي والمشمول بفنون ميلودية، ذلك أنها تبدو مثل عمل ملحمي شاهق وجامع، لتعابير فنية تبهر السمع والعين والمشاعر والأحاسيس، لقوة البناء المتكامل في هذا النص الحافل بالرؤى والمعاني، وليس عبثاً أن يصف بروتون هذا العمل الشعري الكبير بالقول: «من هذه الناحية يبدو كراس العودة إلى الوطن وثيقة متفرِّدة غير قابلة للاستبدال، العنوان بمفرده، وإن محونا القصيدة، يهدف إلى وضعنا في قلب الصراع الأكثر حساسية بالنسبة إلى الكاتب، الصراع الذي يُعتبر تجاوزه حياتياً بالنسبة إليه، فواقعياً كتبت القصيدة في باريس، بعد أنْ غادر المدرسة العليا وهو يستعد إلى العودة إلى المارتنيك، الوطن الأم».

ومن هنا يمكن اعتبار «كراس العـودة إلـى الـوطـن» صـرحـاً شـعـريـاً، ففيه تجد كل ما هو متضاد ووعـر وغير متجانس، خلائط رؤى وأساليب وأشكال وتعابير لغوية، ولفظية وكلامية، يستوطنها القهر والفقر والإذلال الطويل، وكذلك تستوطنها القوة والإرادة الشخصية، بكل تجلياتها الإنسانية.

ايمي سيزير: «كرّاس العودة إلى الوطن»
ترجمة جمال الجلاصي
مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة 2018
149 صفحة.

في كتاب «تطوير الأحزاب لتطوير الديمقراطية في لبنان»:

الذكورية والطائفية تحرمان المرأة اللبنانية من التمثيل البرلماني الفاعل

سمير ناصيف

قضية مشاركة المرأة بفعالية في الانتخابات التشريعية اللبنانية المقبلة في 6 أيار (مايو) 2018 هي إحدى القضايا الأساسية التي يتداولها اللبنانيون والمهتمون بالشأن اللبناني داخل البلاد وخارجه حالياً وسابقاً.

وقد صدر مؤخراً كتاب بعنوان: «تطوير الأحزاب لتطوير الديمقراطية في لبنان» تشمل آراء ومواقف مجموعة من الاختصاصيين في الشأن السياسي والاجتماعي حول موضوع مشاركة المرأة ومواضيع أخرى مرتبطة بتحديث النظام الانتخابي اللبناني ليصبح أكثر تمثيلاً للجميع وخصوصاً الفئات المهمشة نسبياً، كالمرأة.

وتضمن الكتاب ما قاله هؤلاء في مؤتمر نظمته «مؤسسة كونراد اديناور» الألمانية الصيف الماضي في أحد فنادق لبنان وأتى نشره مواكباً لما يجري حالياً في الساحة اللبنانية.

أهم ما في الكتاب (فيما يتعلق بدور المرأة) ما ورد في فصله الثالث في مقالتي الدكتورة منى الباشا والدكتورة بولا كلاّس.

تشدد الباشا، على ضرورة تطوير دور المرأة في الأحزاب اللبنانية حيث سيطر الرجال على هذه الأحزاب ويتحكمون بنشاطاتها السياسية وتمثيلها برلمانياً خلافاً لما يحدث في معظم الدول الديمقراطية في العالم (ص 81).

وتشير إلى عدم وجود دراسات مفصلة حول هذا الموضوع ترتكز على إحصاءات دقيقة وبالتالي اضطرت الباشا إلى لقاء نساء محازبات من اللواتي لديهن مسؤوليات حزبية في الهيكلية الإدارية لبعض الأحزاب الرئيسية في البلد وسؤالهن لماذا هن غائبات عن المراكز القيادية الرئيسية والمناصب النيابية والوزارية عموماً؟ كما سألتهن عن نظرتهن إزاء ترشيح النساء للانتخابات الاشتراعية علماً ان 111 أمرأة ترشحن لانتخابات 6 أيار (مايو) 2018 ولكن اللوائح الرئيسية اختارت عدداً محدوداً منهن واستمرت 84 في المعركة ولا يُرجح فوز عدد كبير منهن. ونصحت الباشا بتخصيص نسبة محددة في المجلس النيابي (حوالي ربع أو ثلث المقاعد) للنساء، كما في دول أوروبية وعالمية أخرى.

واختارت الباشا مسؤولات حزبيات إداريات في ثمانية أحزاب لبنانية رئيسية هي تيار المستقبل، وحركة أمل، وحزب الله، والحزب التقدمي الاشتراكي، وحزب القوات اللبنانية، وحزب التيار الوطني الحر، وحزب الكتائب والحزب الشيوعي.

وسألتهن 27 سؤالاً توزعت على أربعة محاور وهي: أسباب الانتساب إلى الحزب ورضاهن عن أدوارهن ومدى ديمقراطية الحزب والتوفيق بين الالتزامات الحزبية والواجبات المنزلية بالإضافة إلى الأسئلة الشخصية للضرورات الإحصائية.

وتبين من المعلومات التي جمعتها ان نسبة المنتسبات إلى الأحزاب في لبنان تتراوح بين ثلاثين إلى خمسين في المئة من اجمالي المنتسبين إلى حزب أو آخر، إلا ان وجودهن في السلطتين التشريعية والتنفيذية شبه معدوم (أربع نائبات في المجلس النيابي ووزيرة واحدة فقط).

وأشارت إلى ان المرأة موجودة في الأحزاب منذ نشأتها ولكنها قلما تصل إلى مركز قيادي فهي تعمل في أحزابها في لجان خاصة بالمرأة أو تنتسب إلى لجنة تنفيذية متعلقة بالمرأة ويبقى دورها محصوراً وصوتها خافتاً أو غير مسموع. ولم يتم منح المرأة حصة في التمثيل النيابي توازي حصتها في الانتساب الحزبي على الأقل، رغم نجاحهن إدارياً في المناصب التي يحتللنها في الأحزاب.

بالنسبة لأسباب انتسابهن إلى الأحزاب، فالعامل الرئيسي ان أحد أفراد العائلة احتل دوراً بارزاً في الحزب (سابقاً أو حالياً) كما ان بعضهن تأثرن بسياسيين تحريرين طرحوا أفكاراً متعلقة بالحرية والمساواة أو لان حادثاً دراميا مؤثراً لأحد السياسيين كان له تأثير في حياتهن كاغتيال كمال جنبلاط وبشير الجميل ورفيق الحريري.

أما بالنسبة لرضاهن عن أدوارهن الحزبية، فمع أن بعضهن حاولن تبرير ثانوية هذه الأدوار بسبب الواجبات المنزلية والاعتناء بالأولاد، فالبعض الآخر اعتبرن ان المجتمع اللبناني يحد من دور المرأة، وهو مجتمع ذكوري يرى ان الحياة العامة السياسية هي للرجل ليس للمرأة، وهذه من موروثات المجتمع الشرقي. وفوجئت الباحثة ان بعضهن فسّرن دورهن الثانوي في أنهن لا يرغبن بدور بارز رئيسي ويفضلن الدور الإداري داخل الحزب، ولا وقت لديهن لتكريس كل حياتهن للنيابة والوزارة.

وبالنسبة لدى ديمقراطية الحزب الذي ينتمين إليه قالت أكثريتهن انهن وصلن إلى مناصبهن الإدارية في الحزب عن طريق التعيين وليس الانتخاب. ونصفهن فقط أيدن اعتماد «الكوتا» النسائية في التعيين داخل الحزب وفي اختيار المرشحات للنيابة. وبعض هذه الأحزاب تطبق «الكوتا» في المناصب الإدارية ولكن ليس في الترشيحات النيابية.

وقالت إحداهن ان من الضروري ان يقبل الشعب مفهوم ترشيح المرأة للنيابة والوزارة. وقد ساهم تعيين الدكتورة عناية عز الدين مؤخراً كوزيرة ونجاحها في عمليها (حسب الباشا) في تعزيز فكرة فتح أبواب الوزارة والنيابة للنساء.

وقالت الأكثرية الساحقة للمستجوبات أنهن مستعدات لتقديم كل التضحيات في سبيل مصلحة أحزابهن ولو على حساب حياتهن الشخصية. وأشرن إلى انهن محظوظات بالزواج من رجال متفهمين للمسؤوليات الحزبية الملقاة على عاتقهن (ص 110).

وأشارت الدراسة إلى ان معظم الأحزاب اللبنانية أحرزت تقدما في تطوير أنظمتها الداخلية وإنها أكثر ديمقراطية من السابق ولكن التوريث السياسي والطائفية ما زالا مهيمنين في معظمها وان أي قرارات مصيرية ما زالت تعود إلى رئيس الحزب. وهذا يعني انه برغم كون معظم الأحزاب تتحفظ على ترشيح النساء في الانتخابات الاشتراعية خشية خسارة المقاعد النيابية في مجتمع ما زال ذكورياً، فان مصير كثافة تمثيل المرأة في البرلمان والوزارة في لبنان مرتبط بنوعية وشخصية قادة الأحزاب وخلفياتهم الفكرية والإنسانية وإلى أي مدى هم مستعدون لمواجهة المجتمع التقليدي الذي يعيشون فيه ويمثلون فئة من شعبه.

وركزت بولا كلاس في مقالها على ضرورة استمالة النخب واشراكها في قيادة الأحزاب، وأهمية وضع برامج العمل والمشاريع التنموية والتركيز عليها وعلى قادة الأحزاب الجرأة في التزام قضاياهم ومشاريعهم وبرامجهم الساعية لإحداث التغيير. وأيدت في هذا المجال بعض القيادات الشابة وخصوصاً في مجموعات الحراك الشعبي المدني الساعية للبحث عن بديل لما هو قائم حاليا وخصوصاً فيما يختص بدور المرأة والشؤون الاقتصادية والاجتماعية الأخرى.

وأشار فريد الياس الخازن، النائب عن دائرة كسروان وأستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية في بيروت في مقاله إلى ان معظم الأحزاب اللبنانية شهدت تغييراً بعد وفاة مؤسسيها بما يعني ان لبنان انتقل إلى حد ما من أحزاب الشخصيات إلى أحزاب البرامج. وهذا تطور لافت بالنسبة للفئات المهمشة، ولكن قابل ذلك أيضا نشوء أحزاب أكثر التصاقا ببيئتها الطائفية والمناطقية وبالتالي، يمكن الاستنتاج ان تلك الأحزاب الأولى أكثر قابلية لاستيعاب أدوار متطورة للمرأة في النظام السياسي اللبناني من الأحزاب الطائفية «الجديدة».

ودعا روجي كرم الأحزاب في لبنان والمنطقة لمراجعة أسسها الفكرية وهيكلياتها التنظيمية، وإلى تطوير أنفسها بغية استيعاب التحولات المجتمعية السريعة مؤكداً ان العامل الطائفي في لبنان قد يقف حائلاً دون أحداث النمو والتغيير. والمطلوب (في رأيه) تطوير نظام المواطنة وتعزيز حقوق المواطن الفرد، رجلاً كان أو امرأة، بالإضافة إلى تطوير الأحزاب وبرامجها.

أما رودريك ابي خليل، الذي أشرف إدارياً على تنظيم المؤتمر وتحقيق الكتاب، فقد انتقد ما سماه «اختراق الطائفية للبيئة الاجتماعية والحياة السياسية في لبنان» بحيث ركز الدستور اللبناني على الحقوق والحريات داخل نظام الطائفة. وبالتالي، تجردت الحرية من صفتها العامة الكلية والشاملة وأصبحت قوانين الأحوال الشخصية تميز الأفراد عن بعضهم والرجال عن النساء وغابت رؤية فكرية وإنسانية وتعليمية وإعلامية مبنية على المساواة. وأصبح لكل طائفة ترابط عمليات نشوئها مع العلاقات بين الأقليات والأكثريات في المنطقة. وهذا، يشمل الأقليات والأكثريات الطائفية والاثنية والمجموعات الاجتماعية الأخرى.

العامل الأهم في رأي المولى، لتطوير الديمقراطية في لبنان هو اعتراف هذه المجموعات اللبنانية ببعضها وكل واحدة منها بحقوق الأخرى واعتماد الحوار الدائم فيما بينها. والمطلوب، حسب مقاله، نشوء حركة جديدة تركز على الإيجابية في التجربة اللبنانية من أجل تطويرها إلى الأفضل.

ولعل هذا الطرح يشمل أيضاً اعتراف المجتمع اللبناني الطائفي - الذكوري بحقوق المرأة اللبنانية وبقدرتها على التمثيل الصحيح لتطلعات وآمال اللبنانيات واللبنانيين في المجالس النيابية وفي الحكومات في المستقبل. فالحوار السياسي وحده لا يكفي، والمطلوب الحوار الإنساني الحضاري والفكري المستند إلى التجارب الإنسانية الديمقراطية في كثير من بلدان العالم التي تجاوزت التقوقع الطائفي والذكورية وهيمنتهما على القرارات المصيرية.

مجموعة من الاختصاصيين: «تطور الأحزاب لتطوير الديمقراطية في لبنان»
دار سائر المشرق، بيروت 2018
180 صفحة.

المقال

بلال فضل

لا تسأل عن التفاصيل يا مدحت!

كان من حسن حظي أن أحببت فن محمد عبد الوهاب مبكراً، بعد أن كان دافعي للتعرف عليه كراهية أحد أخوالي المفرطة له، ما زلت أذكر ذلك اليوم من أواخر الثمانينات، الذي راجت فيه شائعة أن عبد الوهاب قد توفي، كان خالي قد عاد من العمل مرهقاً، وسمعته يقول لجدتي بضيق شديد لم أفهمه: «بيقولوا عبد الوهاب مات، هيذيعوا بكره كل أفلامه ورا بعض ويبوظوا لنا يوم الأجازة». في اليوم التالي اتضح أن عبد الوهاب لم يمت، واستمتعت مع خالي بمشاهدة فيلمين لعادل إمام وفيلم لكلينت إيستوود، لكني أخذت قراراً بالبحث عن أغاني عبد الوهاب لأعرف لماذا يتضايق منه خالي إلى هذا الحد، وهو الذي علمني محبة الغناء الجميل، وحين عشقت عالم عبد الوهاب تعلمت إمكانية تعدد الأذواق وتناقضها، ثم تعلمت إمكانية تغيرها حين ظهرت أغنية «من غير ليه» وفوجئت بمحبة خالي لها لأنها كانت «غير شغل عبد الوهاب الممل خالص»، قبل أن يغير رأيه مع مرور الأيام، ويصبح من مدمني عبد الوهاب في أغلب مراحله، ويتفق معي في كونه من أنجع وسائل ضبط المزاج المقلوب وتغيير «المود» المكروب.

كان من أوائل ما أحببته لعبد الوهاب لحنه لقصيدة «سهرت منه الليالي» التي عرفني عليها زميل دراسة اتخذ من إحدى عباراتها «ما أقصر العمر حتى نُضيعه في النضال» منهجاً في الحياة، وتصورنا أنه أحسن الاختيار، حتى عرفنا أنه دخل السجن في قضية نصب مضحكة التفاصيل. كان اهتمامي بالأغنية قد زاد حين عرفت أنها كانت القصيدة الوحيدة التي كتبها حسين ابن أمير الشعراء أحمد شوقي، تذكرت ما كتبه فتحي رضوان في كتابه البديع «عصر ورجال» عن علاقة حسين المتوترة بأبيه، ثم قرأت ما كتبه حسين عن أبيه فازداد تعاطفي معه وإعجابي بقصيدته اليتيمة، وبالأخص ذلك المقطع الذي يصف فيه حسين حال المحب وما يعتريه من اضطراب وتقلب في المشاعر «آه الحب فيه بقائي آه الحب فيه زوالي»، وهو ما يذكرك بقصيدة أبي صخر الهذلي البديعة عن تقلبات المحب قبل رؤية المحبوبة وحين رؤيتها: «فما هو إلا أن أراها فجاءةً، فأبهُت لا عُرفٌ لديّ ولا نُكر».

ثم مرت الأيام، وشاهدت محمد عبد الوهاب «ما غيرو» على رأي إخوتنا الشوام، وهو يتحدث مع سعد الدين وهبة في برنامج «النهر الخالد»، مسهباً من شأن تلك القصيدة، راوياً أنه وهو يلحنها «اتزنق» في كلام يناسب الموسيقى التي كان قد وضعها مسبقاً، فقام بتأليف ما وصفه بـ «الحتة العبيطة» بتاعة آه الحب فيه بقائي والحب فيه زوالي»، وهو موقف لم أستسغه، معتبراً أن عبد الوهاب كان يقوم متأخراً بتصفية حسابه كابن فني وأدبي لشوقي الذي كان يحبه أكثر من ابنه البيولوجي، ومن باب التعاطف مع حسين زميلي في نادي الأبناء المعذبين، نقلت كلمات القصيدة وأعدت تأملها بعيداً عن اللحن والغناء، لأقرر أن البيت الذي أضافه عبد الوهاب أصلاً ركيك وتافه لأنه دخيل على القصيدة، ولا علاقة له بباقي عباراتها الرائعة مثل: «يتوه في الحب قلبي فراشةً لا تبالي»، و«قلبٌ بغير غرامٍ جسمٌ من الروح خالي».

ثم مرت الأيام، وتغيرت المسامع والأفهام، ولم تعد «سهرت منه الليالي» ضمن قائمة مفضلاتي الخمسين لعبد الوهاب، آنس إليها حين تأتي في سكتي بالصدفة، لكني أصبحت أضحك على تعبير «فراشة لا تبالي»، وأتساءل كيف يكون شكل الفراشة التي تبالي؟ ومع مرور المزيد من الأيام وتغير المزيد من المسامع والأفهام، أصبحت أعتبر أن أكثر ما قيل في وصف تقلبات المحبوب تكثيفاً وعمقاً هو قول الريس بيرة على لسان أحمد عدوية: «حبة فوق وحبة تحت»، كما أني أصبحت أتسامح مع حقيقة أن عدداً من أجمل ما أحببت من أغاني، تم تركيب الكلمات فيها على الألحان، على عكس ما كنت أتصوره أن الكاتب يقدح زناد فكره، فيبدع كلمات تفجر منابع الإبداع في وجدان الملحن، ثم ينصهر صوت المطرب في البوتقة الإبداعية، كنت أصدم في البداية بمعرفة أن كلمات الأغنية التي أحبها كُتبت على اللحن في قعدة لم تتجاوز يوماً أو نصف ساعة أحياناً، ومع الوقت لم يعد ذلك يجعل حماسي للأغاني يبوخ، بل أصبح يزيد من تقديري لكتابها، يعني هل يمكن ألا تحب مرسي جميل عزيز أكثر، حين تعرف أنه قام بمنتهى السلاسة بتركيب كلمات أغنية «ابعد يا حب» لعفاف راضي، على ذلك اللحن المريد لمنير مراد، وهل يمكن أن يقل عشقك لمأمون الشناوي حين تعرف أنه ربما كتب كلمات بروعة «مريت هنا واشتقت إليك.. ولساعة من عمري هنيّة.. والبدر وانت وضيّ عينيك بينوروا الليل حواليا.. والنسمة بتوديني عليك وتعطفك تاني عليا»، على خلفية موسيقى وهابية تختلط بها كلمات من عينة «بامية على ملوخية» التي كان عبد الوهاب يحب استخدامها حين يضع موسيقى بعض أغانيه؟

أمير الشعراء أحمد شوقي مع ولديه حسين وعلي

ربما كان آخر عهدي بالسؤال عن كواليس الأعمال الفنية التي أحبها، حين سألت الرائع أحمد زكي عن أغنية «لا لا إثبت»، التي غناها في مسلسل «هو وهي». كنت يومها خارجاً من أزمة «عاتشفية» عنيفة، وقد وصفتها بذلك لأفرقها عن الأزمات العاطفية العنيفة حقاً وصدقاً، وهو فرق ستتبينه بعد سن الثلاثين إذا كنت محظوظاً، قلت يومها لأحمد زكي إنني كتبت من سيرة كاتب أو فنان مقياساً للحكم على أعماله، والنصيحة الأهم التي سأحاججك بها يوم القيامة: لا تأكل «الفاست فود» أياً كانت الظروف والملابسات.

وكواليس الأعمال التي تحبها، إلا إذا كنت مستعداً للفصل بين العمل نفسه وظروف صنعه، وألا تفترض أن الإبداع يعني العفوية دائماً، ولا أنه يعني التخطيط المسبق دائماً، وأن تنشغل أكثر بالتفاصيل التي يقدمها لك العمل لا بتفاصيل صنع العمل، وأن لا تقرأ رسائل ديستويفسكي إلا بعد أن تقرأ أعماله، ولا تتخذ من سيرة كاتب أو فنان مقياساً للحكم على أعماله، والنصيحة الأهم التي سأحاججك بها يوم القيامة: لا تأكل «الفاست فود» أياً كانت الظروف والملابسات.

العلام.. الدنيا طلعت غدارة.. والحلم خديعة وأوهام.. فاهم إوعى تصدق أنثى.. المرأة خلاص إلغاء إعدام.. غشاشة من ضلع أعوج.. وزي البحر في قلبه ظلام»، فصدمني بأنه ليس معجباً بتلك الأغنية التي كتبت في لحظة هزار بعد أن قال لصلاح جاهين وكمال الطويل: «يعني أنا ما ليش نفس أغني لوحدي زي سعاد طب اعملوا لي حتى مقطع أسمع الناس صوتي، فكتبها عمك صلاح على موقف يناسب كلماتها واتلحنت في نفس القعدة»، ثم أضاف ساخراً: «وبعدين انت غبي عشان تاخد كلام معمول لغنوة دراما وتحطه في قصة مالهاش دعوة بالموقف..طب هتلاقي مين تحبك بعد كده بما تقول المرأة خلاص الغاء إعدام، يا أخي حط فيه كلام غزل في المرأة تمجيد ليها عشان تلاقي اللي تتنيل وتحبك»، وكانت بالفعل نصيحة ثاقبة من «زكاوة» العظيم، لأنني أدركت مدى بلاهة اعتناق تلك الغنوة المرتبطة بلعبة درامية كموقف شامل من المرأة، لأن ظلام القلوب لا يفرق بين رجل وامرأة، كما لا أظنه يخفى عليك.

ثم مرت الأيام، وسألني صحافي عن كواليس عمل فني كتبته وحقق نجاحاً كبيراً، وبالتحديد عن عبارة أعجبته قالها البطل للبطلة، رأى أنها لخصت له تعقيدات قصة علاقة فاشلة لم ينجح في نسيانها، فضلاً عن تلخيصها لتطور قصة الحب بين البطلين بشكل مفاجئ، وسألني عما إذا كان هناك موقف في حياتي أثر عليّ فكتبت هذه العبارة بذلك التكثيف، وكنت قد أصبحت أكثر حكمة من الاعتراف بأنني أمليت العبارة على المخرج حين اتصل بي من موقع التصوير، وقال إن المشهد يحتاج إلى عبارة إضافية لتأكيد مشاعر البطل، فطلبت أن يمهلني دقائق لفتح ملف السيناريو على الكمبيوتر، لأنني نسيت الحوار الذي كتبته قبل أشهر، وحين دق جرس الباب، قلت للمخرج إنني طلبت «أوردر من هارديز»، وأن «الفاست فود» لا يؤكل إلا ساخناً ليستفيد الجسم من سمومه، لكنني سأفكر في عبارة مناسبة وأنا آكل، وبعد أن أكلت وحَبَست بكوباية شاي، اتصلت به وأمليته العبارة التي صفق لها هو والبطلان وكثير من المشاهدين وصديقنا الصحافي، الذي قلت له بصوت متهدج، أنني أفضل ألا أتذكر الموقف الذي دفعني لكتابة العبارة لأنه «خاص جداً»، فقال بتأثر إنه كان متأكداً أن عبارة مثل هذه لا تخرج من الوجدان بالساهل.

بالطبع لن أقول لك ما هي العبارة ولا ما هو العمل، لأقلل من محبتك له إن كنت تحبه، فقط سأنصحك بألا تسأل عن تفاصيل

رأي

كاريكاتير: أمية جحا

سعيد يقطين

انهيار أسطورتي قضية الصحراء

يقول مثل مغربي: «ما حدّها تقاقي، وهي تزيد في البيض». ومعناه أن الدجاجة ما دامت تقوق فهي ستعطي بيضا. لا تتوقف الدجاجة العربية عن القوقأة، وها هي تعطي بيضا. وبالتحري لا نجدها تقدم سوى بيض فاسد، فلا هو قابل لأن يقدم طعاما في الحين، ولا ينتظر منه أن يتحول لحما مع الزمن. لكن القوقأة صنيعتها إلى اختراق منطقة عازلة، وخلق المزيد من التصعيد؟ لا أحد يماري في أن الجزائر، منذ أن طرحت قضية الصحراء المغربية، وهي تعمل على التصدي لهذه القضية الوطنية للحيلولة دون استكمال المغرب وحدته الترابية. فإذا كانت الجزائر قد صنع الاستعمار الفرنسي حدودها كما شاء، معتبرا إياها مقاطعة فرنسية خالصة، فإن وضع المغرب مختلف تماما. إنه منذ أن نجح في مقاومة الأتراك، وجعلهم بعداء عن السيطرة عليه، حوصر من الشرق من لدنهم، كما حوصر من الغرب حيث ظلت إسبانيا والبرتغال تستهدفان شواطئه على المحيط الأطلسي والبحر والمتوسط. وبذلك ظل تاريخه منذ طرد المسلمين من الأندلس يقوم على ثنائية: «الجهاد من أجل الاستقلال»، و«الوحدة الترابية». وجاء الاستعمار فتوزع المغرب بين فرنسا وإسبانيا. فاقتطعت إسبانيا شمال المغرب والصحراء، وفرنسا وسطه، وموريتانيا. وظل المغاربة من بداية القرن العشرين إلى أواسطه يحاربون الاستعمارين من أجل استكمال الوحدة الترابية.

منذ حصول المغرب على استقلاله من فرنسا ظل يطالب باستقلال المناطق التي ظلت خاضعة للاستعمار الفرنسي (حاسي بيضاء وتندوف وكولومب بشار). ولم يفلح إلا في استرجاع طرفاية سنة 1958، وإفني سنة 1969، من الاستعمار الإسباني، وبقيت الساقية الحمراء ووادي الذهب، وسبتة ومليلة تحت الاستعمار نفسه. وجاءت المسيرة الخضراء سنة 1975 لتضع حدا للاستعمار الإسباني في الصحراء، والمشاكل التي اختلقتها الجزائر بدعوى «تقرير المصير»، منذ بروزها، جعلت قضية «سبتة» و«مليلة» معلقة، وغير مطروحة إلى اليوم. وهذه هي ضريبة الجغرافيا التي يدفعها المغرب جعلته إلى الآن يطرح قضية استكمال وحدته الترابية. لذلك ستظل الملفات القديمة مطروحة وهي لا تؤدي إلا إلى تفاقم تأخرنا، ومراوحتنا المكان.

كان إجماع كل المغاربة على استكمال الوحدة الترابية إجماعا حقيقيا، وسيظل. لقد دفع المغاربة تضحيات كثيرة من أجلها، وهم مستعدون لذلك أبدا. إن قضية الصحراء التي افتعلتها الجزائر، وأدت إلى خلق جبهة البوليساريو، كانت ولادة أسطورتين: أسطورة إسقاط الملكية وكان هذا هدف الجزائر وليبيا ومصر باعتبارهم «ثوريين»، و«اشتراكيين». وأسطورة «البؤرة الثورية» في الصحراء من لدن جزء من اليسار المغربي، وضمنهم عناصر من النظام الجزائري منشغلا بها. فلم تتحرك منذ 1975 جرت مياه كثيرة تحت النهر. فلا الملكية تم إسقاطها، ولا الثورة الاشتراكية تحققت. ومع انهيار الاتحاد السوفييتي، والمنظومة الاشتراكية انهارت «الثورة»، و«البؤرة»، وحتى الأنظمة الجمهورية التي قدمت نفسها بديلا لبناء المجتمع العربي، أبانت أن حكم العسكر أكثر رجعية وقهرا للشعوب التي يحكمها. فماذا بقي من أسطورة تقرير المصير، والبؤرة الثورية؟ لكن الجزائر، وقد دعمت البوليساريو للغايات المذكورة لم تستجب لكل المفاوضات التي طرحت، وظلت تعرقل أي حل ينهي المسألة مستغلة كل إمكاناتها لعزل المغرب إفريقيا ودوليا. أغلقت الحدود بين البلدين، وطردت 45 ألفا من المغاربة شر طردة... وتدعي أن المشكلة هي بين المغرب وجبهة البوليساريو، وهي فقط مع المقولة «الثورية»: تقرير المصير. دعمت الجزائر البوليساريو عسكريا ولوجستيا، وظلت الحرب قائمة ضد المغرب إلى أن تم الاتفاق على وقف إطلاق النار سنة 1991. فلماذا تم التوصل إلى هذا الاتفاق في هذه السنة بالضبط؟

إن هذا التاريخ يبين بجلاء لكل ذي عينين، أن الحرب ليست بين المغرب والبوليساريو، ولكنها حرب جزائرية ضد المغرب. في هذه السنة بالضبط ستبدأ العشرية السوداء في الجزائر والتي نجمت عن إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية، وكانت لها تداعياتها المأساوية على الشعب الجزائري، وجعلت صنيعة الجزائر، وكان وقف إطلاق النار الذي استمر إلى نيسان (أبريل) 2018 الذي بدأت تظهر فيه تلويحات إنهاء وقف إطلاق النار، وإعلان الحرب مجددا على المغرب بتحرك البوليساريو نحو منطقة الجدار العازل. فما السبب الذي جعل الجزائر تحرك صنيعتها في هذا الوقت بالضبط؟

نجح المغرب في تجاوز أحداث 20 شباط (فبراير)، ولم يقع في ما وقعت فيه الجمهوريات «الثورية»، وما وقع فيها من زلازل ما تزال تداعياتها إلى الآن (مصر، ليبيا، سوريا). كما أنه نجح في الرجوع إلى إفريقيا بقوة، اقتصاديا، وحقق بذلك نجاحات سياسية لفائدة قضية الصحراء، التي غادرها أمدا طويلا من الدهر، مخليا المجال للجزائر لتحقيق انتصارات لفائدة الانفصال. هذه النجاحات لا يمكنها أن تربك الطموحات الجزائرية في تحقيق أهدافها، ومن بينها تصدير أزماتها الداخلية التي لا حصر لها إلى الخارج، إسوة بكل الدول العربية التي بدل أن تبيض بيضا صالحا لفائدة شعوبها، لا تفكر إلا في إنتاج البيض الفاسد عليها وعلى جيرانها.

إن من يخلق أجواء التوتر اليوم، هو من خلقه بالأمس. إن الفساد لا يخلق سوى البيض الفاسد، وللأسف الشديد نرغم شعوبنا على تناوله إمعانا في احتقارها والسخرية منها.

كاتب مغربي

نحو 47 ألف لاجئ من جنوب السودان

أعلنت الأمم المتحدة، إطلاق حملة لتوزيع مواد غير غذائية، على نحو 47 ألف لاجئ من دولة جنوب السودان، في المناطق المفتوحة (بالعراء) بالخرطوم عاصمة الجارة الشمالية.

وذكر تقرير صادر عن مكتب الشؤون الإنسانية للأمم المتحدة بالسودان «أوتشا» أن المفوضية السامية لشؤون اللاجئين وزعت مواد غير غذائية على 9 آلاف و50 عائلة (أي نحو 46 ألف و250 شخصا).

وأضاف التقرير أنّ «الخرطوم تستضيف 280 ألف لاجئ من جنوب السودان، 47 ألف منهم يقيمون في 9 مناطق مفتوحة».

وتشير آخر احصائية للأمم المتحدة، في يناير/كانون الأول الماضي، إلى أن عدد اللاجئين يقدّر بنحو 770 ألفًا، منهم 352 ألفًا وصلوا السودان قبل اندلاع الحرب عام 2013.

أداب وفنون

ذكريات مع نزار قباني شاعر الحداثة الأكبر

عبد الواحد لؤلؤة

بين 21 آذار/مارس و30 نيسان/إبريل من كل عام تغمرني شلالات من ذكريات لا أستطيع منها فكاكاً. فالتاريخ الأول هو ميلاد شاعر الحداثة الأكبر، اللايتكرّر ولو بعد عمر طويل، نزار قباني، الذي حمل الشعر العربي إلى حداثة في متناول القاصي والداني، ممن يُحسن القراءة من العرب، حتى المستعربة منهم، وحتى من لا يُحسن سوى الاستماع الذي يُرغم على الاستيعاب.

والتاريخ الثاني هو يوم رحيل الشاعر الذي أرغَمَ، بغاية اللطف، جميع محبّي الشعر، أو أنصاف محبّيه، على العودة إلى مجموعاته الشعرية الكثار، لتَدارُك ما فاتهم منها، من يوم ناقش مجلس النواب في دمشق اقتراح محاكمة الشاعر الذي تجاوز «بعض» الخطوط الحمراء، في قصيدة تجاوزت الخطوط من جميع الألوان، قصيدة «خبز وحشيش وقمر». شاعر أقنع جميع النساء على الإعتراف بأنه «شاعر المرأة» وهو شرف لا يدّعيه، وتُهمة لا يتبرّأ منها. حاولت نساء دمشق تكريس تلك التهمة، والتفاخر بها، فخرجن أسراباً بملابس الحداد البيضاء، لاستقبال جثمان الشاعر، العائد بطائرة خاصة من لندن حيث أجريت له عملية على قلب لم يستطع الصمود أكثر ممّا صمد.

ذكرياتي عن نزار تبدأ يوم قابلته أول مرة ببغداد في أوائل ستّينات القرن الماضي في «مؤتمر الأدباء العرب». «ما أطيب اللقيا بلا ميعاد» ولو أن تلك اللقيا كانت «في بغداد» ـ وعُذراً لصَرفها، كما قال شاعر العراق الأكبر، عبد الرزاق ـ وليست «في مدخل الحمراء كان لقاؤنا». أذهلني أن نجم المؤتمر كان إنساناً في غاية التواضع والإصغاء إلى محدّثه بابتسام غير مصطنع. ثم استمرت «اللقاءات» بالرسائل، وفي المؤتمرات الشعرية، حيثما كان لذلك سبيلا. وأذكر بشكل أكثر حميمية يوم جاء إلى بغداد مع أسرته الصغيرة في أواخر سبعينات القرن الماضي، هرباً من «الحويدس» في بيروت. وفي حديقة دارنا في «حي الجامعة» في العصاري كان مُنتشياً بعبير «الرازقي» الذي سمع به وتنسَّم أريجه أول مرة، وبعدها صار يتكلم عن الياسمين الدمشقي والرازقي البغدادي. وكان تواضعه واقترابه من جميع البشر صفة لم تفارقه. كان لدينا «طبّاخ» من «الأثوريين» في جبال شمال العراق، نستعين به في المناسبات. يومها كان نزار في حديقتنا ينعم بعبير الرازقي، وجيورجيس يروح ويغدو بما لذّ وطاب من أطعمته، ويسترق النظر إلى نزار ولا يجرؤ على الكلام معه، لأن لهجته العربية أثورية النغم. لكنه أسرّ إليّ أنه يقرأ شعر نزار، ويرجوني أن أحصل له من الشاعر أية قصاصة ورق عليها توقيعه. نقلتُ هذه الأمنية إلى نزار، فضحك «حتى بَدت نواجذُه» وقال: هات لنا ورقة. فاعطيته بطاقة بريدية عليها صورة بغدادية. فكتب نزار على ظهر البطاقة بخطه الجميل: «تحيةً إلى جيورجيس، أحسن وأنظف طباخ ببغداد». تسلّمها المسكين ولم تُسعفه كلمات الشكر، ونزار يكرّر: أكلاتك فاخرة!

وفي أواسط الستينات كانت الشام ملاذنا الدائم في عطلة الصيف في الجامعة. وقد يسعفنا ما في الجيب، أحياناً، لعبور نقطة «المصنع» ذهاباً إلى بيروت، بعد تناول «سندويشة لبْنه» في مقهى «لور دكّاش» على الحدود. لم يكن نزار في بيروت يومها، بل ربما في أحد بلاد الله التي كان فيها زائراً أو سفيراً، في الصين مثلاً، يوم قال إنه سيعود بقصائد مكتوبة من أعلى الصفحة إلى أسفلها، على الطريقة الصينية!

ولكن، بداية من عام 2004 فصاعداً كانت زيارة الشام ممكنة بالنسبة للعراقي المسكين، بعد أن حذفوا من جواز السفر السوري تلك العبارة اللاتوصف: «صالح لجميع الأقطار ما عدا العراق». كان أول عمل جليل أقدمتُ عليه في تلك الزيارة الأولى، بعد غياب سنين، أني ذهبت إلى ذلك المحل الصغير «بقفا سانوية جودات الهاشمي» لأطلب «سندويشة نقانق» كان سعرها في الستينات «ربع ليرة». لم أذق مثلها في بلاد الشرق والغرب. خمنتُ أن الأسعار قد زادت، فناولت البائع «شوية فراطة» فكان جوابه: «خمس ليرات أستاذ!» وأردف مستغربا: «شو، كاين بالبرازيل؟».

نزار قباني

أما الذكريات النزارية الأهم، بين 2004 و2009، قبل سقوط «الصقيع العربي» فهي عادتي المتكررة في كل زيارة. بعد وصول الفندق، آخذ أول تاكسي إلى حدود «ميدنة الشحم» قاصداً «عرزال» ذلك المعمّر الدمشقي الذي جعل من عرزال الكروم «دكانه» يبيع منها السجاير والحلويات ويدل الناس على بيت فلان وفلان لأنه «مختار الحارة». سألته أول يوم عن دار نزار قباني، فاشار بأصبعه «شعْو» تمرة خمسة. وسار معي خطوات قليلة. ما زالت اللوحة رقم خمسة في مكانها. سألته: من يسكن في الدار اليوم؟ «ناس من بره. عجم إشتروه» هل أستطيع الدخول وتصوير «البَحرة»؟ «رِنّ الجرس.. يفتحوا». فعلاً، فتحوا. البَحرة تزهو بما حَولها من شجر برتقال وليمون.

وعودتي إلى المجاميع الشعرية تدفعني الذكريات الحلوة إليها، بمناسبة وغير مناسبة. وقد أهداني عدداً من تلك المجموعات عند صدورها، مكللة بعبارات غاية في الرقة. هذا شاعر تسيل الكلمات من قلمه شعراً. ذات صباح رنّ جرس الهاتف، فسمعتُ صوتاً ناعماً في السَحَر: «فيه إلك كتاب شعر أرسله معي أستاذ نزار». هرعت فوراً لأجد نسخة من «أشهدُ أن لا امرأة إلا أنت». صاروا ست مجموعات اعتز بها، عدا ما اقتنيتهُ من قبل. أرسلتُ مع الفاتنة العائدة في الغد إلى بيروت نسخة من ترجمتي مسرحية شكسبير «تيمون الأثيني». وبعد أسبوع جاءتني من نزار معلّقة في مديح ترجمتي والسؤال: هل في بلادنا «تيمون « يبذل ما يملك للأهل والأصحاب، ثم يتنكرون له؟ أرجو الا يكونِ... لكنه أجاب «هذا مثل أمل إبليس بالجنّة».

لقد كُتب الكثير عن شعر نزار السياسي، شرّق فيه الكتّاب وغرّبوا. لكني أرى أن خير ما يمكن أن يقال عن الشعر/الشعر، هو إعادة قراءته بقلب يقظ. يوم صدرت «هوامش على دفتر النكسة» كانت الملح على الجرح المفتوح. لكن الكلام كان من المألوف، السهل المُمتنِع. «مالحةٌ في فَمنا القصائدُ/ مالحةٌ ضفائرُ النساء/ والليل والأستار والمقاعدُ/ مالحة في فمنا الأشياء!» من استطاع، قبل نزار وبعده، أن يصوّر المأساة بكلمات على هذه الدرجة من البساطة... القاتلة؟ شاعر يحتفي بضفائر النساء، والليل، والأستار في غرف لقاءات الحب، والمقاعد... جمعها بكلمة «الأشياء» التي غدت جميعها «مالحة». فسألني أحدُهم: لماذا مالحة؟ لأنها لم تعد «حلوة» يا فهيم! «نقعد في المساجد/ تناولاً كُسالى/ نخمّس الأشعار أو نؤلف الأمثالا/ ونطلب النصر على عدونا/ من عنده تعالى!».

أليس هذا واقعنا العربي، الذي كان وما يزال. ونحن نلوم هذا وذاك على ما حل بنا، ولا نلوم أنفسنا، ولو أن اللوم لا يجدي نفعاً بعد «اللي صار». أما أن يظهر «بين ظهرانينا» من يغازل عدو الله وعدونا، من أجل غرض زائل، ومجدٍ زائف لم يدُم للقياصرة والأكاسرة، فهو من الظواهر ألصيّة على الفهم بل الاستيعاب. والأفظع من ذلك (أفظع؟) أن تعرض تلفزيونات العالم العربي بعد كارثة حزيران، صورة «وجه أركان حرب، صدره مملوء بالأوسمة والنياشين» يصرّح، لا فُضّ فوه: «دَحنا كنّا مستنّيهم م الشرق، أطابيهم جونا مل غرب!» المحروس لم يقرأ أنّ الحرب خُدعة، ولم يتعلم في كلّية النياشين والأوسمة سبب هزيمة المسلمين في معركة أحُد، أن خالد بن الوليد انسحب بجيش قريش من المعركة، ثم استدار حول جبل أحُد ليُفاجئ جيش المسلمين المنشغل بالغنائم والأسلاب، ويكسب المعركة. صاحبنا ورهطه، كما قال أحد العارفين، كان يسهر ليلتها ويسمع «الحب كِدَه، أهو من دَه وِدَهْ» تتكرّر مئات المرّات.

لكن صدر «الليوان» عليه صور «غير عربية ولا.. إسلامية». قال: «هدول مستأجرين فندق الأورينت تبع أيام الإفرنسيين.. طول السنة، لجماعتهم ياللي يجوا لزيارة قبر الزهراء. ما في قبر ولا زهراء... بس الحكومة بدها مصاري». خشيتُ أن أعلّق!

ثم أذهب إلى «باب زغير» مقبرة «الباب الصغير» ويدلّني الحارس العسكري الشاب على «مثوى فقيد الشعر العربي». أقف لأقرأ الفاتحة على روح الفقيد. ويشاركني العسكري الشاب، قائلاً إنه يقرأ له الفاتحة كل صباح.

الفن القوطي: من التمرد والتصوف إلى عوالم الرعب

القاهرة ـ «القدس العربي»: محمد عبد الرحيم

لا يُذكر اسم الأسلوب أو العصر القوطي، إلا وتستدعي الذاكرة الأقبية والسراديب والإضاءة الخافتة، وحس المؤامرة ووشوك وقوع جريمة أو شر مقيم في المكان. هذه الأجواء الغرائبية التي تثير الرعب، بدأت مع البنايات الدينية والقصور المهجورة، وأكدتها مخيلة الأدباء في رواياتهم التي أصبحت نموذجاً لما أطلق عليه «أدب الرعب» ولكن ماذا عن هذا العصر، الذي ظهرت أفكاره ومعتقداته خاصة في مجال العمارة، ومنها انتقلت إلى معظم فروع الفن، من الموسيقى وحتى الأدب؟

الفن القوطي

أطلقت كلمة «قوطي» على الفن في أواخر القرون الوسطى، خاصة من منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، حتى عام 1400، وقد نشأ اسم قوطي، مع مثقفي النهضة الإيطالية المعروفين بـ «الإنسانيين» وينسب إلى قبائل القوط الجرمانية، التي اجتاحت إيطاليا، حيث يعتبر الإنسانيون أن فن القرون الوسطى من إنتاج القوط الهمج. لكن هذا التعريف المدرسي يقابله تعريف آخر، وهو أن هذا الأسلوب أو الرؤية الفنية ازدهر في غربي أوروبا في الفترة الممتدة بين منتصف القرن الثاني عشر والقرن الخامس عشر الميلاديين. وكلمة قوطي أصلها مصطلح اشتُقّ من كلمة تعني الرَفْض والتمرد، واستخدمها الفنانون والكتاب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، الذين أرادوا إحياء العمارة الكلاسيكية لقدماء الإغريق والرومان في أوروبا. وعارض كثير من الفنانين والكتاب التصاميم القوطية المعقدة وغير المنتظمة التي اختلفت كثيراً عن النمط الكلاسيكي المعهود وقتها.

العمارة

كان الفن القوطي عامة، فناً مسيحياً خضع لتأثير القديس برنارد. وكان عليه بذلك أن يتضمن الموضوعات الدينية والصور الرمزية التي تمثل العواطف الداخلية، أي تمثل مواقف الأشخاص وانفعالاتهم وتعابير وجوههم، مع المبالغة أحياناً ولاسيما في ألمانيا في الموضوعات التي تمثل الموت والأساطير. (راجع .. عفيف البهنسي، تاريخ الفن والعمارة ـ دار الشرق للنشر، دمشق 2004). وتتميز العمارة القوطية بخصائص جمالية مستقلة، أولها الاهتمام بالخطوط المستقيمة ولاسيما الخطوط الشاقولية المتوازية، والتي ربطت عناصر البناء ومفرداته المعمارية مع بعضها، كما امتازت بتطوير أبراج الأجراس، والتركيز على استخدام التماثيل الشخصية لتغطية الواجهات، واستغلال الصور الزجاجية الملونة التي تشكل النوافذ والزهريات الدائرية لاستقبال النور الخارجي لإضاءة المنشآت، وأكثرها كانت كاتدرائيات ضخمة أشهرها كاتدرائية نوتردام في باريس. ولم تكن العمارة القوطية مقتصرة على الكاتدرائيات، بل امتدت لجميع أشكال العمارة، وأهمها القصور الملكية أو قصور العدل، وبعض الحصون. فالجدران على سبيل المثال كانت رقيقة وذات دعامات أخف من تلك التي كانت في كنائس الرومانسك. وكثير من هذه الدعامات مكونة من مجموعات من الأعمدة بارتفاع عدة طوابق. وقد مد المعماريون القوطيون الدعامات إلى السقف، ثم قوّسوا كل عمود في شكل أضلاع مثل المظلة المفتوحة، وسدوا الفراغات بين الأضلاع بالحجر. وكانت تلك الأقبية المضلعة ضمن أهم الخصائص التي تميزت بها العمارة القوطية. وهناك مظهر آخر للطراز القوطي هو العقود المدبَّبة والاستعاضة عن أجزاء كبيرة من الجدران بنوافذ ذات زجاج ملون. ويلاحظ أن الكثير من النسب في العمارة القوطية محسوبه على أساس قامة الإنسان، ومن أمثلة ذلك نسبة الأبواب إلى الميانى فهي ليست محسوبه على أساس ضخامة الميانى، بل باعتبار قامة الإنسان، ومن أشهر المعالم المعمارية لهذا الفن، كاتدرائية نوتردام دي باري وشارترواميان في فرنسا وكولون وستراسبرغ في المانيا.

النحت

كما هي العمارة القوطية امتداد ناضج للعمارة الرومية كذلك شأن النحت. ويتضح التقارب بين أسلوبي النحت في تماثيل المدخل الملكي لكاتدرائية شارتر. ثم يتطور النحت القوطي نحو أسلوب أقرب إلى الواقع الصوفي، إلى أن يصبح في كاتدرائية ريمز، أكثر حيوية وعاطفية، ولاسيما في تماثيل الملاك الباسم، ويوحنا المعمدان، والمسيح والقديس يوسف. ولم يقتصر النحت القوطي على تماثيل أشخاص بذاتها، حتى وإن كان الموضوع تاريخياً دينياً مثل تمثال «العذراء والطفل» للنحات نينو بيزانو، بل تجاوز ذلك إلى تمثيل مشاهد كاملة من النحت البارز، مثل ولادة يوحنا المعمدان لجيوفاني بيسانو في كاتدرائية بيزا، ومشهد «غفوة العذراء» في بوابة كاتدرائية ستراسبورغ. تفنن المثالون القوط في عمل تماثيلهم متخذين من الطبيعة نموذجا لهم، فتماثيل الرجال والشيوخ تتمثل في القديسين أو الملوك والأمراء، وتماثيلهم النسائية تتمثل في الملائكة. وقد وصل فن النحت القوطي إلى أقصى ازدهاره في فرنسا وخاصة في القرن الثالث عشر، أما في انكلترا فلم يبلغ هذه المرتبة لعدم قبول البروتستانت وجود تماثيل في كنائسهم. وقد استنبط النحاتون زخارفهم من الوسط المحيط بهم فزخرفوا تيجان أعمدتهم بأوراق العنب والليلاب، ونحتوا تماثيل لحيوانات خرافية ذات أشكال مخيفة، والتي تبدو كما لو كانت أشكالاً كاريكاتورية.

التصوير

يتمظهر التصوير القوطي في أشكال ثلاثة، فإما أن يكون تصويراً زجاجياً ملوناً، معشقاً بقضبان الرصاص، موزعاً في جميع النوافذ والزهريات ويمثل أحداثاً دينية، ويستعمل في هذه الصور الزجاج المقطع بألوان مختلفة أهمها، الأزرق الكوبالت والأحمر الفاقع والأخضر الحي، وتبدو هذه الصور أكثر حيوية وإشعاعاً عندما ينفذ ضوء الشمس من خلال الزجاج. ولعل الصور الزجاجية في كنيسة سانت شابيل في فرنسا، والمخصصة للعائلة المالكة، هي من أضخم الألواح الزجاجية، وتمتد على 146 نافذة وتمثل 1359 موضوعا.

تمثال نصفي لشارلمان من الفضة المذهبة

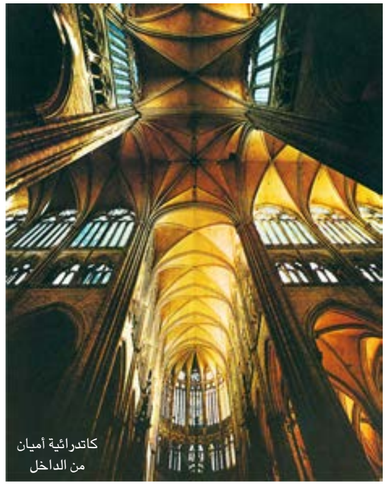
كاتدرائية أميان من الداخل

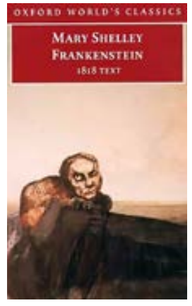

كانت مقصورة حتى ذلك الوقت على ألحان الكنيسة.

فارس بامبرغ نحت في كاتدرائية بامبرغ

عبادة المجوس للفنان جانتيل دافابريانو (1423)

الموسيقى

تعد «البوليفونية» من أهم التغيرات التي صادفتها الموسيقى وفصلاً من أهم فصولها العالمية التي ولدت في العصر القوطي، حيث تغيرت المسارات اللحنية والإيقاعية من شكلها «المونوفوني» إلى «البوليفوني» المتعدد المسارات اللحنية المتوافقة في ما بينها، وفتح هذا الشكل الجديد أمام فن التأليف الموسيقي آفاقاً جديدة ما زالت بالغة الأثر إلى يومنا هذا، وكان منبعها الكنيسة الكاثوليكية والقوى الروحية القوطية الجريئة التي حاولت الجمع بين صرامة الألحان الكنسية القديمة وعناصر لحنية مستمدة من سحر أنغام عهد الفروسية كالتروبادور والترينر، وبعض الفرق الموسيقية من المهنيين وأصحاب الحرف الذين يمتازون بحبهم للحرية، حيث ساعدت هذه الفرق الموسيقية الشعبية على نقل بعض الآلات الموسيقية من العالم الإسلامي عن طريق اسبانيا والحروب الصليبية، مثل، المزامير والسرناي والسنطور والقانون. وهكذا دارت الأغاني حول الغزل والحب فظهرت المرأة في الأغاني والموسيقى لأول مرة منذ العصور القديمة، وأصبح للفن الدنيوي مكان، كما لم يقف الغناء الدنيوي عند الغناء الفردي الذي تصحبه آلة موسيقية، بل تكيف تدريجيًا مع البوليفونية التي

الأدب

لجأ الأدب إلى الأسلوب القوطي كرد فعل على قمع العواطف والعقل والمنطق والعقلانية العلمية الخاصة بالقرن الثامن عشر. فعلى العكس من العقلانية، انشغلت القوطية بالعاطفة والشغف والجنس والفزع، فجاء الأمر أقرب إلى إحياء رومانتيكية القرون الوسطى. فالعالم لم يزل غامضاً وغير معروف أو موثوق العواقب، هناك شيء خفي مجهول، ومثير في الوقت ذاته، ومن هنا دارت الحكايات في المناخ القوطي، بكل ما يحمله من غموض وآثاره الدالة على الارتباط ما بين المقدس والأسطوري، وهي بيئة صالحة تماماً لاختبار الفلسفات والرؤى القديمة، مع ملاحظة أن نشأة الفن القوطي أو هذا الفكر، جاء بعد استبداد رجال الكنيسة في ما يعرف بـ «محاكم التفتيش». فمنذ أعمال ماري شيلي وإدغار آلان بو وبرام ستوكر، وصولاً لأعمال ستيفن كنغ، وحتى أمبرتو إيكو في «اسم الوردة»، لم يزل هذا العالم يجذب الكثيرين للبحث والكتابة والتفكير من خلاله، ناهيك عن عدد الأفلام الذي لا يحصى المستمد من حكايات تلك الفترة، رغم تباين مستواها الفكري والفني.

تحقيقات

الاحتلال الأمريكي للعراق: الحصاد المر

بغداد – «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

مع حلول الذكرى الخامسة عشر للاحتلال الأمريكي للعراق الذي بدأ عام 2003 خيمت أجواء الحزن والألم على العراقيين، وهم يستذكرون الحصاد المر للسنوات العجاف التي مرت على بلدهم بعد وقوعه ضحية مؤامرة دولية وإقليمية شيطانية، جعلته وطنا مستباحا لكل النفوس الشريرة التي لم تترك مجالا للإيذاء والتنفيس عن الأحقاد إلا ومارسته ضد شعبه.

وخلال تلك السنوات العجاف، تكشفت ملامح صورة تلك المؤامرة الشيطانية وأسبابها وأبعادها واللاعبين الأساسيين فيها والثانويين، الذين وظفوا كل وسائل الإعلام قبل وبعد الاحتلال الأمريكي لتظليل الشعوب والترويج للغزو والاحتلال، الذي أراد له مخططوه ان يكون المقدمة لاستباحة العديد من الدول العربية. وإذا كانت إدعاءات ومبررات الغزو الفارغة التي روج لها الداعون له، مثل وجود أسلحة الدمار الشامل أو احتضان النظام السابق للقاعدة، فإن السبب الحقيقي هو تدمير أقوى دولة عربية ضمن ترتيبات الغرب لجعل إسرائيل الدولة الأقوى بدون منافس في المنطقة، إضافة إلى أحلام السيطرة على ثروات العراق النفطية الهائلة.

ومع ان العالم اكتشف متأخرا أبعاد هذه اللعبة القذرة، وأكد عدم قانونيتها، ومن ذلك قول الأمين العام السابق للأمم المتحدة، كوفي انان «ان تغيير النظام كان الهدف الأول لحرب العراق وأنها كانت غير شرعية» فإن دول العدوان نفسها، اقر قادتها بخطأ قرارهم غزو العراق، عندما قال الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما ان غزو العراق وقتل صدام حسين كان خطأ كبيرا، وانه ادى إلى ظهور القاعدة و«داعش» وان إيران كانت المستفيد الوحيد من ظهور تنظيم «داعش» في العراق. كما ان وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كونداليزا رايس، نفت في لقاء عقدته في معهد بروكينغز أن يكون سبب غزو العراق هو جلب الديمقراطية له، قائلة «لم يكن قط في خطط الرئيس بوش حينها استخدام القوة العسكرية من أجل جلب الديمقراطية، لا في العراق ولا في أفغانستان». وضمن السياق، وجهت لجنة جون تشيلكوت البريطانية التي استغرقت سبع سنوات للتحقيق في قرار المشاركة في غزو العراق، انتقادات قاسية لرئيس الوزراء الأسبق، توني بلير، معتبرة ان «اجتياح العراق عام 2003 حدث قبل استنفاد كل الحلول السلمية» وان «خطط لندن لفترة ما بعد الحرب لم تكن مناسبة». وخلص التحقيق إلى أن تبرير وتخطيط وتعامل رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير مع حرب العراق اشتمل قائمة من الإخفاقات.

حجم الخسائر

ورغم ادعاء الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأبن، انه جاء لتحرير العراقيين وجعل بلدهم نموذجا للديمقراطية في المنطقة، إلا ان الشعب العراقي دفع ثمنا باهظا جراء الاحتلال وما ارتكبه من جرائم مباشرة وغير مباشرة ضد العراق وشعبه وتحويل البلد إلى ساحة للصراعات المحلية والأجنبية.

وقد حرص الاحتلال الأمريكي والحكومة العراقية، على إخفاء حقيقة وحجم الخسائر البشرية والمادية للطرفين، لذا تباينت الاحصائيات حولها، إلا ان العديد من الدراسات والبحوث تناولت هذا الموضوع بدقة، ومن ذلك دراسة حديثة قام بها نيكولاس ديفيز، مؤلف كتاب «دماء على أيدينا: الغزو الأمريكي وتدمير العراق» بالاشتراك مع عدة مؤسسات معنية منها «ميديا بنيامين» ومؤسسة منظمة «كود بينك» الذسوية، المهتمة برصد جرائم قادة الحرب على العراق، توصل الباحثان ومن خلال حسا باتهما المستندة إلى أفضل المعلومات المتاحة، إلى ان «عدد الضحايا ليس بعشر ات الآلاف، كما قد يتبادر إلى الأذهان، بل 2,4 مليون عراقي قتلوا منذ غزو عام 2003».

وكان الجيش الأمريكي ادعى مقتل نحو 77 الف عراقي بين كانون الثاني/يناير 2004 وآب/أغسطس 2008 بينما أشارت تقديرات وثائق ويكيليكس المسربة عن القوات الأمريكية عام 2010 إلى مقتل 109 آلاف عراقي منذ بداية الغزو.

ومن جانبها ا، تكبدت قوات الاحتلال الأمريكية و حلفاؤها خسائر فادحة في الأرواح، ح يث قُتل 4500 جندي أمريكي وأصيب نحو 30 ألفاً آخرين، كما قتل 179 جندياً بريطانياً ومقتل 126 جنديا من دول التحالف، اضافة إلى خسائر كبيرة في الأموال والمعدات، جراء أعمال المقاومة والعمليات العسكرية. وقالت دراسة أجراها معهد «واطسـ ـو ن» الأمريكي، إن «تكلفة الحرب الأمريكية في العراق بلغت 7,1 تريليون دولار إضافة إلى 490 مليار دولار من الفوائد المـ ستحقة للمحاربين القدماء» مبينة أن «النفقات يمكن أن تـزداد إلى 6 تريليون دولار خلال العقود الأربعة المقبلة ماعدا فوائدها».

ملامح عراق ما بعد الاحتلال

ورغم ادعـاءات الإدارة الأمريكية انها «لا تريد غزو العراق وإنما تحرير الشعب العراقي» إلا ان العراقيين اكتشفوا لاحقا كذب هذا الادعـاء من خلال انهيار أوضاع بلدهم، نتيجة للإجراءات التي قامت بها سلطة الاحـتلال في البلد بهدف تدمير أسس الدولة فيه وتمزيقه وجعله ضعيفا عاجزا عن المقاومة والنهوض مجددا. وقد أصـدر الحاكم الأمريكي بول بريمر مئات القوانين والتعليمات اضافة إلى قانون إدارة العراق سيئ الصيت، الذي حقق مبدأ «فرق تسد» عبر إثارة الفتنة الطائفية والعنصرية بين مكونات الشعب وعـزل كل الكفاءات والخبرات الوطنية المخلصة.

وحول الآثار العسكرية للاحتلال، يقول اللواء المتقاعد هـلال الشمري لـ«القدس العربي» انه اضافة إلى إقصـاء أكبر قوة عسكرية عربية، فإننا ومنذ الساعات الأولى، تابعنا إجـراءات قـوات الاحتلال الخبيثة التي اكتفت بالسيطرة على مبنى وزارة النفط والقصر الجمهوري، بينما شـجعت علـى اسـتبـاحـة وسـرقـة كـل مؤسسات الدولة دون استثناء رغم قدرتها على منع ذلك. ورأينا وقتها جموع منظمة وبعضها عشوائية، اقتحمت الـدوائـر الحكومية والبنوك والمتاحف والمعسكرات وسرقت وخربت كل شيء فيها، وتوجهت بأغلب المسروقات نحو حدود دول الجوار. وذكر الشمري ان قوات الاحتلال أقامت مناطق لتجميع ملايين القطع من الأسلحة بضمنها الطائرات والدبابات والصواريخ والسفن العائدة للجيش العراقي، في مناطق سمحت فيها للعصابات بتدمير تلك الأسلحة وتحويلها إلى خردة صدرتها إلى الخارج أيضا في وقت قامت جماعات منظمة أخرى بتهريب كميات هائلة من تلك الأسلحة إلى دولة مجاورة. وأضاف، ان قوات الاحتلال تعمدت تفكيك الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية وفي الوقت نفسه سمحت بنهب المعسكرات فأصبح العراق دولة بلا سلاح أو أجهزة أمنية مقابل شعب مسلح ومنظمات مسلحة جـاءت من الخـارج تسيطر على الشارع، معتبرا ان سلوك الاحتلال بحل القوات المسلحة لم يكن خطأ أو سوء تقدير بل تعمدا لإضعاف البلد وتمزيقه وإغراقه في الفوضى والأزمـات رغم علمه بان ذلك سيخلق فراغا أمنيا وبيئة يصعب السيطرة عليها، أفرزت لاحقا ظهور تنظيمات متطرفة منها القاعدة و«داعـش» والميليشيات، أو تواجد أحزاب وتنظيمات مرتبطة بأجندات أجنبية على الأراضـي العراقية مثل حزب العمال الكردستاني التركي وغيره.

ويؤكـد الـشـمري، ان أمريـكـا أرادت السيطرة على العراق وثرواته ولكنها فشلت في تحقيق هذه المهمة ولذا سلمته إلى حلفاء إيـران الذين سهلوا للأخيرة نشر نفوذها في كل مفاصل البلد. ولذا برزت بعد 2003 ظاهرة الميليشيات المسلحة المدعومة من دول الجوار، التي فرضت بالسلاح سيطرتها على الشارع والدولة، وجعلت العراق فاقدا للقرار السيادي الحقيقي.

وعن أوضاع إقليم كردستان بعد الاحتلال الأمريكي، أكد فرهاد صالح القيادي في الاتحاد الإسلامي الكردستاني لـ«القدس العربي» ان العراقيين وبضمنهم الكرد رحبوا بتغيير النظام السابق، ولكن بعد تجربة 15 سنة، نرى ان التوافق والتوازن في البنية العراقية قد اختل، وان الحكم مال إلى نوع

من الطائفية. مبينا ان فترة 15 سنة كانت كافية لبناء تجربة حكم ناجحة تعتمد التفاعل والتنمية، إلا ان التطورات في العراق كله وخاصة بعد «داعش» أدت إلى التدمير الكامل للبلد وتفشي الفساد وسوء الإدارة وبشكل ليس له مثيل في دول العالم.

وعبر عن اعتقاده بأن الإسـلام الشيعي الذي حكم البلاد خلال هذه الفترة، فشل فشلا ذريعا في الحكم وإدارة البلد، وعليه ان يراجع مواقفه وان يقدم الخدمات والعمران وبناء البلد وسيادة القانون والديمقراطية، مؤكدا ان خيبة الأمـل ليست في انفراط التحالف الكردي الشيعي فحسب، بل في مواقف حكومة بغداد، وتقصيرها في توفير الخدمات حتى في المحافظات الجنوبية، رغم بيع 4 ملايين برميل يوميا.

وقال «ان استخدام الحكومة الاتحادية للسلاح في تشرين الأول/اكتوبر الماضي ضد الكرد للسيطرة على كركوك، شكل خيبة أمل كبيرة للمواطن الكردي ولحكومة الإقليم، إذ كيف يتم استخدام السلاح لحل خـلاف داخلي نص الدستور على آليات للتعامل معه وبرعاية الأمم المتحدة؟». معبرا عن اعتقاده ان الدولة العراقية أصبحت متعبة حكومة وشعبا ومكونات.

وفيما إذا حقق الاحتلال الأمريكي، الحلم الكردي بإقامة دولته، قال القيادي الكردي، «لقد أصبنا بخيبة أمل إزاء اشهار السلاح على الكرد في كركوك والمناطق المتنازع عليها، ورغم شعور الشعب الكردي بالإحباط، فان الحلم الكردي سيتحقق يوما ما على يد هذا الجيل أو الجيل القادم، وان على العراقيين ان يعلموا انه ليست هناك قضية قومية أو غيرها، يمكن ان تحل بالسلاح».

انهيار الاقتصاد

ورغم ان ثروات العراق الهائلة والمتنوعة، تكفل له مستوى متقدما بين دول العالم، إلا ان الفساد وسوء الإدارة للحكومات خلال فترة الاحتلال ومـا بعدها، أوصلت البلد إلـى حافة الإفـلاس والـغـرق في الأزمـات الاقتصادية والديون.

وتعليقا على تقرير «النقد الدولي» حول وصـول الـديـون العراقية إلـى مستويات خطيرة، أكد نائب رئيس الجمهورية آياد عـلاوي، ان الملف الاقـتـصـادي أخطر من الملف الأمني في العراق والاقتصاد العراقي متدهور ووصـل إلـى مديونية هائلة غير متوقعة أبدا، منوها إلى ان هناك سوء إدارة وفسادا وما لم يتم تدارك الأمر سنصل إلى نقطة الإفلاس. وقد أصبح العراق معروفا عالمياً بكونه من بين أكثر عشرة بلدان فساداً في العالم، جـراء قيام أحـزاب متنفذة في السلطة بنهب مليارات الدولارات لصالحها، عبر وسائل شيطانية منها المشاريع الوهمية وتسخير ميزانيات الـوزارات لخدمتها، والرشى وغيرها.

وفي نموذج لهدر أموال العراق، أعلن البنك المركزي، ان مبيعاته من الدولار للمصارف الخاصة بلغت في عـام 2016 أكثر من 33 مليار و523 مليون دولار، وفي عام 2015 أكثر من 44 مليار دولار، تم تحويل معظمها إلى الخارج لحساب الأحزاب ومافيات الفساد.

ويأتي ذلك في وقت ارتفعت فيه نسبة الفقر فـي الـعـراق مـؤخـرا، حسب وزارة التخطيط التي أعلنت، ان نسبة الفقر في البلاد وصلت إلى 30 في المئة بعد أن كانت 19 في المئة. كما تشير الاحصائيات إلى ان سكان العشوائيات في العراق بلغوا عام 2018 أكثر من 13 في المئة من سكان العراق.

واجتماعيا، يتفق جميع العراقيين على ان البلاد شهدت بعد غزوها تفككاً مجتمعياً، من خلال بروز ظواهر شاذة أبرزها الطائفية، التي خلقتها قوى سياسية كوسيلة للسيطرة على السلطة، والتي تطورت ولأول مرة في تاريخ العراق، إلى حرب طائفية أزهقت أرواح مئات الآلاف من العراقيين وهجرت الملايين داخل وخارج البلد، وخاصة في الفترة بين 2005 و2009. وشـهدت الأوضـاع الاجتماعية سلسلة من الانهيارات عبر تفشي ظواهر سلبية متعددة مثل ازدياد الطلاق وانتشار المخدرات والجريمة المنظمة وعمليات الخطف للانتقام أو الحصول على فدية مالية، وتزايد حالات الإلحاد.

وحـذر الـبـاحـث الإسـلامـي والمفكر السياسي غالب الشابندر من موجة الحاد ستعم الـعـراق بسبب ممارسـات أحـزاب الإسـلام السياسي في السلطة، مبينا «ان العراق يعد أول دولة عربية حاليا من حيث نسبة الملحدين بسبب الإحباط وممارسات أحـزاب الإسـلام السياسي طيلة السنوات الماضية».

وأخيرا، ان الشعب العراقي أصبح محبطا من النتائج الكارثية للاحتلال الأمريكي والمستقبل المجهول، كما يتألم من مواقف الـدول العربية والأجنبية تجـاه وطنهم، ليس بسبب مشاركتها في احتلال وتدمير العراق فحسب، بل وفي استغلالهم أزماته من أجـل مصالحهم، ولسماحهم بتدفق كل الأشـرار لتشكيل تنظيم «داعـش» الذي شارك الاحتلال الأمريكي في الحاق أفظع أنواع الأذى في بلدهم، بينما وقف الآخرون يتفرجون على مأساة العراق دون محاولة إيقاف النزيف المتواصل في دماء العراقيين واقتصادهم وتخريب نسيجهم الاجتماعي وسـيـادة الـبـلـد، وكـل ذلـك جـراء الغزو الأمريكي للعراق الذي فتح أبواب الجحيم على هذا البلد.

ميديا

بعد المجزرة الكيميائية في دوما:

سوريا تتصدر اهتمام شبكات التواصل في العالم العربي

لندن – «القدس العربي»:

هيمنت سوريا على اهتمام مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي طوال الأسبوع الماضي بعد المجزرة البشعة التي أودت بحياة العشرات في مدينة دوما، وهي المجزرة التي يسود الاعتقاد أنها حدثت باستخدام الأسلحة الكيميائية المحرمة دولياً، وسرعان ما توعدت الولايات المتحدة بالرد على المجزرة عسكرياً، وهو ما أشعل مزيداً من الجدل.

وكان عشرات الأطفال قضوا في المجزرة التي ارتكبها النظام السوري في مدينة دوما التابعة للغوطة الشرقية بريف دمشق مساء السبت السابع من نيسان/ أبريل الحالي، وأثارت غضبا عالمياً واسعاً ودفعت الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى إطلاق الوعيد بالرد عليها، فيما تدافعت دول غربية أخرى أيضاً للبحث في امكانية الرد عسكرياً على المجزرة.

وأكد ترامب في عدد من التصريحات والتغريدات على حتمية الرد العسكري الأمريكي على مجزرة دوما، وأنه بصدد اتخاذ قرار خلال 48 ساعة، وانتهت دون أن تنفذ واشنطن أياً من تهديداتها.

وقالت المتحدثة باسم البيت الأبيض سارة ساندرز إن الرئيس ألغى زيارة إلى أمريكا اللاتينية كانت مقررة يوم الجمعة، موضحة أن ترامب سيبقى في الولايات المتحدة لمتابعة التطورات حول العالم وخصوصاً الرد الأمريكي المتوقع على الهجوم الكيميائي في سوريا.

ولاحقاً لذلك، أي يوم الخميس الماضي، فاجأ ترامب العالم بتغريدات جديدة على «تويتر» عن الوضع في سوريا والرد الأمريكي المرتقب، حيث بدا متراجعا عن تهديداته بقوله إنه لم يقل أبدا متى سيتم تنفيذ الهجوم على سوريا.

وأضاف ترامب: «إن الضربة قد تكون قريبة جدا أو لا تحصل أبدا» وتابع: «على أي حال، قامت الولايات المتحدة، تحت إدارتي، بعمل عظيم في تخليص المنطقة من داعش. أين شكرا أمريكا؟».

غضب عربي

وأشعلت مجزرة دوما موجة واسعة من الغضب على شبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي، حيث صعد الهاشتاغ «#سوريا» و«#سورية» و«#SYRIA» و«#دوما_إلى قوائم الوسوم الأوسع انتشاراً وتداولا في أغلب الدول العربية وفي العديد من دول العالم، بعد أن شارك عشرات الآلاف وربما أكثر من المستخدمين في التغريد عن المجزرة.

وكتب الناشط السوري المعروف هادي العبد الله مغرداً على «تويتر»: «دوما تختنق وكل العالم شريك بخنقها مع الأسد وروسيا! غازات سامة من جديد في دوما بغوطة دمشق... بانتظار اجتماعات المباركة للجريمة من دول العالم!».

وقال أسامة أبو زيد على «تويتر»: «عائلات بأكملها باتت في عداد الموتى بعد استهداف دوما بالغازات السامة قبل قليل. مئات المدنيين بين شهيد وجريح وفي حضرة الشهداء بلا دماء لا يسعني إلا أن أقول من لديه أصدقاء كأصدقاء الشعب السوري ليس بحاجة إلى أعداء، تباً لكم جميعاً بلا استثناء».

ونشر حساب يُطلق على نفسه اسم (الدفاع المدني السوري) تغريدة يقول فيها: «إبادة جماعية بحق أهالي مدينة دوما في الغوطة الشرقية، أكثر من ألف مصاب وأنباء عن عشرات الشهداء خنقاً في الأقبية، بعد استهداف مدينة دوما بالغازات السامة للمرة الثانية، ما تزال فرق الدفاع المدني في حالة اللااستجابة».

وكتبت إحدى الناشطات تقول: «روسيا وصبيها بشار الأسد يحرقون دوما بأهلها، مئات الناس تختنق بغازات النظام السامة، عشرات الشهداء قضوا نحبهم، والعالم يدير ظهره ويغلق أذنيه، لا شيء سوى الموت، ولكنني لم أعد أميز حقا الميت من الحي».

وكتب المراقب الدولي لحقوق الإنسان أنور مالك يقول: «دوما في غوطة دمشق تواجه وحشية بوتين وحقد خامنئي ونذالة الأسد الذين اجتمعوا على إبادتها بأسلحة محرمة دولياً، وللأسف لا مجلس الأمن يتحرّك ولا الأمم المتحدة تقلق على الأقل ولا الجامعة العربية تشعر ببعض الخجل. لكم ربكم يا أهلنا في سوريا!».

جدل

وفي موازاة الغضب الشعبي حيال المجزرة التي أودت بحياة أكثر من أربعين شخصاً أغلبهم من الأطفال، فإن جدلاً واسعاً اندلع على شبكات التواصل بشأن الضربة الأمريكية المحتملة التي قد تستهدف النظام السوري، وما إذا كانت واشنطن حريصة على مصلحة الشعب السوري وحمايته بعد كل هذه السنوات من نزيف الدم.

وكتب الناشط والحزبي الأردني الدكتور فاخر دعباس على حسابه على «فيسبوك» معلقاً على الجدل بشأن الضربة الأمريكية المحتملة لسوريا، حيث قال إن «من يؤيد القصف الأمريكي للدولة العربية السورية، ويشجع مشاركة الكيان الصهيوني بهذا القصف، هو واحد من اثنين: إما عميل لأمريكا أو للكيان الصهيوني أو مرتزق يقبض أموالاً برائحة النفط العفنة، أو أنه أحمق بكل ما تحمله الكلمة من معنى».

وأضاف: «هذا المنشور موجه للحمقى، كوني لا أتشرف بمناقشة أو محاجة أو توعية العملاء والمأجورين... أيها الأحمق، ألم تفكر للحظة عن السبب الذي يجعل أمريكا والكيان الصهيوني يستميتان لقصف سوريا؟! هل تعتقد أن أمريكا التي قتلت ثلاثة ملايين طفل عراقي «وإسرائيل» التي ارتكبت أبشع المجازر بحق أطفال امتنا، حريصتان على أطفال سوريا؟! أيها الأحمق، انظر إلى فيتنام وافغانستان والعراق لتعلم جيدا أي ديمقراطية وأي حرية يتحدث عنها السيد الأمريكي».

ورد أنس أبو سيف على دعاس بالقول: «لسنا مع أمريكا ولكن أيضا لسنا مع طاغية قتل وهجر الملايين من شعبه. أعتقد أن إسرائيل لم تفعل ذلك بفلسطين... نظام مجرم دموي طائفي ديكتاتوري. قاتل النساء والأطفال والشيوخ».

أما نشأت ابراهيم فرد بالقول: «عندما قصف الأمريكان بغداد كانت الدولة السورية مؤيدة لذلك، ولا معلوماتي غلط؟! التاريخ يعيد نفسه، للعلم انا أتمنى ان تكون جميع الدول العربية بخير».

واعتبر الكثير من الناشطات أن اعتزام أمريكا التدخل في سوريا وتوجيه ضربة للنظام يمثل تدخلا في الأزمة السورية لأجل المصالح الأمريكية فقط، وليس من أجل الدنيين أو الحفاظ على أمنهم عقب الهجوم الكيميائي الأخير للنظام السوري على المدنيين في دوما.

وكتب أحد المغردين على «تويتر»: «مفيش عاقل يتمنى حرب بس مفيش عاقل شايف ان الحرب حتنتهي مع وجود الأسد...السلام هناك مرتبط برحيله».

وغرد خالد العنزي قائلاً: «ترامب: ترانا نبي نضرب سوريا، بوتين: بعد ثلاث أيام عشان نودي بشار بمكان آمن! بعدها يكون باقي المسلمين والضعفاء والفقراء...عادي جربوا عليهم صواريخكم... سيناريو واقعي لمجتمع دولي قذر يحكمه المجرمون».

وعلق الكاتب الأردني الساخر أحمد حسن الزعبي بالقول: «روسيا ترتكب مجازر بشرية لأجل الأسد. فتردّ عليها أمريكا... بمجازر بشرية نكاية في الأسد... احمق من يفرح للضربة.. سورياً من يتألم لا غيرها». وعلق آخر: «يتخذون القرارات بدون حكم مسبق من المحاكم وبعدها يريدون تعليمنا الديمقراطية، من المحكمة الدولية التي أصدرت الحق في ضرب دولة أخرى عسكريا، دون استدعاء الجاني والمجني عليه؟».

واكتفى معتصم عرفات بالقول: «سوريا من يتألم لا غيرها»، فيما علق أحد المصريين بالقول: «اثنين بلطجية وحرمية هيتخانقوا على أرض واحد عبيط ويدمروها وباقي اخواته البقر بيسقفوا وبيدفعوا للبلطجيه من فلوسهم.. #سوريا».

وعلق سلطان المطيري: «قصف سوريا سيكون مجرد تسجيل حضور لأمريكا على حساب الشعب السوري وليس لإسقاط الحيوان فلا تفرحوا فسيكون رد الروس أقوي على المعارضة».

وتساءل الدكتور نزار العاني بالقول: «لحد الآن لم نعرف الضربة المزعومة أمريكيا في #سوريا ستكون موجهة لمن؟ سؤال مهم ... وهذا الأمر كما أعتقد هو أهم من الضربة بحد ذاتها... لذلك اعتقد ان أمريكا لجأت إلى خلط الأوراق لتمويه تحركاتها المقبلة».

وعلق مجدي يوسف قائلاً: «كثيرون هم الذين يهللون لضربة عسكرية على سوريا.. كثيرة هي الأصوات التي تصفق للحرب.. وما أبشع الحرب.. وبهذه المناسبة أستذكر مثلا شعبيا من بلاد الشام يقول: «ما متت، ما شفت مين مات؟» كل الحب لك يا دمشق».

يشار إلى أن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب رد عبر حسابه في «تويتر» على تهديدات روسية قائلا: «استعدي يا روسيا الصواريخ آتية»، وذلك بعد أن توعدت موسكو في تصريحات سابقة بإسقاط أي صاروخ أمريكي يستهدف الأراضي السورية، فيما أعلنت واشنطن أنها تبحث مع حلفائها توجيه ضربة جديدة للنظام السوري ردا على الهجوم الكيميائي الذي استهدف مدينة دوما في الغوطة الشرقية.

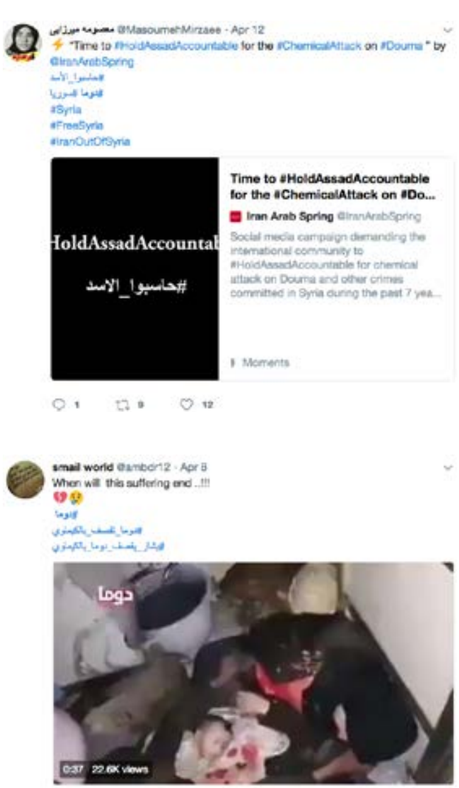

صحف أردنية تبدأ تسريح موظفيها بعد أزمة الإعلانات

لندن – «القدس العربي»:

اضطر عدد من الصحف في الأردن إلى البدء في تسريح عدد من العاملين فيها، بمن فيهم الصحافيون، بسبب الأزمة التي تعاني منها على خلفية قانون جديد يُقيد نشر الإعلانات القضائية، وهي الإعلانات التي كانت تأتي من المحاكم وكانت تشكل مصدراً مهماً للدخل المالي بالنسبة لكافة الصحف اليومية في البلاد.

وكان قانون جديد قد بدأ سريانه في الأردن يحصر نشر الإعلانات القضائية والتبليغات في الصحيفتين الأوسع انتشاراً، وهو الأمر الذي أحيل إلى نقابة الصحافيين من أجل تحديد من هما الصحيفتان الأوسع انتشاراً في البلاد، فيما فهمه الكثير من الصحافيين والعاملين في مجال الإعلام على أنه محاولة لضرب الصحف المعارضة، أو اليوميات الصغيرة التي كانت تجتذب نسبة كبيرة من هذه الإعلانات التي توجب المحاكم على أصحاب الدعاوى نشرها في الصحف المحلية.

وعلمت «القدس العربي» أن جريدة «السبيل» وهي اليومية التي تمثل المعارضة الإسلامية في الأردن، ويسود الاعتقاد أنها مملوكة لجماعة الإخوان المسلمين وممولة منها، اضطرت قبل أيام إلى الاستغناء عن خدمات عدد كبير من العاملين فيها وسط أزمة مالية غير مسبوقة تمر بها بعد أن توقفت إعلانات المحاكم عنها بموجب القانون الجديد.

وحسب المعلومات التي حصلت عليها «القدس العربي» فإن «السبيل» تأخرت في سداد الرواتب الشهرية لموظفيها المقررة في بداية نيسان/أبريل الحالي وذلك لأول مرة منذ تأسيسها قبل أكثر من ربع قرن.

وأبلغت إدارة الصحيفة العاملين فيها أنها تعتزم التوقف عن الطباعة وتسريح عدد آخر من العاملين فيها خلال الأسابيع المقبلة في حال استمرت الأزمة المالية التي تعصف بها، وفي حال تمسكت الحكومة بحجب إعلانات المحاكم والقضاء عن الصحيفة، وهي الإعلانات التي كانت تشكل مصدراً مهماً للدخل المالي.

ونشرت «السبيل» مقالاً لافتاً ومفاجئاً الأسبوع الماضي بقلم أحد المسؤولين في الصحيفة أعلنت فيه صراحة ولأول مرة أنها تتجه للإغلاق الكامل وأنها تمر بأزمة مالية اضطرتها لتسريح عدد من العاملين فيها.

وجاء في المقال الذي حمل عنوان «السبيل مرة أخرى وأخيرة»: «نحن في صحيفة «السبيل» وفي موقعها الإلكتروني نمر بوضع دقيق، شأن بقية الصحف اليومية الأخرى التي تواجه تحديات وأوضاعا ليست سهلة».

وأضافت الصحيفة في المقال الذي يشبه افتتاحية فريدة لها: «نحن في «السبيل» صحيفة وطنية نحاول الصمود في مواجهة التحديات، وذلك لا يتأتى إلا من خلال الإيرادات التي تأتي من خلال الإعلانات التي أصبحت شحيحة وتوزع بطريقة غير عادلة تحرم «السبيل» منها دون سبب واضح، وحرمنا بشكل كامل مع بداية هذا العام من الإعلانات القضائية التي أصبحت توفر لبعض الصحف دخلا شهريا يصل إلى 70 ألف دينار، وكان من الممكن لو حققت «السبيل» ثلث هذا المبلغ أن تقف على قدميها وأن تتقدم».

وأضافت: «أمام الحصار والانتقام والاتهامات والحرمان وجدت «السبيل» نفسها أمام أسوأ قرار من الممكن أن يتخذه أي مسؤول أو إدارة، وهو الاستغناء عن بعض الموظفين والمتعاونين والكتاب، وبعض الخطوات الضرورية جدا حتى لا تلجأ إلى حلّ أكثر إيلاماً».

إلى ذلك، فقد علمت «القدس العربي» أن صحيفتين يوميتين أخريين تواجهان ظروفاً صعبة مشابهة، حيث اضطرت صحيفة كبرى إلى الاستغناء عن عدد كبير من العاملين فيها بمن فيهم صحافيون، كما قدمت عرضاً تشجيعياً لموظفيها بأن من يستقيل طوعاً يحصل على مكافأة مالية تعويضية ضخمة، وهو ما دفع عدداً آخر إلى الاستقالة من تلقاء نفسه.

وكانت جريدة «الديار» اليومية في الأردن قد قررت التوقف عن الصدور قبل عدة شهور وذلك احتجاجاً على القانون الذي يحرمها من الإعلانات القضائية، فيما تواجه جريدة «الدستور» وهي الأقدم في البلاد أزمة مالية منذ سنوات اضطرتها هي الأخرى إلى تقليص النفقات والاستغناء عن عدد من الموظفين.

يشار إلى أن الأردن يشهد طفرة واسعة في صحافة الانترنت جعلت الكثير من الإعلانات تتجه إلى المواقع الالكترونية، فضلاً عن طفرة أخرى في شبكات التواصل الاجتماعي وانتشاراً واسعاً لها يدفع معلنين آخرين إلى تفضيلها عن الإعلانات التقليدية.

أحدث حلقات التضييق الإعلامي: اعتقال مدون مصري مستقل

لندن – «القدس العربي»:

اعتقلت أجهزة الأمن المصرية الأسبوع الماضي أحد أشهر المدونين المستقلين والناشطين على شبكات التواصل الاجتماعي، وهو الناشط المعروف باسم «محمد أوكسجين» والذي يدير قناة على «يوتيوب» تحظى بانتشار واسع، وذلك على الرغم من عدم وجود أي انتماء سياسي له، إضافة إلى أن أغلب إنتاجه لا يتعدى كونه لقاءات يجريها مع المصريين في الشارع.

وحسب المعلومات التي جمعتها «القدس العربي» فإن الشاب محمد أوكسجين، إسمه الحقيقي محمد إبراهيم محمد رضوان، وهو خريج الجامعة العمالية وموظف في إحدى دور النشر، وهو مجرد ناشط متواضع وبسيط يحمل كاميرا يسير بها في شوارع القاهرة لتوثيق ما يراه صوتاً وصورة، كما يجري بعض اللقاءات مع الناس لاستطلاع مواقفهم وتوثيق آرائهم.

ولدى الشاب مدونة على الإنترنت وقناة على موقع «يوتيوب» يعرض عليها ما يصوره أولاً بأول، وكل ما يشغله حسب قوله هو حبه لعمله والتصوير وليس لديه أي اهتمام سوى في توثيق الأحداث من خلال الفيديو.

وحسب ما رصدت «القدس العربي» فإن قناة «يوتيوب» على أوكسجين تأسست يوم 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2012 ومنذ ذلك التاريخ تمكنت من استقطاب أكثر من 49 مليون مشاهد، إضافة إلى آلاف المشتركين.

وكتب محمد أوكسجين في التعريف لقناته على «يوتيوب»: «نسعى لاثبات الحقائق المجردة فهذا ما تقتضيه أمانة الكلمة، نحن ضد التيار.. لا تنتظروا منا أن نمدح ما يمدحه الأغلبية.. أو نرفض ما يرفضه الأغلبية، نحن نرى الأحداث بوجهة نظر منطقية، مُحدثة، مُختلفة.. للحروف هنا لغة أخرى... شكراً لتواجدكم معانا هنا في أوكسجين مصر».

وأضاف: «الصحافي الحقيقي ليس من يكتب بل من ينفخ روحه في الكلمات، المصور الحقيقي ليس من يصور بل من ينفخ روحه في الفيديوهات... سنموت في النهاية ونحن ننقل لكم الحقيقة».

وأجرت قناة أوكسجين عددا من اللقاءات مع شخصيات معروفة، مثل الأديب علاء الأسواني والسفير معصوم مرزوق والدكتور ممدوح حمزة والمحامي الحقوقي جمال عيد وغيرهم من الشخصيات العامة.

ويقول أوكسجين إن كل ما كان يضايقه أنه أحيانا يتم تصنيفه حسب الفيديو الذي يصوره ويعرضه، فعندما نشر فيديو لأم الولد الذي دهسه موكب الرئيس الأسبق محمد مرسي، اتهمه الإخوان بأنه فلول، وعندما نشر فيديو ينتقد الفريق أحمد شفيق اتهمه أنصار شفيق بأنه إخوان، وهو يؤكد أنه ليس من الفلول ولا من الإخوان وكل ما يريده أن يعرف الناس الحقيقة وما يدور حولهم ليس بنقل الحديث ولكن بالفيديو الموثق.

وأدانت «الشبكة العربية العربية لمعلومات حقوق الإنسان» اعتقال الناشط الإعلامي والمدون أوكسجين، وقالت في بيان لها إن «سياسة الترصد والقبض المسلطة على رقاب الصحافيين والمدونين المصريين لا بد أن تتوقف، وانه يتوجب على أجهزة الدولة احترام نصوص الدستور الداعمة لحريتي الرأي والتعبير». وطالبت بالإفصاح عن مكان احتجاز محمد إبراهيم وسرعة الإفراج عنه.

وقالت: «ان القبض على محمد أوكسجين يعد حلقة جديدة من حلقات الإجهاز على حرية الرأي والتعبير المكفولتين دستورياً، إذ لم يكد ينقضي الأسبوع الأول على إعلان فوز السيسي بفترة رئاسية جديدة حتى توالت الاعتداءات على حرية الصحافة والتعبير، بدأت بتغريم موقعي «المصري اليوم» و«مصر العربية» بعقوبات مالية لنشرهما خبرين عن التجاوزات التي تمت في الانتخابات الرئاسية الأخيرة ثم إحالة رئيس تحرير «المصري اليوم» وأحد محرريها للتحقيق معه وبعدها تم اقتحام مقر موقع «مصر العربية» وقبض على رئيس تحريرها بتهمة إنشاء موقع دون ترخيص، وعندما قدم الرجل الأوراق الدالة على وجود ترخيص تمت إحالته للنيابة التي وجهت له تهماً جديدة تتعلق بنشر أخبار كاذبة والترويج لجماعة الإخوان المسلمين، ثم قضت بحبسه 15 يوماً على ذمة التحقيق، وإلى جانب ذلك يجري وقف نشر مقالات الصحافيين والتضييق عليهم في نية واضحة لإتمام القضاء على أي صوت يغرد بعيداً عن السرب وفي تحذير واضح لكل من تسول له نفسه الإفصاح عن رأي معارض».

وطالبت الشبكة سلطات الدولة المصرية بالإفراج عن محمد وكافة الصحافيين والمدونين المحبوسين على ذمة قضايا حرية الرأي والتعبير ووقف التضييق الأمني على الصحف الإعلامية وملاحقة مدشنيها دون ذريعة سوى إفصاحهم عن آرائهم وكذا وجوب إعلاء حريتي الرأي والتعبير وما ينبثق عنهما من حريات كحرية الصحافة والتعبير، بدأت «مصر العربية» بعقوبات مالية

علوم وتكنولوجيا

فيسبوك تستخدم «روبوت» لمكافحة خطابات الكراهية والعنف قريباً

لندن ـ «القدس العربي»:

تعتزم شبكة التواصل الاجتماعي الأكبر والأوسع انتشاراً في العالم «فيسبوك» استخدام تكنولوجيا الذكاء الصناعي من أجل مكافحة خطابات الكراهية والتطرف والدعوة للعنف والإرهاب، بما يؤدي إلى استكشاف هذه المشاركات وحذفها عن الشبكة قبل أن يراها الناس وقبل أن تنتشر على الانترنت.

وكشف الرئيس التنفيذي لشركة «فيسبوك» مارك زوكربيرغ أن أدوات تعمل بتكنولوجيا الذكاء الصناعي سوف تكون قد دخلت الخدمة خلال فترة تتراوح بين خمس إلى عشر سنوات، وهو ما يعني أن «روبوت» أو «إنسانا آليا» سوف يقوم بملاحقة المواد المحظورة قانوناً ويقوم بحذفها بشكل فوري عن الشبكة قبل أن تصل إلى الجمهور.

وجاءت تصريحات زوكربيرغ في إطار إفادته أمام الكونغرس الأمريكي بشأن فضيحة البيانات المسربة التي تبين أن شركة «كامبريدج أنالتيكا» استحوذت عليها وطالت في أحدث التقديرات بيانات تعود لأكثر من 87 مليون مستخدم، وهي بيانات تبين أن الشركة استخدمتها لأغراض سياسية غير مشروعة، فضلاً عن أن عملية التسريب ذاتها لم تكن مشروعة في كل الأحوال.

وتسببت عملية تسريب البيانات في فضيحة واسعة لشركة «فيسبوك» الأمريكية التي تعتبر الان شبكة التواصل الأكبر في العالم، وواحدة من أضخم شركات التكنولوجيا في العالم أيضا.

وتوسعت إفادة زوكيربيرغ أمام الكونغرس لتشمل الإجابة عن أسئلة تتعلق بالمحتوى المتطرف أو الداعي للعنف، حيث كشف أن «فيسبوك» بدأت بالفعل في تطوير أدوات آلية «روبوت» تستخدم تكنولوجيا الذكاء الصناعي وتقوم بملاحقة المحتوى المتطرف أو الذي يروج للإرهاب، على أن هذه التكنولوجيا سوف يتم تطويرها بصورة أكثر فعالية وستصبح قادرة أيضاً على اصطياد خطابات الكراهية أيضاً في غضون خمس إلى عشر سنوات من الآن فقط.

كما كشف زوكربيرغ أن «فيسبوك» سيكون لديها جيش قوامه 20 ألف موظف مع نهاية العام الحالي 2018 وستكون مهمتهم العمل على مراجعة المسائل الأمنية والقضايا المتعلقة بالمحتوى واتخاذ القرارات المناسبة بشأنها، حتى يتسنى حذف كل ما هو مخالف للقوانين عن الشبكة الاجتماعية.

كما كشف الرجل الأول في شبكة «فيسبوك» أن كافة المواد المنشورة على «فيسبوك» من قبل تنظيم «داعش» وتنظيم القاعدة كانت تقريباً قد أشير إليها بشكل آلي قبل أن يتدخل أشخاص حقيقيون ويقومون بحذفها، في إشارة إلى مدى نجاح التكنولوجيا المستخدمة بشكل آلي من الآن في مكافحة المحتوى غير المناسب أو المحظور عن الشبكة.

ويتوقع أن تتفوق تكنولوجيا الذكاء الصناعي على عقل الإنسان أصلا خلال السنوات القليلة المقبلة إذا استمرت الطفرة التي تشهدها وفي حال استمر التطور المتسارع في تقنياتها، وهو ما سيعني بالضرورة أن الإنسان الآلي «الروبوت» سوف يتفوق على الإنسان في كثير من المجالات وسوف يشغل مكانه أيضاً في العديد من الوظائف والمهام.

وكان باحث في شركة «غوغل» الأمريكية العملاقة توقع أن يكون ذكاء الآلات بحجم ذكاء عقل الإنسان خلال خمس سنوات فقط من الآن.

وتأتي هذه التوقعات لتؤكد أن تكهنات الخيال العلمي يمكن أن تتحول إلى حقائق قريباً، حيث يسود الاعتقاد لدى كثير من العلماء بأن نهاية الإنسان يمكن أن تكون على يد رجل آلي «روبوت» أكثر ذكاء منه، وهو ما سيؤدي حينها إلى انتهاء الحياة البشرية على كوكب الأرض.

وقال جيوفري هينتون الذي يعمل باحثاً في مجال الذكاء الاصطناعي لدى «غوغل» ولدى جامعة تورونتو أن الآلات ستوازي الإنسان ذكاء خلال خمسة أعوام من الآن.

وأضاف هينتون الذي يوصف بأنه الأب الروحي للذكاء الصناعي أن أقوى الآلات الحالية هي أصغر من دماغ الإنسان بملايين من المرات، ورغم أنها تمتلك ما يُعادل حوالي مليار نقطة اشتباك عصبي من الاشتباكات العصبية للدماغ مقارنةً بألف تريليون نقطة في الدماغ البشري، إلا أنها تتطور بسرعة كبيرة وتُصبح أكثر تعقيداً كل عام.

وفي إجابة على السؤال الذي طرحته مجلة «ماكلينز» الكندية حول ما إذا كان علينا أن نخشى من الذكاء الصناعي، قال هينتون أن أي تقنية جديدة قد تكون مثيرة للخوف في حال تمت إساءة استخدامها، وقال إن النقطة الأساسية هنا هي كيفية تعاملنا مع التكنولوجيا بشكل لا يجعلها مؤذية للبشر.

وهو يقف خلف تطوير برنامج «غوغل» الذكي الذي يحمل الاسم «AlphaGo» والذي تمكن من هزيمة بطل العالم في لعبة Go الكوري لي سيدول عبر تحقيق ثلاثة انتصارات متتالية.

وتعتمد تقنيات الذكاء الصناعي الحديثة على مفهوم «التعلم العميق» الذي يعتمد على عصبونات عصبية افتراضية تشبه تلك المشكلة لدماغ الإنسان، ويستخدم هذا المفهوم أساليب مشابهة لأساليب البشر في التفكير وابتكار الحلول والوصول إلى نتائج جديدة لا تعتمد بالضرورة على المدخلات والمعلومات الأولية التي تم تلقينها للكمبيوتر.

دراسة: «أنستغرام» يشكل خطراً على عقول الشباب

لندن ـ «القدس العربي»:

تبين من أحدث دراسة أجريت على شبكات التواصل الاجتماعي أن تطبيق «أنستغرام» يشكل خطراً حقيقياً على الصحة العقلية للشباب والمراهقين ومن هم في مقتبل العمر، وذلك بالمقارنة مع شبكات التواصل الأخرى التي تنتشر في العالم.

ونقلت جريدة «دايلي تلغراف» البريطانية هذه النتيجة عن دراسة حديثة شملت نحو 1500 شاب وفتاة تتراوح أعمارهم بين 14 و24 عاما، حيث أجابوا عن أسئلة تتعلق بدور تلك الوسائط في مساعدتهم على فهم قضايا معرفية ووجودية.

وكان الموقع الذي حصل على أعلى تقييم إيجابي هو يوتيوب، وجاء بعده تويتر، فيما حل موقعا فيسبوك و«سناب شات» في المركزين الثالث والرابع على التوالي، وحل تطبيق «إنستغرام» في المركز الأخير.

وقالت الجمعية الملكية البريطانية للصحة العامة «RSPH» التي أشرفت على الدراسة: «إن البرامج التي من المفترض أن تساعد الشباب على التواصل مع بعضهم البعض قد تخلق في الواقع أزمة معرفية».

وقال هيرلي كرامر، الرئيس التنفيذي للجمعية: «تم وصف وسائل الإعلام الاجتماعية بأنها أكثر إدماناً من السجائر والكحول، وهي الآن متجذرة في حياة الشباب لدرجة أنه لم يعد من الممكن تجاهلها عند الحديث عن الشباب وقضايا الصحة المعرفية والعقلية».

وأضاف: «من المثير للاهتمام أن نرى أن إنستغرام وسناب شات في الترتيب الأسوأ للصحة العقلية ونمط الرفاهية، فكلا المنصتين يركزان على الصورة للغاية ويبدو أنهما يقودان مشاعر الاضطراب والقلق عند الشباب».

ونوه كرامر إلى «تزايد الأدلة التي تؤكد وجود الأضرار المحتملة من الاستخدام المكثف لتطبيقات التواصل الاجتماعي» مردفا: «وبينما نقوم بتحسين وضع الصحة العقلية داخل المجتمع، فمن المهم أن تكون لدينا ضوابط وتوازنات لجعل وسائل التواصل الاجتماعي أقل توحشا عندما يتعلق الأمر بالصحة العقلية للشباب ونمط الرفاهية».

أما الدكتورة بيكي إنكستر، زميلة الأبحاث الفخرية في جامعة كامبريدج فقالت: «يشعر الشباب أحيانا براحة أكبر في التحدث عن القضايا الشخصية عبر الإنترنت».

وأضافت: «كخبراء في مجال الصحة، يجب علينا بذل أقصى جهد لفهم تعبيرات ثقافة الشباب الحديثة، ونمط حياتهم للتواصل بشكل أفضل مع أفكارهم ومشاعرهم».

صدمة جديدة لمستخدمي «آيفون»: التحديث الجديد يضر الهاتف

لندن ـ «القدس العربي»:

أصيب مستخدمو هواتف «آيفون 8» بصدمة جديدة بعد التحديث الأخير لهواتفهم والذي كشفت صحيفة بريطانية أنه يضر بالهاتف وأنه السبب وراء بعض الأعطال التي شكا منها مستخدمون في أكثر من مكان في العالم.

وحسب تقرير لجريدة «دايلي ميرور» البريطانية، فإن التحديث الجديد الذي أصدرته شركة «آبل» الأمريكية مؤخرا تسبب في ظهور عطل ببعض شاشات هاتف «آيفون 8».

وذكر مصدر في الشركة أن مستخدمي «آيفون 8» اشتكوا من تعطل شاشات اللمس الخاصة بهواتفهم، بعد تحديث أجهزتهم إلى «iOS 11.3».

وأوضح المستخدمون أنهم سبق لهم وأن لجأوا إلى متاجر تصليح الهواتف غير الرسمية من أجل استبدال شاشات أجهزتهم، مشيرين إلى أنهم غير قادرين على قصد المتاجر الرسمية بسبب التكلفة العالية لهذه العملية.

وكشفوا أنه «بعد تفعيل التحديث الجديد لنظام التشغيل لم تعد الشاشة تستجيب للمس بشكل نهائي، حيث تعمل الشاشة وتظهر كل التفاصيل عليها لكنها لا تتفاعل مع اللمس».

ولم تعلق الشركة الأمريكية على هذه المسألة إلا أن بعض الخبراء قالوا إن السبب يعود إلى رقاقة خاصة مدمجة في الشاشة.

وأوضحوا أن «العمال في متاجر تصليح الهواتف استبدلوا شاشة آيفون 8 لكنهم لم يقوموا بترقية تلك الرقاقة الخاصة، وهو ما يتسبب في رفض التحديث الجديد التفاعل مع الشاشة عن طريق اللمس».

ونقلت الصحيفة البريطانية عن بعض المصادر قولها إن «شركة آبل أقدمت على هذه الخطوة في محاولة منها لمنع زبنائها من اللجوء مستقبلا إلى المتاجر غير الرسمية». وتقوم المتاجر الرسمية بإصلاح شاشات آيفون 8 التي تبدأ أسعارها من 800 جنيه إسترليني مقابل حوالي 150 جنيها إسترلينيا وهو ما يعتبره البعض مكلفا للغاية.

وتأتي الأزمة الجديدة التي يتوقع أن تتفاقم خلال الفترة المقبلة بعد فترة وجيزة من اعتراف شركة «آبل» أنها تتعمد إبطاء الطرز القديمة من هواتفها، فيما يقول بعض المحللين والمتابعين أن الشركة تفعل ذلك حتى تدفع بالمستخدمين لشراء هواتف جديدة وتحقق تبعاً لذلك مزيداً من الأرباح المالية.

وزعمت «آبل» مؤخراً أنها تتعمد إبطاء الهواتف القديمة بالفعل ولكن من أجل الحفاظ على البطارية وليس من أجل دفع المستخدمين لشراء الهاتف الأحدث أو من أجل تحقيق مزيد من الأرباح المالية.

ويقول العديد من الخبراء أن «آبل» تخفض من تردد معالج هواتف آيفون القديمة حتى تخفض استهلاك بطاريتها القديمة أيضا.

وحسب الخبراء فإن التحديثات الأخيرة قدمت ميزة إبطاء هواتف آيفون القديمة وهو ما لاحظه الكثير من المستخدمين معتبرين أن التحديث هو أسوأ شيء فعلوه.

وأكدت «آبل» رسمياً هذه المعلومات، حيث قالت إنها أطلقت ميزة لهواتف «آيفون 6» لتمنعها من إيقاف التشغيل المفاجئ وحماية مكونات الهاتف بسبب الانخفاض المفاجئ لطاقة البطارية.

علماء يختبرون إمكانية تكاثر البشر في الفضاء

لندن ـ «القدس العربي»:

أرسلت وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» حيوانات منوية بشرية إلى محطة الفضاء الدولية للمرة الأولى من أجل استكشاف إمكانية الإنجاب بالنسبة للبشر في الفضاء.

وسيكون السائل المنوي الذي يُنقل على متن صاروخ سبيس إكس «فالكون 9» موضوعا هاما في عدد من التجارب الهادفة إلى معرفة كيفية تأثير الفضاء وانخفاض الجاذبية على الخلايا الجنسية الذكرية.

وتجري الدراسة العلمية كجزء من مهمة ناسا «11-Micro» التي تشمل عينات من الحيوانات المنوية المجمدة. وبمجرد نجاح كبسولة «Dragon» في تخطي المرحلة الأولى من الرحلة، ستبدأ دراسة العينات.

وقالت «ناسا» في بيان لها: «لا نعرف إلا القليل عن بيولوجيا التكاثر في الفضاء، وستبدأ هذه التجربة في معالجة هذه الفجوة عن طريق دراسة كيفية عمل الحيوانات المنوية البشرية في الفضاء لأول مرة».

ويعتمد التخصيب الناجح للبويضة البشرية على عدة عوامل، ويتم تقسيمه إلى مرحلتين: أولا، يجب تنشيط خلية الحيوانات المنوية وتغييرها قليلا عندما تسبح باتجاه البويضة لتخصيبها. ثانيا، واستعدادا للاندماج، يجب أن تتحرك بشكل أسرع إلى أن يصبح غشاء الخلية أكثر هشاشة.

وفي التجارب السابقة مع الحيوانات المنوية، تحدث عملية التنشيط بشكل أسرع في الجاذبية الصغرى، ولكن الخطوات المؤدية إلى الاندماج الناجح، تكون متأخرة للغاية أو ببساطة لا تحدث على الإطلاق.

وحذرت «ناسا» من أن التأخيرات أو المشكلات في هذه المرحلة، يمكن أن تمنع التخصيب في الفضاء. ويذكر أن الوكالة الأمريكية ترسل الحيوانات المنوية البشرية إلى الفضاء لأول مرة، ولكنها أرسلت أيضا الحيوانات المنوية المأخوذة من ثور، مرة أخرى لإجراء المقارنة.

وبعد إذابة وتفعيل عينات الحيوانات المنوية، سيستخدم الباحثون لقطات الفيديو لتقييم مدى تحرك الحيوانات المنوية في الظروف المعاكسة للفضاء. وستسمح التغييرات في السائل المنوي للثور، بالكشف عن الفروق الدقيقة في الحيوانات المنوية لدى النوعين.

وسيتم خلط العينات بالمواد الحافظة بعد دراستها على المحطة الفضائية الدولية، وإعادتها إلى الأرض. وهنا، سيتم تحديد ما إذا حدث الاندماج وما إذا كانت الحيوانات المنوية الفضائية تختلف عن نظيرتها العادية.

وتجدر الإشارة إلى أهمية اكتشاف إمكانية الإنجاب في مهمات استكشاف الفضاء المستقبلية، لأن التكاثر أمر ضروري نظرا لاستمرار البعثات لعدة أجيال.

ويعد الفضاء بيئة معادية، حيث يشكل الإشعاع مصدر قلق حقيقي للأنسجة الحية، كما يمكن أن يؤدي تأثيره على خلايا الحيوانات المنوية إلى حدوث مشاكل إنجابية خطيرة للكائنات الحية في الفضاء، بما في ذلك البشر.

اقتصاد

انخفاض الإيرادات يهدد برامج الإنفاق العام

الجزائر تكثف من إنتاج المحروقات لمجابهة استحقاقات اجتماعية وسياسية

رشيد خشانة

تسعى الجزائر إلى زيادة منتوجها من المحروقات لمجابهة الحاجة المتزايدة للعملات والخروج من المختنقات الاجتماعية، مع تكاثر الاحتجاجات واحتدام الجدل السياسي في شأن منح ولاية خامسة للرئيس عبد العزيز بوتفليقة (81 عاما)، الذي يحكم البلد منذ العام 1999. وتمر الجزائر بمرحلة حرجة بسبب ضرورة التكيف مع تراجع إيرادات النفط والغاز، الذي يهدد برامج الانفاق العام. ولوحظ أنها كثفت في الفترة الأخيرة من أعمال التفتيش، التي شملت مختلف الاتجاهات، إن كان الغاز الصخري أم الحقول المحتملة في البحر أم المصادر التقليدية، من أجل الاستجابة لنمو الطلب الداخلي، بالإضافة للإيفاء بعقود تصدير الغاز والنفط التي كانت أبرمتها خاصة مع إيطاليا واسبانيا وفرنسا. وفي خط مواز يعمل الجزائريون على إدخال مرونة على قانون الاستثمار في المحروقات، بما يزيد من الحوافز والتسهيلات الممنوحة للشركات الدولية. وفي هذا السياق أقرّ أخيرا رئيس «الوكالة (المؤسسة) الوطنية لتثمين مصادر الطاقة» حسين أرزقي أن التشريعات الحالية تميز المستثمرين الجزائريين بمنحهم امتيازات خاصة، ما جعل بعض المستثمرين الأجانب يغادرون البلد. إلا أن مسؤولين آخرين أكدوا أن أي تعديلات على قانون المحروقات لن تمس من الضوابط الأساسية. ويتوقع أن يستكمل التصديق على قانون الاستثمار الجديد الشهر المقبل، إلا نتائجه لن تظهر إلا في مرحلة لاحقة.

ووسعت مجموعة «سيبسا» الاسبانية أخيرا من استثماراتها في الجزائر بعد دخول حقل «تيميمون» طور الإنتاج بواقع 130 ألف برميل من النفط يوميا، إلى جانب 1.82 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي في السنة انطلاقا من 37 بئرا، وهي تشترك في استثماره مع مؤسسة النفط الجزائرية «سوناتراك» ومجموعة «توتال» الفرنسية. وحضر وزير الطاقة والمناجم الجزائري مصطفى قيتوني أواخر الشهر الماضي، مع مندوبين عن مجموعتي «توتال» و«سيبسا»، حفلة افتتاح مجمع «تيميمون» الذي ينتج 5 ملايين متر مكعب من الغاز الطبيعي في اليوم.

واشترت «سيبسا» أخيرا حصة مجموعة «بترونـاس» الماليزية، التي تقدر بـ35 في المئة، في حقل «بئر مسانة» الذي يبعد عن مدينة حاسي مسعود النفطية 300 كيلومتر، وينتج الحقل 12500 برميل في اليوم. وارتفعت حصة المجموعة الإسبانية في الحقل إلى 75 في المئة، إلى جانب «سوناتراك» التي تستحوذ على الـ25 في المئة المتبقية. يذكر أن الجزائر تزود إسبانيا بنسبة 50 في المئة من الغاز الذي تستهلكه عبر أنبوبين عابرين للمتوسط.

الصين تتربع على عرش المزودين

على الصعيد التجاري تستمر الصين في التربع على عرش مزودي الجزائر للعام الخامس على التوالي، وهي تستحوذ على 15 في المئة من مستوردات البلد، متقدمة على شركاء الجزائر الأوروبيين. ويبدي المسؤولون الأوروبيون ضيقا شديدا من تعاطي الجزائر معهم، وصل إلى حد اتهام مفوضة التجارة في الاتحاد الأوروبي سيسليا مالمستروم، الجزائريين بكونهم «لا يحترمون الاتفاقات التي توصلوا لها مع الطرف الأوروبي». لا بل إن مالمستروم وجهت الاتهام للجزائر، في خطاب ألقته أمام البرلمان الفرنسي، بكونها تتعمد تفضيل الصين على البلدان الأوروبية، بالرغم من اتفاق الشراكة الذي توصل له الجانبان في العام 2005. وحضت على إيجاد حلول للوضع الراهن، ملوحة بأن «الاتحاد سيضطر للجوء إلى البنود المتعلقة بتسوية الخلافات في إطار اتفاق الشراكة» على ما قالت.

ويتهم الأوروبيون الجزائر بوضع عراقيل أمام المبادلات التجارية مع الشركاء التقليديين، ما أدى إلى تراجع حجم المبادلات معهم في السنوات الأخيرة، ومن الأمثلة على ذلك، تقهقر فرنسا إلى الرتبة الثانية بين مزودي الجزائر بـ10 في المئة فقط من مستوردات

البلد، تليها إيطاليا، في مقابل 15 في المئة للصين. وتطالب الجزائر بمراجعة بنود من اتفاق الشراكة، معتبرة أنها لم تحقق النتائج المتوقعة منها في مجال الاستثمار.

تعليق الاستيراد

أكثر من ذلك، قررت السلطات تعليق استيراد أصناف مختلفة من السلع مؤقتا، من أجل إنعاش المنتوجات المحلية، ولاسيما مصانع المنتوجات الغذائية. وقال صناعيون إن تعليق الاستيراد أتاح ترويج أكثر من 800 منتوج محلي، من أجهزة الهواتف المحمولة إلى الآلات الكهربائية المنزلية وصولا إلى المواد الغذائية. أما المواد المستوردة من الخارج والتي لم تشملها لائحة التعليق، فإن الرسوم الموظفة عليها زادت لتصل إلى 30 في المئة، بينما زادت الضرائب الجمركية على المواد المسموح باستيرادها، إلى 60 في المئة. وتندرج هذه الإجراءات التي ستستمر إلى أواخر 2019 في إطار السعي للسيطرة على العجز التجاري الناتج عن تراجع أسعار المحروقات في الأسواق العالمية. ورحب صناعيون بإجراءات التشدد مع السلع المستوردة، التي قالوا إنها منحتهم فرصة لتجديد آلاتهم المتقادمة، وتجميع بعض المال لاستثماره في شراء تقنيات جديدة.

في المقابل، حذر صناعيون آخرون من أن المضي في تعليق استيراد بعض المنتوجات من أوروبا قد يجعل الأخيرة ترد بالمثل، وتعلق استيراد منتوجات جزائرية، ما اعتبروه «كارثة تهدد الصناعة المحلية، وخاصة منها تلك التي بدأت تصدر للأسواق الأوروبية». وكان الأتراك والإسبان انتقدوا الإجراءات التي قررتها الجزائر لوضع حواجز تعرقل فرص تصدير منتوجاتهم إليها.

انتشار الفساد

وللرد على حملات تقودها المعارضة وبعض الجمعيات الأهلية للتشهير بانتشار الفساد، اتخذت السلطات أخيرا إجراءات جديدة، في مقدمها مطالبة الموظفين السامين والمسؤولين في مؤسسات القطاع العام، أو المؤسسات المشتركة، التي لا تقل حصة الدولة فيها عن 50 في المئة، بوضع لائحة بممتلكاتهم تسلم للجهات ذات العلاقة. إلا أن معلقين اعتبروا هذا الإجراء من باب ذر الرماد في العيون، لأنه «يقتصر على الفساد الصغير ويتغاضى عن الفساد الكبير» على ما قال المنتقدون، و«خاصة ذاك المنتشر في قطاع النفط والمحروقات، والذي طاول شخصيات بارزة، من بينها وزير الطاقة الأسبق شكيب خليل المقرّب من الرئيس بوتفليقة».

وبعد إعلان الأمين العام لجبهة التحرير الوطني «حزب بوتفليقة» أن الحزب يعتزم ترشيح الرئيس الحالي المقعد لولاية خامسة، أتت ردود فعل التشكيلات السياسية رافضة لهذا السيناريو، ومنها حزب «طلائع الحريات» الذي يقوده رئيس الحكومة الأسبق علي بن فليس، وحزب «جيل جديد» الذي يقوده سفيان جيلالي. ويتهم المعارضون الرئيس الحالي بكونه لم يستطع في أعقاب عشرين سنة من صعوده إلى سدة الرئاسة، تغيير بنية الاقتصاد الريعي، الذي ما زال يعتمد على إيرادات النفط والغاز بنسبة 98 في المئة. وتوقعت «المؤسسة الفرنسية لتأمين التجارة الخارجية» «كوفاس» أن يستمر تباطؤ الاقتصاد الجزائري في العام الجاري، على الرغم من أن قطاع المحروقات أبصر نموا مضطردا. ولم يشمل النمو المنتوجات غير النفطية. وأوضح التقرير، الذي شمل 160 بلدا، أن الحكومة الجزائرية كانت تدفع من احتياطاتها المالية لتعديل كفة العجز في القطاعات غير النفطية. إلا أن الاحتياطات بدأت تنضب وتضاءل النمو وتراجع الانفاق على مؤسسات القطاع العام طيلة العام الماضي. وعلى هذا الأساس صنفت «كوفاس» الاقتصاد الجزائري في خانة «سي» مع مخاطر مرتفعة لعجز المؤسسات الاقتصادية عن الدفع، وهي الخانة التي وضعت فيها أيضا السعودية وباكستان وأوكرانيا وافريقيا الجنوبية. واعتبرت أن التزام الجزائر حصص الإنتاج التي قررتها منظمة البلدان المصدرة للنفط يحد من نمو الاقتصاد الجزائري، الذي يعاني أصلا من شح الاستثمار ونضوب الاحتياطات في بعض الحقول العتيقة.

تأثير محدود

وانتهجت الجزائر حتى الآن سياسة تقوم على تشجيع الاستهلاك بالزيادة في الرواتب والنفقات الاجتماعية، غير أن تأثير تلك الزيادة ظل محدودا بفعل تفاقم التضخم، بالإضافة لكونه تم على حساب الاستثمار العمومي. وتعتزم الجزائر العمل خلال العام الجاري على الحد من تراجع احتياطات البلد من العملات. وعلى الرغم من أن الارتفاع الطفيف في سعر برميل النفط خلال العام الماضي، ساهم في تحسين الإيرادات الجبائية للدولة، إلا أن النفقات لم تتراجع سوى بنسبة ضئيلة. وتتوقع «كوفاس» أن يبقى الدين العمومي خلال العام الجاري في المستوى نفسه الذي كان عليه في العام الماضي، مع تراجع ضئيل جدا.

وتعتبر مؤسسات التصنيف الدولية أن الاقتصاد الجزائري يعتمد على أربع نقاط قوة، في مقدمها الاحتياطات الكبيرة من النفط والغاز، وخاصة من الغاز الصخري، والثانية هي إمكانات تطوير الطاقات الجديدة والمتجددة. أما نقطة القوة الثالثة فهي ضعف المديونية الخارجية والاحتياطات المهمة من العملات. وتتمثل النقطة الرابعة في الإمكانات الكبيرة لتطوير القطاع السياحي. في المقابل يعاني الاقتصاد الجزائري من نقاط ضعف عدة، بينها البطالة التي تضرب أطيافا واسعة من الشباب، بمن فيهم المتخرجون من الجامعات، وثقل الأجهزة البيروقراطية واتكال الاقتصاد على إيرادات المحروقات.

البنك الدولي متفائلٌ

مع ذلك رفع البنك الدولي من توقعاته لنمو الاقتصاد الجزائري في العام الجاري بالاعتماد على الإجراءات المتعلقة بإصلاح أوضاع الموازنة التي اتخذتها الحكومة، إذ توقع أن تصل نسبة النمو إلى 3.6 في المئة في 2018 في مقابل 1 في المئة كان يتوقعها سابقا. وقدر نسبة النمو التي حققها البلد في العام الماضي بـ2.2 في المئة بدل 1.8 في المئة كان يتوقعها سابقا، معتبرا أن أوضاع الجزائر ستكون أفضل من أوضاع جيرانها خلال العام الجاري والمقبل.

بعد ان أغلقت أبواب العيش أمامهم

معلمو اليمن: نزوح إجباري خارج أسوار الوظيفة

صنعاء ـ «القدس العربي»: أحمد الأغبري

(سلوى.ص –31 سنة) مُعلمة مقرر التربية الإسلامية في الصفوف الأساسية في صنعاء، اضطرتها الظروف المعيشية القاسية الناجمة عن انقطاع صرف الرواتب لأكثر من سنة ونصف، إلى ترك المدرسة والعمل في تزيين النساء في محل كوافير. تقول «كان هو خياري الوحيد للحصول على دخل يوفر لي ولأولادي الأربعة بعد وفاة والدهم الاحتياجات الضرورية للمعيشة، مستفيدة من تجربتي الشخصية في تزيين بنات أقاربي في المناسبات».

ومثلها معلمون يمنيون آخرون في محافظات أخرى اضطرتهم ظروف العوز الناجمة عن انقطاع صرف الرواتب بسبب الحرب المستعرة هناك إلى مغادرة وظيفة المعلم والعمل في مجالات أخرى وأحياناً قد لا تتناسب مع كونه معلماً يحظى باحترام المجتمع، كالعلم (ع.م) الذي اضطرته الظروف ذاتها إلى مغادرة وظيفته والعمل في بيع نبتة القات (وهي نبتة منبهة يمضغها قطاع واسع من اليمنيين وتتعامل معها بعض الدول باعتبارها من المنوعات).

«لم يكن أمامي مفر سوى البحث عن عمل إضافي أو مهنة بديلة لأتمكن من توفير الغذاء والدواء لأسرتي المكونة من 8 أفراد بغض النظر عن مدى صعوبة العمل أو عدم تناسبه مع كوني معلماً».

هذا ما قاله مدرس مادة اللغة العربية (ع.م) الذي قضى 13 عاماً من عمره في تعليم المقرر للصفوف المتقدمة في إحدى مدارس محافظة عمران (50 كلم شمال صنعاء) في تبريره لمغادرة وظيفته بعد أن توقف صرف رواتب المعلمين.

انسداد أبواب الحياة في وجه المعلم اليمنيّ، من المؤكد أنه أمر ليس حكراً عليه وحده، بعد توقف رواتب نحو 200 ألف موظف في قطاع التربية والتعليم في أغلب المحافظات اليمنية، من بينهم، حوالي 14 ألف معلم ومعلمة في محافظة عمران وحدها.

لقد وضعت الحرب المشتعلة في هذا البلد الفقير منذ ثلاث سنوات ملايين الأفواه الجائعة، يتصدرهم المعلمون وبقية الموظفين الحكوميين ومن يعولونهم في امتحان حقيقي، من أجل المكافحة للبقاء على قيد الحياة.

بعد تنهيدة عميقة كشفت عن ملامح شاحبة وعينين تكادان تنضحان بالدمع والأسى، يقول المعلم (ع.م) الذي طلب عدم ذكر اسمه لاعتبارات تتعلق بسلامته إن إن هناك عشرات الآلاف من التلاميذ مهددين بترك فصولهم الدراسية التي أصبح معلموهم يتوارون عنها تدريجياً كلما طال أمد انقطاع رواتبهم.

وفي السياق نفسه، تشير إحصاءات محلية في محافظة عمران، أن الحرب المستعرة أدت في السنوات الثلاث الماضية إلى حرمان نحو 70 ألف تلميذ من الاستمرار في الدراسة أو الالتحاق بها بالنسبة لمن أصبحوا في سن التعليم.

ومع معضلة انقطاع رواتب المدرسين قد تصبح الأرقام، مخيفة إلى حد توقع انهيار النظام التعليمي، في أغلب المحافظات اليمنية، وليس في عمران وحدها.

ويؤكد مسؤول محلي يعمل في قطاع التعليم في عمران، طلب عدم ذكر اسمه، أن انقطاع مرتبات المعلمين والمعلمات، يشكل أهم التحديات أمام العملية التعليمية، ولا بد من حلول عاجلة للمشكلة.

ويكشف المسؤول التربوي عن أن أعداداً كبيرة من المعلمين والمعلمات نزحوا خارج المحافظة جراء تداعيات الحرب وفقدان رواتبهم، فضلاً عن قيام الكثير من أولياء الأمور بمنع أبنائهم من مواصلة الذهاب للمدرسة خشية على حياتهم أو لعدم قدرتهم على الإنفاق على تعليمهم.

وفي غضون هذا الوضع المأساوي الذي ينطبق على مناطق كثيرة من اليمن، أعلنت منظمة الأمم المتحدة للطفولة «يونيسيف» في تقرير أصدرته في آذار/ مارس الماضي «أن تصدع العملية التعليمية في اليمن بعد ثلاث سنوات من الصراع الدامي دفع بنصف مليون طفل في البلاد خارج مدارسهم ليصل إجمالي عدد الأطفال المحرومين من حق التعليم في إلى نحو مليوني طفل».

وأشارت المنظمة الدولية في تقريرها إلى «أن توقف رواتب الكوادر التعليمية العاملة في ثلاثة أرباع المدارس الحكومية منذ أكثر من عام جعل تعليم قرابة 4.5 مليون طفل على المحك».

وفي السياق ذاته الذي يعبر عن حجم المشكلة التي باتت تهدد نظام التعليم، علقت ممثلة «يونيسيف» في اليمن ميريتشيل ريلاينو بقولها «إن جيلاً كاملاً من الأطفال في اليمن يواجه مستقبلاً غامضاً بسبب محدودية أو عدم إمكانية حصولهم على التعليم».

وتضيف: «حتى أولئك الذين ينتظمون في المدارس لا يحصلون على التعليم الجيد».

ووفقاً لتقرير بعنوان «خارج المدرسة: أطفال اليمن ودروب الضياع» الصادر عن «يونيسيف» فثمة أكثر من 2,500 مدرسة باتت خارج الخدمة، 66 في المئة منها تضررت جراء الاقتتال في البلاد كما تم إغلاق 27 في المئة منها و7 في المئة من هذه المدارس أصبحت تستخدم لأغراض عسكرية أو كمأوى للنازحين.

وحسب تقرير المنظمة الدولية الخاص بوضع التعليم في اليمن فإن نحو 2,419 طفل على الأقل انخرطوا في القتال منذ اذار/ مارس 2015 بعد أن تم تجنيدهم.

وباسم أطفال اليمن، ناشدت «يونيسيف» في تقريرها «الأطراف المتحاربة وكل من له منه نفوذ عليهم والسلطات الحكومية والمانحين بالضغط باتجاه وضع حد للحرب» وأكدت «أن السلام والتعافي ضرورة مطلقة لعملية استئناف أطفال اليمن لدراستهم وحصولهم على حقهم في التعليم الجيد الذي يحتاجونه بشكل عاجل».

ووجهت المنظمة الأممية الدعوة إلى المجتمع الدولي والمانحين وشركاء التنمية من أجل «زيادة المساعدات لدعم دفع حوافز للمعلمين والمعلمات وفي الوقت نفسه البحث عن حلول طويلة المدى لأزمة الرواتب في اليمن مع الاستمرار في دعم النظام التعليمي».

ودعت في تقريرها «السلطات التعليمية في جميع أنحاء اليمن إلى العمل جنبا إلى جنب والسعي الجاد لإيجاد حل فوري لدفع رواتب كافة المعلمين/ المعلمات والعاملين في سلك التعليم حتى يتمكن الأطفال من متابعة دراستهم».

كما شددت «يونيسيف» على ضرورة حماية تعليم الأطفال، وقالت إنه «يتعين على كافة أطراف النزاع ومن له نفوذ عليهم الالتزام دون قيد أو شرط بوقف الاعتداءات على المدارس، وإبقاء الأطفال والكوادر التربوية بعيداً عن الأذى، والحفاظ على المدارس كمساحات آمنة للتعلم».

مدن وآثار

قرطاج أيقونة المتوسط وإحدى أهم مكونات الهوية التونسية

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

تعتبر قرطاج واحدة من أهم الحضارات التي عرفها البحر الأبيض المتوسط في عالم ما قبل ميلاد المسيح شأنها شأن الحضارتين الإغريقية والرومانية وكذا الفرعونية. ومركز هذه الجمهورية– الإمبراطورية التي سادت في المتوسط لقرون هو مدينة قرطاج التي تقع في شمال تونس، غير بعيد عن العاصمة التونسية، التي تأسست بعد قرطاج بقرابة الخمسة عشر قرنا، لكن الأخيرة تحولت بفعل التمدد العمراني إلى إحدى ضواحيها.

تقول الأسطورة أن قرطاج تأسست على يد الأميرة الفينيقية عليسة كما يسميها التونسيون أو أليسار/ إليسا حسب ما اصطلح عليه في المشرق، أو ديدون كما يسميها الغربيون. وقد قدمت عليسة أو أليسار من مدينة صور اللبنانية هاربة من أخيها الذي قتل زوجها، ويروى أن هناك كاهنا أخبرها أن قدرها أن تؤسس مدينة قبالة جبل له قرنان، فهامت في البحر إلى أن وصلت إلى ما يسمى اليوم خليج تونس، حيث يوجد الجبل ذو القرنين (جبل بوقرنين كما يسمى اليوم).

وعرضت الأميرة على الأهالي المحليين أن تشتري منهم قطعة أرض بمساحة جلد ثور، فكان لها ما أرادت، فما كان منها إلا أن قصت جلد الثور وحولته إلى خيط رفيع طويل وعلى المساحة التي أحاط بها هذا الخيط الرفيع، وبدهاء لا يتقنه إلا التاجر الفينيقي، حازت عليسة أو أليسار على مساحة واسعة أسست عليها مدينتها قرطاج أو «قرت حدشت» أي القرية الحديثة أو المدينة الجديدة. وكبرت الحاضرة المتوسطية الجديدة ونمت وازدهرت وتفوقت على باقي المدن الفينيقية المحيطة في شتى المجالات وباتت قوة اقتصادية وعسكرية يقرأ لها ألف حساب.

الصراع مع الإغريق والفرس

وتروي كتب التاريخ ان جيش قرطاج تصدى للغزاة من بلاد فارس الذين كانوا يغيرون على المدن الفينيقية ودافع دون هوادة عن ممتلكات صور رغم بعد المسافة وضعف المدد. وشبه البعض مساعدة القرطاجيين لمدينة صور بالعون الذي قدمته الولايات المتحدة لبريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية وكان الأمر يتعلق برد جميل من القوة العظمى الحديثة إلى دولة المنشأ.

كما خاض القرطاجيون حروبا ضد الإغريق للسيطرة على مراكز النفوذ في البحر الأبيض المتوسط قرونا تواجد الإمبراطورية الرومانية فعليا على الساحة المتوسطية. وتمكن القرطاجيون في عصر ما من افتكاك جزيرتي كريت ومالطا التي تتحدث إلى اليوم لغة قرطاج البونية وذلك رغم إصرار الإغريق على الاستحواذ عليهما باعتبارهما من مفاتيح السيطرة على المتوسط. وفي إطار التنافس على النفوذ في المتوسط بين قرطاج وبلاد الإغريق، تروي الأسطورة قصّة الأخوين فيلن القرطاجيين التي بقيت عنوانا للتضحية والفداء من أجل الوطن على مر الأجيال. ويقول المؤرخ التونسي محمد حسين فنطر ساردا هذه القصة: «لمّا كانت قرطاج تسوس القسط الأكبر من افريقيا كانت مدينة قورينة تنافسها ثروة وسلطانا. وكان بين المدينتين ربوع مترامية الأطراف ولا شيء يحدّ من رتابتها، فلا نهر فيها ولا جبل يفصل بين الدولتين ممّا دفع إلى حرب ضروس دامت زمنا طويلا. وقد تصارعت الجيوش برا وتصارعت بحرا وبقيت الحرب سجالا أنهكت قوى الخصمين دون جدوى.

ولّما خافت المدينتان من السقوط فريسة بين مخالب طرف ثالث يستغلّ ضعف الغالب والمغلوب، استفادتا من هدنة لإبرام الاتفاق التالي: في يوم محدّد تعيّن كلتا المدينتين ممثلين اثنين عن كل واحدة منهما ينطلقان من تخوم أرض الوطن ونقطة اللقاء يعترف بها حدًا بين الشعبين. عيّنت قرطاج الأخوين فيلن فعجّلا السير تعجيلا فائقا وكان سير القرويين (الإغريق) بطيئا. فهل كان ذلك من باب التقاعس أم كان حدثا غير منتظر؟ لا ندري! ففي تلك الربوع تعيق العاصفة السير فهي تفعل في الصحراء كما تفعل في البحر فإذا هبّت الريح على هذا السهل الصحراوي المنبسط ثارت سحب من الرمل تدفعها قوّة جبّارة فتملأ أفواه المسافرين وعيونهم وتحجب الرؤية وتعطل السّير.

فلمّا أيقن القوريّنيان من تأخّرهما تأخرا كبيرا خشيا تهمة الخيانة وما ينجر عنها من عقاب، تم اتهام الأخوين فيلن بمغادرة ديارهما قبل الوقت المحدّد وطعنا في نتيجة المناظرة. ولّما كان ذلك كذلك، طلب القرطاجيان تحديد شروط أخرى على أن تكون عادلة فترك لهما الاغريق الخيار بين أن يتم وأد الأخوين فيلن في المكان الذي يبغيانه لرسم حدود بلادهما أو يتركان القوريّنيان يتقدمان في الظروف نفسها حتى المكان الذي يبغيان. وقبل الأخوان فيلن التضحية بحياتهما في سبيل الوطن، فتمّ وأدهما وأقام لهما القرطاجيون في ذلك المكان مشهدا يحمل اسميهما فضلا عمّا قدّموه لهما من آيات التمجيد والتكريم في المدينة».

الصراع مع روما

أصبحت روما إمبراطورية فتية حديثة ناشئة بعد قرون من سيطرة قرطاج على المتوسط وكان لزاما على القوة الناشئة الحديثة (روما) أن تزيح الإمبراطورية الهرمة (قرطاج) التي أخذت وقتها وزيادة. فقد سيطرت قرطاج على أراض شاسعة امتدت على كامل الساحل الشمال الافريقي الغربي وصولا إلى مضيق جبل طارق الذي كان يسمى مضيق ملقرت، نسبة إلى القائد القرطاجي عبد ملقرت بركة والد حنبعل. كما سيطرت قرطاج على شبه الجزيرة الإيبيرية حيث أسست مدنا عديدة منها قرطاجنة وبرشلونة (نسبة إلى عائلة بركا القرطاجية التي ينحدر منها حنبعل ووالده عبد ملقرت وكذا صدر بعل العادل) ووصل نفوذها إلى جنوب فرنسا.

وسيطرت قرطاج على جزر متوسطية هامة مثل كريت اليونانية ومالطا، وأيضا صقلية وكورسيكا وسردينيا والبالیار. ووصلت شرقا إلى خليج سرت الليبي حيث وقعت اتفاقا حدوديا مع الإغريق الذين كانوا يسيطرون على الساحل المتوسطي المصري وشرق ليبيا.

ورغم أنها كانت في نهاية عهدها، فقد خاضت قرطاج ثلاثة حروب كبرى ضد الرومان دامت سنوات طويلة وانتهت بحرق قرطاج على يد القائد الروماني سيبيون. وعرفت هذه الملاحم بروز نجم قادة كبار نالوا شهرة واسعة منهم عبد ملقرت بركا (أميلكار) ونجله حنبعل الذي عبر جبال الألب بفيلته وجحافل جيوشه وحاصر روما قرابة العشر سنوات وخاض على تخومها معارك عديدة أهمها معركة كناي الشهيرة.

شعب كشاف

انتبه القرطاجيون باكرا وقبل غيرهم إلى أهمية القارة الافريقية فأبحروا في المحيط الأطلسي الذي خشيه العرب وأطلقوا عليه تسمية «بحر الظلمات» وأنشأوا مستوطناتهم في غرب افريقيا بمحاذاة الساحل الافريقي. ولعل أشهر الرحلات الاستكشافية هي رحلة الحاكم الرحالة حنون، والتي حصلت حوالي القرن الخامس قبل الميلاد وتم تدوينها واشتهرت خلافا لباقي الرحلات.

كما وصل القرطاجيون إلى الجزر البريطانية عبر المحيط الأطلسي وكذا بحر الشمال على تخوم البلدان الاسكندنافية بحثا عن القصدير وكل ما ينفع الإمبراطورية. وقد سبقت هذه الرحلات التجارية حملة الرحالة حملكون أو عملاقون، الشهيرة التي فتحت الباب على مصراعيه لتجار قرطاج ليوسعوا دائرة تجارتهم لتشمل شمال القارة العجوز عبر البحر.

ويروى أن القرطاجيين وصلوا أيضا إلى ربوع القارة الأمريكية وذلك بالنظر إلى ما ورد في بعض كتب الإغريق التي تحدثت عن أرض شاسعة وراء المحيط كانت مصدرا لثروات القرطاجيين. كما عثر على قطع نقدية قرطاجية فيها صورة تقريبية لخريطة العالم تتضمن يابسة كبيرة من حيث المساحة تقع مباشرة بعد البحر الذي من المفترض أنه المحيط الأطلسي.

علماء قرطاج

تطورت العلوم وازدهـرت في قرطاج وأنجبت هذه الحضارة عديد العلماء والمفكرين ولعل أشهر هؤلاء جميعا هو عالم الجينات والزراعة ماجون، الذي ألف موسوعة اعتمد عليها الرومان لاحقا وبعد القرطاجيين في تطوير علومهم الفلاحية. وعن موسوعة ماجون يقول المؤرخ التونسي محمد حسين فنطر: «لقد كانت الموسوعة التي ألفها ماجون في شؤون الفلاحة في دار الكتب بقرطاج ولعل نسخا منها كانت ملكا لبعض الخواص لا سيما الذين كانوا يتعاطون الزراعة. لم تكن موسوعة ماجون من صنف الكتب التي تبقى على رفوف المكتبات، بل كانت وسيلة عمل يعود إليها صاحبها عند الحاجة ولعل بعض فصولها كانت تلصق في غرف المشرفين على فلح الأرض مهما اختلفت اختصاصاتهم.

ولما كانت الحرب البونية الثالثة وسقطت قرطاج، أمر شيبون أميليا نوس بنهب دار الكتب بقرطاج وحرقها، وأهديت الكتب التي نجت من ألسنة النار الموقدة إلى ملوك النوميديين وأمرائهم، باستثناء الموسوعة التي ألفها ماجون في علوم الزراعة، فقد استأثر بها الرومان وأمر مجلس الشيوخ عندهم بنقلها إلى اللغة اللاتينية وعينت لجنة من المترجمين أشرفت على ذلك العمل الذي اختصره قسيوس ديونسيوس إلى اللسان الإغريقي وأهدى عمله إلى والي افريقيا وقتئذ وهو سكستليوس وتمّ ذلك سنة 88 قبل الميلاد.

وتجدر الإشارة إلى وجود ترجمة ثالثة لموسوعة ماجون انطلاقا من ترجمة قسيوس ديوسنيوس قام بها ديوفان النيقي الذي اكتفى بتلخيص النص المترجم من قبل قسيوس ديوسنيوس. فالعشرون جزءا تحولت إلى 6 أجزاء، وقدم ديوفان عمله هدية للملك ديوتاروس، ولم ينقطع الاهتمام بموسوعة ماجون بل يبدو أن التلخيص الذي وضعه ديوفان تم في جزئين وقام بهذا العمل الفيلسوف فليون، الذي كان يدرس في مدينة روما حوالي 48 قبل الميلاد.

وبالرغم من هذه العناية ومن هذا الاهتمام المتواصل الحلقات لم يبق من موسوعة ماجون إلا 66 فقرة وردت في كتب بعض علماء الفلاحة منهم رورن قولوملاّ وجرجليوس مرسياليس الافريقي الذي عاش في القرن الثالث بعد الميلاد وغيرهم. وبالإضافة إلى هؤلاء جميعهم لا بدّ من إشارة إلى الذين نوّهوا بماجون وبمؤلفاته ومنهم الكاتب الشهير والمحامي البليغ فيقيرون. فثابت أن الموسوعة كانت شائعة في الأوساط الرومانية فكان لا بد للذين يريدون التأليف في الفلاحة أن يعودوا إليها لما فيها من فوائد.

وجاء في بعض الفصول من كتاب رورن أن المشرف على تربية البقر كان يحمل معه مقتطفات من الموسوعة فتناول كيفية علاج الثيران. وأورد بعض القدماء أن الشاعر الروماني فرجيليوس لما أراد كتابة أشعاره حول الحياة الريفية استعان بالموسوعة الماجونية التي كانت مرجعا يجده القارئ في دور الكتب وكان من أمهات الكتب العلمية التي لا تخلو منها الضيعة فليس من المجازفة إذا اعتبرنا ماجون من أشهر الذين كان الرومان يردّدون أسماءهم في المدينة والريف. ويعتقد الكثير من المؤرخين المعاصرين أن الموسوعة ساهمت مساهمة فعالة في إنعاش الاقتصاد الايطالي ومن المرجّح أنّها عبرت العصور حتّى أدركت ابن العوّام الأندلسي.

جمهورية لا مملكة

اتفق جل المؤرخين على أن النظام السياسي الذي كان سائدا في قرطاج هو نظام جمهوري ديمقراطي في شكل بدائي غير مكتمل ولم يكن ملكيا ورائيا على غرار ما كان سائدا في محيط قرطاج. وبالتالي جاز اعتبار قرطاج من أوائل الجمهوريات في تاريخ البشرية، ولفظ «جمهورية قرطاج» متداول لدى المؤرخين ماضيا وحاضرا.

وقد أشاد الفيلسوف الإغريقي أرسطو بدستور قرطاج ونظامها السياسي واعتبره متطورا على أنظمة مدن إغريقية يعتبرها البعض مرجعا في الديمقراطية. واعتبر أيضا أن دستور قرطاج يقترب من الدستور المثالي الذي يتصوره. كما أشاد بدستور قرطاج أستاذ أرسطو الفيلسوف أفلاطون وأيضا المؤرخ اليوناني بوليبيوس والمؤرخ والأديب الروماني تيتوس ليفيوس وديودروس الصقلي والمؤرخ والعالم الجغرافي سترابو.

القائمين على شؤون قرطاج بما جعل العنصر الشعبي محافظا بمحض اختياره على وفائه للنظام المؤسساتي القائم. وهكذا فان قرطاج لم تعرف أبدا من الانتفاضات والنظم الاستبدادية ما يستحق الذكر».

وتضم قرطاج التي أصبحت اليوم إحدى أهم ضواحي العاصمة التونسية، القصر الرئاسي الذي هو رمز من رموز السيادة التونسية، وتقام في المدينة أهم المهرجانات الثقافية التونسية وتحديدا على مسرحها الأثري الكبير. وهي في وجدان التونسي أينما حل باعتبارها من مكونات هويته، حيث أطلق اسمها على مطاره الرئيسي وعلى منتخبه الوطني (نسور قرطاج) وعلى كبرى بواخره وشوارعه وعلى أشياء أخرى. فأينما حللت تطالعك قرطاج ورموزها.

يقول أرسطو في كتاب السياسة عن النظام السياسي في قرطاج: «لقد اشتهر القرطاجيون بإرسائهم مؤسسات جيدة ذات مؤهلات خارجة عن المألوف... والكثير من هذه المؤهلات بلغ حد الامتياز. وهو ما يقيم الدليل على حكمة

رياضة

ما سر التفوق التاريخي لكلوب على الفيلسوف غواردیولا؟

لندن ـ «القدس العربي»: عادل منصور

أثبت المدرب الألماني يورغن كلوب بشكل عملي، أنه من القلائل المعدودين على أصابع اليد الواحدة، الذين يمتلكون شيفرة الفيلسوف الكتالوني بيب غواردیولا، بالتفوق عليه أداء ونتيجة في القمة الأوروبية الإنكليزية الخالصة للدور ربع النهائي لدوري الأبطال، التي جمعت الكبيرين ليفربول ومانشستر سيتي، وحسمها العملاق الأحمر ذهابا وإيابا بنتيجة عريضة 5/1، كدفعة أخيرة في مسلسل انتقام الريدز من السيتي بعد خماسية بداية الموسم المُهينة في البريميرليغ.

ليست صدفة

لو عُدنا إلى الوراء أقل من خمس سنوات إلى الوراء، وتحديدا في صيف 2013، سنتذكر بداية معارك تكسير العظام بين كلوب وبيب، آنذاك حط الرجل الثائر الرحال إلى ولاية بافاريا، ليبدء مغامرته الثانية في مجال التدريب، بعد عام الاستشفاء من عناء وضغوط تدريب برشلونة في الفترة بين عامي 2008 و2012، وشخصيا ما زلت أتذكر حضوره الأول أمام الصحفيين، وهو يُطالبهم بإملاء أسئلتهم باللغة الألمانية، لأنه أتقنها في غضون شهرين أو أكثر قليلاً، بعيدا عن شعور الاندهاش والإعجاب بعقليته في تلك اللحظة، اعتقد كغيري أن غواردیولا سيُنفذ في الفرق الألمانية مقولة عبقري الكوميديا محمد هنيدي في رسالته التحذيرية الشهيرة للشعب الصيني في فيلم «فول الصين العظيم»، صحيح المدرب الأربعيني الشاب في تلك المرحلة، سيطر على البطولات المحلية في دوري أبطال العالم، لكنه لم ولن ينسى أبدا الصدمة الكهربائية العنيفة، التي أفقدته توازنه وأعادته كما يقول الشعب الإنكليزي من على «سطح القمر»، عندما خسر مباراته الرسمية الأولى مع العملاق البافاري أمام كلوب ورجاله بنتيجة 4–2 في الكأس السوبر الألماني، التي جاءت بعد أشهر قليلة من موسم الثلاثية التاريخية (البوندسليغا والكأس المحلية ودوري الأبطال)، الطريف أن البطولات الثلاث أتت عبر بوابة أسود الفيستفاليا.

إن تحدثت مع أحد المُتيمين بيانون ميونيخ، وسألته عن الصداع الحقيقي الذي عانى منه غواردیولا في ولايته مع الفريق؟ أول شيء سيتحدث عن معاناته أمام برشلونة والريال وأتلتيكو مدريد في نصف نهائي دوري الأبطال، الثاني وهو ما يخصنا... لحظات الجحيم التي كان يعيشها بيب كلما واجه كلوب، خصوصا في المباريات الإقصائية والكؤوس، التي شهدت 4 مواجهات مباشرة، ثلاث خسرها الكتالوني بواقع مباراتي كأس سوبر وواحدة نصف نهائي كأس ألمانيا بركلات الترجيح، وفاز مرة واحدة في نهائي الكأس 2014، أما على مستوى الدوري، فتقابلا 4 مرات خلال موسمين، فاز الألماني مرة في قلب «آليانز آرينا» بثلاثية نظيفة، وخسر ثلاث مرات، منها مرة بنفس هذه النتيجة في «سيغنال ايدونا بارك»، لنستنتج أن المُحصلة النهائية في المواجهات المباشرة بينهما في ألمانيا، كانت متكافئة بأربعة انتصارات لكل مدرب، وهذا في حد ذاته يصب في مصلحة كلوب، لفارق الإمكانات والقدرات في كل النواحي، سواء الفردية أو المادية بين دورتموند والبايرن، وهو تقريبا نفس الفارق بين ليفربول ومانشستر سيتي في الوقت الراهن!

ما يدعو للدهشة، أن الطريقة التي يفوز بها كلوب على غواردیولا منذ معارك دورتموند والبايرن، هي نفسها التي كرر بها تفوقه في مباراتي دوري الأبطال، مُعتمدا على إستراتيجية 4–3–3، بإعطاء ثلاثي الوسط تعليمات بالضغط من الأمام، وترك الكرة للفريق السماوي يفعل بها كل شيء، إلا أن تصل بسهولة لكيفن دي بروين أو دافيد سيلفا وأمامهما مساحة في الثلث الأخير من الملعب، تماما كما كان يفعل بإلكاي غندوغان ومارکو رويس وأمامهما مختياريان وليفاندوسكي قبل انتقاله للبايرن وبيير إيمريك أوباميانغ، أشبه بالرباعي الحالي تشامبرلين وصلاح وفيرمينو وماني، وشاهدنا مدى الصعوبة التي واجهها فرناندينيو وغندوغان في مباراة الثلاثاء، لنقل الكرة أكثر من 5 أمتار في منتصف الملعب. وكيف يتم التمرير وستة لاعبين من فريق كلوب منتشرين بشكل نموذجي في مساحة لا تزيد على 30 لـ35 مترا في منطقة المناورات؟ لذلك لم نُشاهد الطريقة النموذجية التي يلعب بها السيتي، بالتمرير القصير بطول الملعب مع تحركات بدون كرة من على الأطراف، وكأنهم يُريدون الدخول بالكرة إلى المرمى.

بل شاهدنا فريقا مُفككا وسطه ودفاعه في واد والهجوم في واد، رغم البداية المثالية بتسجيل هدف جيسوس في أول ثلاث دقائق. وهذا وضح في الإفراط في التمرير العالي، الذي تعامل معه الثلاثي فينالدوم وميلنر وتشامبرلين بكل سهولة، لذلك أجُبر دي بروين على النزول لوسط ملعبه ليتسلم الكرة ويضع بصمته، لكن كما يقول العندليب «طريقك مسدود مسدود يا ولدي»، بغابة من السيقان الحمراء، التي كانت تُعرقله وتستنزف طاقته بإسقاطه قبل أن تطأ قدماه دائرة المنتصف، وهذا الأمر فعله فيرمينو (رأس الحربة) أكثر من ثلاث مرات! فكان لكلوب ما أراد، بنفاد المخزون البدني لأخطر عناصر السيتي في الشوط الثاني، أضف هدية القدر بطرد بيب لاعتراضه على الهدف الصحيح الذي سجله ليروي ساني في آخر لحظات الشوط الأول، هنا انقلبت الأمور رأسا على عقب في الشوط الثاني، الذي لعبه الريدز بثقة وتحرر أكثر ما كان في بداية المباراة، هذا في وجود لاعب قادر على صُنع الفارق كصلاح، يحتاج فقط لمسة أو لمستين في الثلث الأخير من الملعب لإرهاب أي خط دفاع في العالم، وكان في نصف الفرصة الوحيدة التي ترجمها للهدف الذي قضى على آمال السيتي في العودة، قبل أن يُطلق فيرمينو رصاصة الرحمة بالهدف الثاني، ليجتي كلوب ثمار قراءته الجيدة لسيناريو المباراة، بالاعتماد على قوامه الرئيسي الثابت، وعدم «التفلسف» في إعطاء تعليمات وأدوار جديدة للاعبين، كما فعل غواردیولا في المباراتين، بوضع غندوغان كصانع العاب وعلى يمينه الأشقر البلجيكي في شوط الكوارث في مباراة الذهاب، وفي الإياب غامر باللعب بدافيد سيلفا وبيرناردو سيلفا ودي بروين ورحيم ستيرلينغ وليروي ساني وأمامهم جيسوس مهاجم وحيد، وفي اعتقادي، هذا قد يكون السبب الرئيس وراء الاستحواذ السلبي طوال الشوط الأول، باستثناء هوجة آخر خمس دقائق، وربما كان من الأفضل له أن يبدأ بأغويرو برفقة جيسوس، طالما كان هدفه منذ البداية اللعب «الكل في الكل».

من خلال الحكم على سلسلة المواجهات المباشرة بين كلوب وغواردیولا، أتصور أن من أسباب تفوق المدرب الألماني، الذي يُعتبر بلغة الأرقام أكثر من هزم الفيلسوف بواقع ثماني مرات مقابل خمس هزائم وتعادل وحيد، احترامه وتقديره لخصمه الكتالوني، ونُلاحظ ذلك في التعبير الذي يستخدمه بوصف غواردیولا بأفضل مدرب في العالم، تقريبا في كل لقاء صحفي قبل أي مواجهة بينهما، بجانب التعامل بواقعية، أو بالمُصطلح الكروي يلعب بطرق تتناسب مع قدرات وإمكانيات لاعبيه.

في المقابل، يُحاول بيب القيام بعمل شيء آخر غير المُعتاد منه، كما نعرف جميعا أن ميزة مدرب برشلونة وبايرن ميونيخ السابق، أنه يُركز على نقاط قوة فريقه بدون أن يُعير المنافس أي انتباه، إلا في مواجهاته أمام دابته السوداء، باستثناء ثلاثية «سيغنال ايدونا بارك» وخماسية 2017، ولو أن مباراة الخمسة قُتلت بعد طرد ساديو ماني في نهاية الشوط الأول، في الغالب يُفكر في نقاط قوة وضعف فريق كلوب، وهذا في حد ذاته، يقضي على 50 أو 60% من السحر المعروف عن كرة غواردیولا، أو كما قال بنفسه: «الكرة الاستثنائية التي يُقدمها فريقه». ربما لو تعامل مع قاهره الألماني كما يتعامل مع كل منافسيه، بمن فيهم مورينيو حتى بعد خسارة الدربي الأخير، على الأقل سيظهر بالصورة المعروفة عن فريقه، وليس بهذا التخبط والاهتزاز، لدرجة تسجيل هدف يتيم في 180 دقيقة، وأرقام أخرى سلبية منها على سبيل المثال التعرض للهزيمة للمرة الأولى في مسيرته في ثلاث مباريات متتالية، وللمرة الأولى أيضا في رحلته التدريبية يخسر من مدرب بعينه ثلاث مرات في موسم واحد! والسؤال الآن: هل ستستمر هذه العقدة أم أن الفيلسوف سيكون له رأي آخر وسيُعاقب كلوب على التفوق عليه في المستقبل؟

برشلونة وميسي يقضيان نهائيا على ريادتهما الأوروبية

مدريد ـ «القدس العربي»:

تخلى برشلونة عن ريادته للكرة الأوروبية خلال المواسم الأخيرة، ولكن خروجه من دوري أبطال أوروبا هذا الموسم أمام روما يعد تراجعا جديدا وقويا لفريق فقد بشكل نهائي هالة القداسة التي كانت تحيط به في أفضل عصوره.

وأصبح الفريق الإسباني لا يرعب أحدا في القارة الأوروبية، هذه هي الحقيقة، فقد ودع دوري أبطال أوروبا خلال المواسم الأخيرة ثلاث مرات متتالية من دور الثمانية، ما يدل أنه أصبح فريقا يفتقر للحلول في بطولة تتطلب القيام بالكثير من الأشياء، سواء في النواحي الكروية او تلك التي ترتبط بالشخصية والعوامل النفسية. فهو لا يحقق شيئا مهما حتى في ظل وجود اسطورة حية مثل ليونيل ميسي، الذي لا تتناسب أرقامه في دوري أبطال أوروبا مع برشلونة مع حجمه كلاعب كبير، فقد فاز في السنوات السبع الأخيرة بلقب واحد فقط في البطولة القارية الأهم للفرق على مستوى العالم، ما يعد إنجازا هزيلا بالنظر إلى تاريخه الكبير في عالم كرة القدم. ولن يكون من السهل نسيان ما حدث في روما، وسيحتاج برشلونة إلى بعض الوقت لطي صفحة تلك المباراة التي خسرها بثلاثية نظيفة في إياب دور الثمانية لدوري الأبطال، بعدما أنهى مباراة الذهاب لصالحه 1/4، ما دفع الصحافة الإسبانية إلى التحدث عن «حماقة» وفشل» الفريق الكتالوني. ومن الصعب تفسير حصول لاعب مثل ميسي على لقب واحد فقط لدوري أبطال أوروبا في السنوات السبع الأخيرة، في الوقت الذي فاز فيه غريمه التاريخي، البرتغالي كريستيانو رونالدو، بثلاثة من آخر أربع نسخ، ويتطلع للفوز بها مرة أخرى هذا الموسم. وتضررت صورة ميسي كثيرا بعد الذي حدث في ملعب «أولمبيكو»، معقل روما. وقالت صحيفة «ماركا» الإسبانية أن ميسي «عاد إلى الاختفاء مرة أخرى في دور الثمانية لدوري الأبطال». وتثير أرقام ميسي في البطولة الأوروبية القلق، حيث لم يسجل خلال مباريات برشلونة الأخيرة بالأدوار الإقصائية لدوري الأبطال أي هدف في مرمى أتلتيكو مدريد ويوفنتوس وروما. وتصدق هذه الإحصائية على صحة أمرين جوهريين: أولهما أن برشلونة يعتمد بشكل مبالغ فيه على ميسي، وثانيهما أن ميسي لا يقدم المنتظر منه عندما يكون فريقه في حاجة إليه، الأمر الذي يعيد إلى الأذهان أوقاته العصيبة في الماضي مع المنتخب الأرجنتيني. ورغم ذلك، نجح ميسي هذا الموسم في التغطية على كل جوانب النقص لدى برشلونة، سواء تلك التي تتعلق بطريقة اللعب أو التطلعات أو تماسك الفريق. وبرشلونة في طريقه الآن للتتويج باللقب السابع له في الدوري الإسباني خلال السنوات العشر الأخيرة، ولكنه يخفق بقوة مرة تلو الأخرى في دوري أبطال أوروبا. وخلال الأعوام الأخيرة، أنفق برشلونة ما يقرب من 800 مليون يورو لعقد صفقات لاعبين جدد.

ميسي

وقال الإسباني خوسيه ماريا مينخيا، وكيل اللاعبين: «لكن هؤلاء الموجودين في النادي يلعبون منذ ثلاث سنوات». وبحثت الصحافة والجماهير اليوم عن المذنب والمسؤول عن سقوط برشلونة بهذا الشكل المروع، لتتجه معظم أصابع الاتهام لمدرب الفريق ومسؤولي مجلس إدارة النادي الذين اتهموا بإنفاق الأموال بشكل خاطئ عاما تلو آخر لجلب لاعبين لا يقدمون أداء قويا في دوري أبطال أوروبا، وهي البطولة التي تحتاج إلى توافر أعلى المستويات الفنية. وتوافقت كل وسائل الإعلام على اختيار صورة واحدة للإشارة إلى فاجعة السقوط المدوي لبرشلونة في روما، وهي تلك الخاصة بميسي وهو يغادر ملعب أولمبيكو، حيث كان ينظر إلى الأرض بنظرات زائغة. وكما الحال مع فريقه، فقد ميسي مكانة الريادة في البطولة القارية للفرق الأهم في العالم.

رونالدو «المنقذ» يفلت الريال من مصير برشلونة!

مدريد ـ «القدس العربي»:

إذا كان العالم شاهد بدهشة كبيرة سقوط برشلونة في روما، فإنه كان قريبا للغاية مساء الأربعاء من رؤية صدمة أكثر قوة وترويعا على ملعب ريال مدريد «سانتياغو بيرنابيو»، ولكن البرتغالي كريستيانو رونالدو حال دون أن تضيع كل أحلام النادي الإسباني بتسجيل هدف حاسم في الدقيقة 98 من ركلة جزاء مثيرة للجدل.

ولم يسبق لأي فريق أن نجح في تعويض خسارته بفارق ثلاث أهداف في مباراة خارج ملعبه في أي من البطولات الأوروبية، كما لم يسبق للريال أيضا في أي من المنافسات الأوروبية أن تأخر بهذا العدد من الأهداف على ملعبه. وكاد يوفنتوس أن يصنع هذا الإنجاز في إياب دور الثمانية لدوري الأبطال أمام العملاق المدريدي متسلحا بالشخصية القوية والشجاعة والإيمان بالذات، وكان قاب قوسين أو أدنى من تحقيق عودة تاريخية أمام الريال الذي تغلب عليه في نهائي العام الماضي وفي نهائي 1998. لكن سقط الفريق الإيطالي قبل سنتيمترات قليلة من خط النهاية، فلم يكن الفوز 1/3 كافيا ليوفنتوس، الذي دفع ثمنا غاليا لسقوطه على ملعبه قبل أسبوع في مباراة الذهاب بثلاثية نظيفة. ولأول مرة يعبر الريال عقبة يوفنتوس في أحد الأدوار الإقصائية للبطولات الأوروبية التي تقام بنظام الذهاب والإياب، الأمر الذي يدلل على القوة التنافسية الكبيرة التي يتمتع بها الفريق الإيطالي عندما يتعلق الأمر بمنافسة تمتد إلى 180 دقيقة. وغطت لافتة كبيرة باللون البنفسجي تحمل صورة لسمك القرش المدرج الجنوبي للملعب «سانتياغو بيرنابيو» قبل بداية المباراة، ولكن الفريق الذي خرج بأسنان حادة في تلك الليلة الباردة كان يوفنتوس وليس ريال مدريد. وسجل ماريو ماندزوكيتش بعد مرور 80 ثانية الهدف الأسرع الذي استقبلته شباك الريال على ملعبه في دوري الأبطال، وبلعبة مشابهة نجح الكرواتي في توسيع الفارق قبل نهاية الشوط الأول. واتخذت المفاجأة التي صنعها يوفنتوس أبعادا أعمق عندما تسبب خطأ الحارس كيلور نافاس، في الهدف الثالث للفريق الإيطالي عن طريق بليز ماتويدي في الشوط الثاني. وبدأت المباراة في رسم طريقها نحو الوقت الإضافي، وكان هدف رابع كفيلا بأن يجبر الريال على السعي نحو تسجيل هدفين للحفاظ على حظوظه في التأهل إلى نصف النهائي. وفي وسط هذه الأجواء العصبية التي شهدت انفعالات كبيرة من جماهير يوفنتوس، ظهر رونالدو اللاعب الأكثر حسما في الكرة الأوروبية في الوقت الراهن. وبمساعدة من لوكاس فازكيز الذي سقط داخل منطقة جزاء يوفنتوس لم تعرضه لعرقلة من المغربي المهدي بنعطية، حصل رونالدو على فرصته بعدما احتسب الحكم الإنكليزي مايكل أوليفر، ركلة جزاء مشكوكا في صحتها للريال، تسببت في غضب عارم بين صفوف الفريق الإيطالي. واحتج جانلويجي بوفون، الحارس الأسطوري ليوفنتوس بحدة كبيرة ليحصل على البطاقة الحمراء ليغادر على إثرها ملعب اللقاء وسط تصفيق من جماهير الريال. لكن بطل الليلة كان مرة أخرى كريستيانو رونالدو، فقد وقف اللاعب البرتغالي أمام الكرة وسط أجواء شديدة التوتر وصوب بثقة كبيرة في شباك الحارس البولندي البديل فويتشيك تشيزني، الذي لم يحرك ساكنا. وبعدما سكنت الكرة الشباك معلنة اقتناص الريال لطوق النجاة، خلع النجم البرتغالي قميصه وركض بجنون ناحية المدرج الجنوبي وكاميرات التليفزيون وأظهر عضلات جسده.

رونالدو

هيمنة بايرن ميونيخ الصارخة تثير الجدل

برلين – «القدس العربي»:

ليست المرة الأولى التي يحسم فيها بايرن ميونيخ لقب الدوري الألماني (بوندسليغا) قبل النهاية بعدة أسابيع، لكن فوزه باللقب في الموسم الحالي دفع العديد من النقاد إلى الإشارة لافتقاد البطولة لعنصر المنافسة الحقيقية وهوم ما يمثل مشكلة حقيقية حاليا.

وأحرز البايرن لقب البوندسليغا للمرة السادسة على التوالي بعد فوزه على أوغسبورغ 1/4 الاسبوع الماضي في المرحلة التاسعة والعشرين ليأتي الحسم قبل المراحل الخمس الأخيرة هذا الموسم. لكن البايرن قد يجد الأمر أكثر صعوبة الموسم المقبل إذا أراد التعاقد مع مدرب جديد ومهاجم جديد من طراز فريد. ورغم اضطرار الفريق البافاري لتغيير مدربه في وسط الموسم الحالي، ظل البايرن قادرا على حسم اللقب بدون عناء. ولا يوضح فوز البايرن باللقب قبل خمس مراحل من النهاية وتفوقه بسهولة على معظم منافسيه مدى قوة البايرن فقط وإنما يكشف أيضا نقاط الضعف التي تعاني منها باقي فرق البوندسليغا. وعندما أقيل الإيطالي كارلو أنشيلوتي من تدريب الفريق في أيلول/سبتمبر الماضي بعد الهزيمة أمام باريس سان جيرمان في دور المجموعات بدوري الأبطال الأوروبي وحالة الغضب التي سادت داخل صفوف الفريق، رأى منافسوه في البوندسليغا أن الفرصة تبدو سانحة لكسر هيمنة الفريق البافاري على لقب البطولة. لكن مسؤولي البايرن أقدموا على أدهى وأبرع تصرف ممكن حيث رفضوا المجازفة في اختيارهم لخليفة أنشيلوتي ولجأوا إلى البديل الآمن من خلال الاستعانة بالمدرب يوب هاينكس صاحب الخبرة السابقة الرائعة مع الفريق. وبالفعل، تولى هاينكس (72 عاما) تدريب الفريق للمرة الرابعة في مسيرته، ولم يتأخر كثيرا في إعادة روح البطولة إلى أجواء الفريق.

وقال هاينكس: «أعتقد أن رد فعل الفريق والطاقم التدريبي كان رائعا تجاه هذا التغيير في منصب المدرب. التتويج بلقب الدوري الألماني يمثل نجاحا رائعا». لكن هاينكس كان لطيفا ومهذبا بدرجة كافية لإبداء التقدير لأنشيلوتي مشيرا إلى دوره ومساهمته في هذا الإنجاز الذي حققه البايرن.

وقال هاينكس، بعد الفوز على أوغسبورغ: «أود توجيه أفضل التمنيات لكارلو أنشيلوتي في إيطاليا... إنه مدرب عظيم». وأضاف أن اللقب من حق اللاعبين وتحقق بجهدهم، مشيرا إلى أن صفوف الفريق تحفل بالعديد من النجوم.

وكان المهاجم البولندي روبرت ليفاندوسكي مثمرا كعادته دائما، كما استعاد زميله المهاجم توماس مولر كثيرا من حيويته وخطورته بعد موسم صعب تحت قيادة أنشيلوتي، كما ينوب الفرنسي كينغسلي كومان الآن ببراعة عن اللاعبين المتميزين الهولندي آربين روبن والفرنسي الآخر فرانك ريبيري.

ولعب نيكلاس سوله دورا مماثلا، حيث يعوض غياب جيروم بواتينغ وماتس هوملز اللذين يتعرضان للإصابة أحيانا، علما أنهما ما زالا من النجوم المتميزين في مركزي قلب الدفاع. ولم يتأثر البايرن كثيرا بغياب حارس المرمى العملاق مانويل نوير للإصابة حيث نجح زفن أولريتش في التغلب على التوتر الذي عانى منه في البداية وتألق مع الفريق في الفترة الماضية. وإلى جانب القوة الهائلة التي يتسم بها البايرن، لم يجد الفريق البافاري منافسا فعالا حقيقيا، حيث اضطر بوروسيا دورتموند لتغيير مدربه مرتين العام الماضي، كما رحل مهاجمه الخطير الغابوني بيير إيميريك أوباميانغ إلى أرسنال الإنكليزي في فترة الانتقالات الشتوية الماضية. لكن السؤال الذي يدور في أذهان كثيرين حاليا هو: هل تضر هيمنة البايرن بسمعة البوندسليغا؟

وقال كارستن شميت رئيس شبكة «سكاي» في ألمانيا: «نرى أنه منذ موسم 2012/2013، يحسم لقب البوندسليغا منطقيا خلال أعياد الكريسماس. إنها مشكلة» في إشارة إلى إحكام البايرن لقبضته على صدارة البوندسليغا في المواسم الأخيرة مع نهاية فعاليات الدور الأول للمسابقة وبدء عطلة الشتاء. وتنفق شبكة «سكاي» الملايين لبث مباريات البوندسليغا.

وشهد موسم 2012/2013 نهاية الولاية الثالثة لهاينكس مع الفريق والتي توجها بإحراز الثلاثية التاريخية (دوري وكأس ألمانيا ودوري أبطال أوروبا). والآن، لا يزال حلم الثلاثية يراود هاينكس مجددا، حيث حسم الفريق لقب الدوري الألماني (بوندسليغا) والموسم الحالي، ولدينا أهداف كبيرة».

ولكن الموسم المقبل قد يكون مختلفا إذا واجه الفريق البافاري هاتين المشكلتين المتعلقتين بالمدرب والمهاجم القناص. وبعد تولي المسؤولية خلفا لأنشيلوتي، وقع هاينكس على عقد حتى نهاية الموسم الحالي فقط، وحاول مسؤولو النادي عبثا إقناعه بالبقاء مع الفريق وتأجيل اعتزاله التدريب. ويبرز بين البدائل المرشحة لخلافة هاينكس كل من الكرواتي نيكو كوفاتش مدرب إنتراخت فرانكفورت الألماني ورالف هاسنهوتيل مدرب لايبزيغ الألماني ويوليان ناغلسمان مدرب هوفنهايم الألماني ويواخيم لوف مدرب المنتخب الألماني (مانشافت).لكن هذه البدائل يصعب البت فيها، ولا تزال محل شك لأسباب عدة ومتنوعة. وقد يتعرض البايرن للطمة جديدة إذا طلب ليفاندوسكي الرحيل إلى ريال مدريد الإسباني بعد نهاية هذا الموسم، حيث أكدت تقارير إعلامية حرص النادي الملكي الإسباني على ضم ليفاندوسكي.

وأشارت إحدى الصحف إلى أن الاتفاق جرى بالفعل بين الريال واللاعب البولندي. ومن المؤكد أن البايرن سيطلب 150 مليون يورو على الأقل للاستغناء عن ليفاندوسكي الذي يمتد عقده مع النادي البافاري لثلاث سنوات أخرى. ومع صعوبة تعويض رحيل أي لاعب، يكون البايرن مهددا بمواجهة صعوبات أكبر في رحلة الدفاع عن لقبه بالبوندسليغا الموسم المقبل. لكن حتى الآن، يمكن التشكيك في وجود فريق بالبوندسليغا لديه القوة والقدرات المالية والإصرار الذي يمكنه من المنافسة مع البايرن على لقب البوندسليغا.

روبن وريبيري... مسيرة حالمة ومستقبل غامض مع العملاق البافاري

ميونيخ – «القدس العربي»:

مقاعد البدلاء أم القائمة الرئيسية؟ التجديد أم الرحيل؟ لا تزال الشكوك تثور حول النجمين المخضرمين الهولندي آربين روبن والفرنسي فرانك ريبيري في بايرن ميونيخ الألماني مع دخول الموسم إلى مراحله الأخيرة وتزايد احتمالات فوزهما بـ«الثلاثية» للمرة الثانية مع النادي البافاري.

وكانت هذه الشكوك في فترة ما بعيدة تماما عن الجناح الهولندي، الذي طالما كان طوال تسع سنوات، هي المدة التي قضاها مع بايرن ميونيخ، لاعبا أساسيا لا يرقى إليه أي شك في مباريات الفريق المهمة وخاصة في دوري أبطال أوروبا، ولكن يبدو أن هذا الأمر أصبح جزءا من الماضي. واعتاد روبن (34 عاما) برفقة زميله الفرنسي فرانك ريبيري (35 عاما) في الفترة الأخيرة على مشاهدة مباريات فريقهما في البطولة الأوروبية الأكبر من خارج الملعب، فقد أصبح مستقبل اللاعبين الآن على المحك ويكتنفه الكثير من الغموض. وقال روبن: «الشيء الوحيد المهم لي هو هذا الشهر الأخير، أرغب بأن أبذل كل شيء خلاله وبعد ذلك سنرى ما سيحدث». والآن ماذا سيحدث مع روبن وريبيري؟

شهدت مباراة العودة لدور الثمانية لدوري أبطال أوروبا أمام إشبيلية الأربعاء الماضي على ملعب «اليانز آرينا» مشاركتهما معا ضمن التشكيلة الأساسية لبايرن ميونيخ للمرة الثانية في هذه البطولة. وفي مباراة الذهاب التي فاز بها الفريق الألماني 2/1، بدأ اللاعب الهولندي المباراة من على مقاعد البدلاء، على عكس الحال مع زميله الفرنسي الذي شارك أساسيا. وأرجع يوب هاينكس، مدرب بايرن ميونيخ، قراره بالاحتفاظ بروبن على مقاعد البدلاء إلى عدم رغبته في المخاطرة بالدفع به مما يعرضه لتفاقم متاعبه البدنية. وقال روبن عقب المباراة الأخيرة لفريقه في الدوري الألماني أمام أوغسبورغ، والتي حسم خلالها بايرن ميونيخ لقب البطولة للمرة السادسة على التوالي: «لدي ثقة كبيرة في المدرب، إنه يعرف ما يفعل ودائما يقوم بالأفضل من أجل الفريق، هذا أيضا يجدي نفعا بالنسبة لي». ولم يعد أمام الجناح الهولندي المفعم بالتفاؤل، كما تدلل تصريحاته، سوى أن يرضى بوضعه الحالي مع الفريق الألماني. وعلى الجانب المقابل، يستفيد ريبيري في المراحل الأخيرة من الموسم من الإصابة الخطيرة التي تعرض لها مواطنه كينغسلي كومان في القدم، فلم يفوت النجم الفرنسي الفرصة ليعود لكيوكن الرجل الأول في مركز الجناح الأيسر في الفريق البافاري. أما روبن ففرصه في الدخول إلى التشكيلة الهجومية الأساسية لبايرن ميونيخ تتناقص في كل يوم. ويشكل البولندي روبرت ليفاندوسكي والألماني توماس مولر ثنائيا هجوميا تقليديا في الخط الأمامي لبايرن ميونيخ، بالإضافة إلى المهاجم الكولومبي خاميس رودريغز، أحد الأدوات التي يعتمد عليها هاينكس في مسيرته الناجحة هذا الموسم مع الفريق. وعلى هذا النحو وعلى ضوء كل هذه المعطيات يثور تساؤل لا ينقطع: هل يستطيع روبن تقديم أفضل ما لديه خلال ما تبقى من الموسم؟ من جانبه أبدى اللاعب الهولندي ثقة كبيرة في نفسه، حيث قال: «عندما ألعب أقدم كل شيء، أثق في المستقبل، هذا الشهر سيكون جيدا، أتمنى أن أستطيع القيام بدوري». وباعتباره مدربا مخضرما، يعرف هاينكس (72 عاما) كيف يتعامل بشكل جيد مع لاعبين من أصحاب الخبرة الكبيرة مثل روبن وريبيري، فقد فاز معهما في 2013 بـ«ثلاثية» تاريخية (الدوري والكأس ودوري الأبطال). وفي مباراة أوغسبورغ الأسبوع الماضي، رأي هاينكس كيف قامت الجماهير البافارية بتحية اللاعبين بالتصفيق، ما دفعه إلى أن يقول: «هذا أيضا كان تكريما من جانبي». بذلك، منح هاينكس شرعية لمساندة الجماهير للثنائي المخضرم، اللذين قد يكونا في الوقت الراهن يعيشان المباريات المهمة الأخيرة لهما مع بايرن ميونيخ.

ويمتد تعاقد روبن وريبيري مع البايرن حتى نهاية الموسم الجاري ولكنهما لم يوقعا على عقدي تجديد حتى الآن. بيد أن كل شيء يوحي بأن التجديد هو مصير اللاعبين، كما لمح رئيس مجلس إدارة بايرن ميونيخ، كارل هاينز رومينيغه، حيث قال: «الأمر الحاسم في هذا الصدد هو الكيفية التي يلعبان بها، وهما يلعبان بشكل رائع». ويتعامل ريبيري بشكل عاطفي مع مسألة تجديد تعاقده، حيث أنه يدافع عن ألوان الفريق البافاري منذ 11 عاما، على عكس روبن الذي يبدو أكثر تحفظا في هذه المسألة، فقد تحدث عن هذا الأمر قائلا: «أنا لست من هؤلاء الذين يقولون أن بايرن ميونيخ هو الخيار الأول»، في إشارة إلى إمكانية رحيله إلى أندية أخرى. ويرفض روبن أن يكون دوره ثانويا مع بايرن ميونيخ، وأضاف قائلا: «عندما تكون جميع الخيارات متاحة أمامي على الطاولة سأتخذ قراري». وبعيدا عما يمكن أن يحدث في قابل الأيام، يأمل روبن في ألا يكون اللقب الذي حصده الاسبوع الماضي هو آخر ألقابه مع بايرن ميونيخ.

حول قوة الدوري الألماني

كما بلغ الفريق الدور قبل النهائي في مسابقة كأس ألمانيا وتأهل الى الدور نفسه في دوري أبطال أوروبا بعد اقصائه أشبيلية الإسباني، خصوصا بعد فوزه عليه ذهابا 1/2 في عقر داره بدور الثمانية للبطولة. ونجح هاينكس ومعاونوه في نقل إصرارهم الهادئ والرزين إلى لاعبي الفريق.

وقال مولر، في تصريحات إلى صحيفة «شيورت بيلد»: «ما زلنا في جميع المسابقات الثلاث. الطاقم التدريبي هو نفسه. نمر بمرحلة جيدة للغاية. هناك مقارنات وتشابهات بين 2013

مويناكو... فن صقل المواهب والتربح من بيعها والبقاء في المنافسة

في هذا الوقت من الموسم الماضي كان موناكو يتصدر الدوري الفرنسي بفارق 3 نقاط عن أقرب منافسيه، وتأهل الى الدور قبل النهائي لدوري أبطال اوروبا بعد فوز رهيب على بوروسيا دورتموند الألماني... لكن بعد 12 شهراً من فترة التألق هذه، فانه على وشك الاستسلام وتقديم لقب الدوري الفرنسي الى باريس سان جيرمان.

عملاقا الكرة الفرنسية موناكو وسان جيرمان يلتقيان الليلة في العاصمة الفرنسية باريس، ونتيجة الفوز لصاحب الأرض ستعني احراز سان جيرمان اللقب قبل خمس جولات على النهاية، ومع ذلك فان خسارة اللقب بالنسبة لموناكو لا تجعل موسمه مخيبا، بل على النقيض فان ضمان بقائه في المركز الثاني الذي يؤهله الى المشاركة المباشرة في دوري ابطال أوروبا الموسم المقبل، سيجعل من الموسم الحالي ناجحا لاعتبارات عدة. ففي الصيف الماضي باع موناكو من نجومه ومواهبه الصاعدة ما يصل الى قيمة 350 مليون يورو، برحيل بنجامين ميندي (الى مانشستر سيتي) وتيمو باكايوكو (الى تشلسي) وبيرناردو سيلفا (الى السيتي) وكيليان مبابي (الى سان جيرمان). وطبعا من شبه المستحيل تعويض مثل هؤلاء النجوم والمواهب وان تنجح في الحفاظ على مركز من الاثنين الأوائل، لكن موناكو في طريقه الى فعل ذلك هذا الموسم، والفضل الاكبر في ذلك يعود الى المدرب البرتغالي ليوناردو جارديم وأسلوبه الذكي في ادارة الامور، والثبات والاستقرار في تقديم العروض القوية والنتائج الايجابية، كما يعود الفضل الى استعادة النجم الكولومبي راداميل فالكاو لغريزته التهديفية بتسجيله 18 هدفا اقل من الرابع، وباستمرار هذا النجاح، وباستمرار انتاجه للنجوم وصقلهم واعطائهم الفرص، فان الصيف المقبل سيكون ملتهبا على غرار سابقة، حيث سيصطف عمالقة أوروبا واثرياؤها طلبا للمواهب الجديدة القادمة من الامارة، وعلى رأسهم هذا الصيف سيكون الجناح توماس ليمار والمدافع الأيمن جبريل سيديبي ولاعب الوسط فابينيو، ورحيلهم سيكون شبه مؤكد ما دامت هناك أندية مستعدة لدفع مبالغ كبيرة في مقابل ضمهم، فالصراع على ضم ليمار مثلا سيبدأ من مبلغ 90 مليون يورو، خصوصا ان أرسنال عرض أكبر من هذا المبلغ الصيف الماضي، مثلما أبدى ليفربول والانتر اهتماماً بضمه.

وطبعا موناكو لن يقاوم كثيراً، فهو سيبني الفريق مجددا ويمضي قدما في منافساته الاوروبية والمحلية، لان فلسفة النادي قائمة على مبدأ الاستمرارية والتعويض مبكرا، وعدم التأثر كثيرا برحيل النجوم، فهو لديه مسبقا خليفة المدافع الايمن سيديبي، ببروز الواعد المامي توري، في حين سيحل الموهبة البلجيكية الواعدة يوري تيلمان مكان فابينيو، وسيلعب دوراً رئيسيا بارزا في الفريق على عكس المباريات المحدودة التي لعبها هذا الموسم، والجيل الجديد في مصنع انتاج المواهب في موناكو بدأ في البروز وجاهز للعب الدور الرئيسي مكان الراحلين، فموناكو دفع 25 مليون يورو لضم بييترو بيليغري من جنوى الايطالي خلال فترة الانتقالات الشتوية الماضية، وسيكون المهاجم المراهق ابن السابعة عشرة من العمر الموهبة الجديدة التي سيقدمها موناكو للعالم وللاندية الاوروبية العملاقة التي تعودت على متابعة مواهب النادي الفرنسي أولا بأول. كما يملك النادي آمالا كبيرة في موهبة خريج أكاديمية النادي الجناح موسى سيلا ابن الثامنة عشرة.

قد لا يكون موناكو حصل هذا الموسم على ألقاب مقارنة بالموسم الماضي، لكن النادي ما زال بحال صحية رائعة ماديا وكرويا، ففي حين انه ينجح في البقاء على رادار المنافسة المحلية والتأهل الى المسابقتين الاوروبيتين في وقت هو قادر فيه على تحقيق أرباح مادية أيضاً، فانه يصبح نموذجا مثاليا للعديد من الأندية الاوروبية التي تنفق مئات الملايين على ضم لاعبين جدد ويظل المردود ضعيفا ومتواضعا.

@khaldounElcheik

أسـرة

غزيات يشاركن أزواجهن بإنتاج مشغولات منزلية للخروج من حياة الجوع والفقر

غزة ـ «القدس العربي»: إسماعيل عبد الهادي

في مجتمع قطاع غزة والذي تضيق فيه فسحة العيش تزداد حدة الأوضاع الإنسانية ضراوة، وفي ظل عزوف المئات من الرجال عن العمل نتيجة تردي الأوضاع الاقتصادية، بدأت المرأة الغزية مشاركة زوجها وخوض مهن منزلية عديدة يتم تسويقها عبر منصات التواصل الاجتماعي وأخرى عبر مؤسسات تدعم صمود المرأة وكفاحها للخروج من حياة القسوة والفقر، فالعديد من المؤسسات في القطاع نشطت مؤخراً في تقديم فرص عمل للنساء من خلال إنشاء بعض المشاريع التي تؤمن للأفراد والأسر قوت يومهم، ومنها جمعية البيت الصامد التي تعنى بمشاريع التطريز والخياطة، وجمعية اتحاد لجان العمل النسائي التي تعنى بمشاريع تحضير الوجبات والحلويات بأنواعها، بالإضافة إلى مؤسسات تدعم مشاريع الثروة الحيوانية من الطيور وغيرها.

وبات أمر مشاركة المرأة زوجها في العمل ليس عيباً أو غريباً، في وقت تتأزم فيه الأوضاع المعيشية ويتخلى فيها القريب والصديق مع اشتداد الحصار الذي أدى إلى تراكم أعداد كثيرة من العمال على أعتاب البطالة، ولا شك أن عمل المرأة من أكثر الموضوعات إثارة للجدل في مجتمع محافظ كقطاع غزة على الرغم ممن يعارضه وهناك من يوافق عليه، وآخرون يرون لا مشكلة بشرط وصول الأوضاع المعيشية إلى غاية متناهية من القهر والفقر تجبر المرأة على الوقوف إلى جانب زوجها لستر بيتها وأولادها في أعمال واقعية تعتبر بسيطة، تحاول من خلالها منع عائلتها من مد اليد وطلب العون من الغير.

فالمرأة الغزية أصبحت تشكل عنصراً أساسياً في التنمية الاقتصادية، ورغم النجاح الذي حالف بعضهن إلا أنهن مررن بمراحل شاقة مليئة بالتجارب الغنية التي ساهمت في صقل شخصياتهن، فكثير من المشاريع الصغيرة قد سجلت نجاحا كبيراً، من خلال إدارة ناجحة للمشاريع المدعومة من مؤسسات خيرية وتنموية.

أم كامل (45) عاماً تعيل أسرة مكونة من 9 أفراد، دفعها الوضع الاقتصادي السيئ وعزوف زوجها عن العمل منذ سنوات، إلى خوض مهنة صناعة المعجنات والحلويات وبيعها من خلال محلات البقالة المنتشرة في الحي الذي تسكن فيه.

وتشرح أم كامل حالها لـ«القدس العربي» قائلة: «كان زوجي يعمل في مهنة الخياطة، وبعد أصابته بمرض القلب المزمن توقف عن العمل حتى أجريت له عملية فتح للقلب لم يعد بعدها قادراً عن العمل، وازدادت الأوضاع المادية للعائلة سوءاً، في ظل غياب مصدر دخل يسترنا سوى مبلغ قليل من المال يقدر بـ180دولارا، يتم صرفه للعائلة عن طريق مستحقات وزارة الشؤون كل ثلاثة شهور، فصعوبة الأوضاع دفعتني إلى التوجه لأهل الخير لكي يمنحوني مبلغا من المال يمكنني من إنشاء مشروع صغير يستر بيتي، فبعد شرح الوضع وقيام أهل الخير بزيارة بيتي والاطلاع على أحواله، تم صرف مبلغ من المال لشراء المواد اللازمة للبدء بالمشروع البسيط، وعلى اثر ذلك بدأت العمل في مجال صناع المعجنات المغلفة وتوصيلها إلى المحلات المجاورة للبيت، ولاقت هذه المصنوعات إقبالا كبيرا من الناس».

وتضيف أم كامل بفرحة غمرت وجهها «أصبح كثير من الناس يأتون إلى بيتي ويتواصلون لكي أعمل لهم كميات من الحلويات خاصة لمناسباتهم، وبهذا المشروع تمكنت من السيطرة على الوضع الصعب مطالبةً جميع النساء إلى خوض المهن المنزلية، ومشاركة أزواجهن في حياتهم لتحدي الظروف الصعبة والتي تتجه نحو الأسوأ».

لا يختلف الحال كثيراً عن الغزية أم حسن (38) عاماً، والتي تعمل في مهنة التطريز الفلاحي لصالح إحدى المؤسسات التنموية والتي تدعمهم ضمن مشاريع خاصة تقدمها في محاولة لتحسين الأوضاع المعيشية للنساء.

تقول أم حسن لـ«القدس العربي»: أعيش وعائلتي في بيت مستور بحاجة لمستلزمات يومية، ورغم أن زوجي يعمل في مهنة الطوبار إلا انني سلكت طريق العمل في التطريز لصالح مؤسسات تهتم بشؤون المرأة، وذلك لتدني الأجرة المادية التي يتلقاها زوجي، عدا الانقطاع المستمر في العمل لفترات طويلة وذلك نتيجة الحصار الذي ترتب عليه شح إدخال مواد البناء وارتفاع تكلفتها، وهو ما يجعل استمرارية العمل أمرا مستحيلا.

تبين أم حسن إن مهنة التطريز والتي تعمل بها مئات النساء في غزة من المهن الصعبة والتي تحتاج إلى تركيز ووقت لإنجاز المطلوب، عدا الآثار الجانبية من زغللة في العينين وصداع في الرأس، ولكن هذا هو حالي كمرأة محتاجة للعيش حياة كريمة، وعن طبيعة مهنتها تقول، أن مدة العمل للقطعة الواحدة تستغرق في أحسن الأحوال قرابة نصف شهر، وحول الأجور والعائد المادي تكمل نتلقى العائد حسب نوعية قطعة التطريز المطلوبة، فهناك قطع خشنة ذات ثقوب كبيرة، وقطع ناعمة ذات ثقوب صغيرة، فالقطع الناعمة أجرها كبير عن الخشنة لأنها تعطي جمالاً أكبر وتحتاج لتركيز أكثر أثناء حياكتها.

وتمتلك المرأة الغزية من العزيمة والإصرار ما لا تمتلكه نساء العالم، فهي تفتقد للمأوى والغذاء والكساء إلا إنها تبقى صامدة أمام عثرات الزمان الصعبة، وهو ما تعيشه اليوم.

الفريدو

المقادير

كيس نودلز (معكرونة شرائط)
نصف كيلو صدور دجاج
كوب فطر
ثلاثة فصوص ثوم مفروم
بصلة صغيرة
نصف مكعب مرق خضار
معلقتان زيت
معلقتان دقيق
ملح وفلفل أسود
كوبان لبن
نصف كوب كريمة طهي

طريقة التحضير

نشوح صدور الدجاج في ملعقة زيت ونضيف عليها رشة ملح ورشة فلفل أسود ونقلب الخليط على نار عالية حتى يستوي.

في وعاء غير قابل للصق نضع ملعقة زيت ونقطع البصلة مكعبات صغيرة ونضعها على النار ونضيف الثوم المفروم والفطر المقطع ونشوحها على نار عالية لمدة دقيقة لغاية ما يذبل. نضيف معلقتي الدقيق ونقلب لمدة ثواني.

نضيف اللبن ونقلب لغاية ما يبدأ الصوص بالتكثف ثم نضيف الكريمة وحين يبدأ بالغليان نضيف قطع صدور الدجاج والملح ثم النودلز المسلوقة.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

دراسة: تعاطي المخدرات والكحول يدفع المراهقين إلى الانتحار

حذّرت دراسة أمريكية حديثة، من أن شرب الكحول وتعاطي المخدرات والتدخين، يرفع معدلات الأفكار والسلوكيات المرتبطة بالانتحار لدى الشباب.

الدراسة أجراها باحثون في جامعة كاليفورنيا الأمريكية، ونشروا نتائجها، في عدد الجمعة، من دورية (American Journal of Preventive Medicine) العلمية.

ولكشف العلاقة بين تعاطي المخدرات وشرب الكحول والتدخين، وتغذية الأفكار الانتحارية لدى الشباب، فحص الفريق بيانات حكومية عن المراهقين الأمريكيين على مدار أكثر من 20 عامًا.

وأظهرت البيانات أن بين المراهقين الأمريكيين في الصفوف من التاسع إلى الثاني عشر، شرب 75 في المئة منهم الكحول، و58 في المئة دخنوا السجائر، و41 في المئة حاولوا تدخين الماريغوانا.

وبالنسبة لمعدلات الاكتئاب والانتحار، ظهر على أكثر من ربع المراهقين الأمريكيين الاكتئاب، وعانى ما يقرب من 20 في المئة منهم من أفكار انتحارية خطيرة، وحاول 8 في المئة منهم الانتحار بالفعل.

ووجد الفريق أن شرب الكحول بين المراهقين كان مرتبطًا بزيادة بلغت من 1.5 إلى 2.1 ضعفًا في معدلات محاولات الانتحار، فيما زادت محاولات الانتحار بين المراهقين المدخنين بين 2.1–2.7 ضعفا مقارنة مع غير المدخنين.

وقال قائد فريق البحث، الدكتور أندرو سوبيكا: «على المستوى الوطني، تظهر النتائج التي توصلنا إليها وجود ارتباط كبير بين تعاطي الكحول بين المراهقين الذي يدخنون السجائر في الآونة الأخيرة وزيادة احتمال الانتحار».

وأضاف: «لذلك، فإن شرب الكحول وخاصة بين من يدخنون السجائر قد يلعب دوراً في تفاقم محاولات انتحار المراهقين».

ونصح سوبيكا أولياء الأمور والقائمين على العملية التعليمية بضرورة الاهتمام بشكل أكبر لوقف تعاطي الكحول وتدخين السجائر بين المراهقين، وتطبيق برامج الوقاية للوصول إلى المراهقين المعرضين لخطر الانتحار.

وكانت دراسة كشفت أن استهلاك الكحول يزيد من خطر الإصابة بالسكتة الدماغية، حتى بين الأشخاص الذين يشربونه بمعدلات خفيفة يوميًا.

ووفقا للمعهد الوطني الأمريكي لتعاطي الكحول والإدمان، فإن الإفراط في شرب الخمر يضر بصحة الإنسان بشدة، وأدى إلى وفاة نحو 3.3 مليون شخص في الولايات المتحدة عام 2012.

وحسب بيانات منظمة الصحة العالمية، فإن تعاطي الكحول يتسبب في 4 في المئة من حالات الوفاة على مستوى العالم سنويًا، كما يعد إدمان الخمر من العوامل التي تهدد بضياع الكثير من سنوات عمر الإنسان جراء المرض والإعاقة، ويشكل التهديد الأكبر لحياة البشر في الدول ذات الدخل المتوسط التي يعيش فيها نحو نصف سكان العالم.

(الأناضول)

الحمل

تتحدّث هذا اليوم عن تراجع مادي أو فشل شراكة

الثور

أنت قادر على الانطلاق مجدداً بقدرتك المعهودة

الجوزاء

الأمور العالقة ترخي بظلالها على وضعك العملي

السرطان

بادر إلى القيام بحركة شبه يومية تعود عليك بالفائدة

الاسد

الوهن الذي أصابك في المدة الأخيرة بدأت عوارضه تخف

العذراء

خذ الاحتياطات الكاملة لمواجهة الأمور بموضوعية وتعقل

الميزان

تنشط كثيراً على مستوى الاتصالات وتبادل المعلومات

العقرب

يمكنك ممارسة الرياضة بمفردك وبحرية

القوس

تسيطر على انفعالاتك وتبدو واثقاً بنفسك

الجدي

تتطور الأمور إيجابياً لصلحتك وترفع من معنوياتك

الدلو

في القريب سعادة كبيرة وبحث عن آفاق جديدة

الحوت

تشعر براحة كبيرة وبتخفف التشنجات

منوعات

«يوم ببيروت» يركز على الشباب في العمر الحرج فنعيش ضياعهم

نديم ثابت: صورت شباباً لا ينتظمون في الصف بل يعيشون تجاربهم بحزن ونوستالجيا

نديم ثابت

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

عندما سألت نديم ثابت من أين أتى إلى السينما؟ كان رده «من تقليد الحياة السينمائية التي بدأت أعيشها منذ عمر 13 سنة. شاهدت أفلاما لا تحصى لغودار، وبرغمان، وسبيلبرغ، ولوكاس وغيرهم. حتى أني كنت أحفظ تاريخ إنتاج كل الأفلام تقريباً وما نالته من جوائز وأنا في عمر 16 سنة، ومن هنا دخلني فيروس السينما. كنت أتمنى ان لا يصيبني، فالحياة أفضل بدونه».

حتى وإن لم يتخصص نديم ثابت في الإخراج السينمائي فشغفه هذا كفيل بدعمه لتقديم فيلم روائي «يوم ببيروت» يحاول من خلاله الإجابة على أسئلة تشغله. لكن المشاهد وبالنظرة المباشرة للشريط والسيناريو يرى شباباً في ضياع. فيما يرى ثابت أنه كان منشغلاً بتصوير الحالة الداخلية لهؤلاء الشباب، خاصة حزنهم العميق وكآبتهم. في رأيه هذا ما عايشه حين كان في عمر يمتد من 17 إلى 22 سنة، ولم يخترع حكاية.

مع نديم ثابت كان هذا الحوار:

○ **«يوم ببيروت» هو بداية حياتك في السينما شريط أخبرنا أننا نتجه نحو الهاوية مع جيل الشباب الذي شاهدناه. كم هذا صحيح؟**

● هل هذا ما رأيته في الفيلم؟

○ «ثم يتصرح في السؤال ويتابع».

لا أراه غامقاً إلى هذا الحد. الطموح والمستقبل في لبنان لا يظهر أمام الشباب بين عمر 17 و22 سنة. بالنسبة لي بات المستقبل واضحاً عندما سافرت إلى فرنسا. عدتنا في لبنان قبول الحياة كما هي. فهكذا نرى البالغين حولنا. في حين أن الشباب من 17 إلى 22 يعيشون يومياتهم ولا يرون الحياة طويلة. ربما من هذه الزاوية أنت محقة، فمن صورهم الفيلم لم يكن المستقبل ضمن لغتهم، بل يعيشون اللحظة. عندما نبلغ الثلاثينيات نقرر برنامجاً يومياً وننفذه. المراهق يقرر إنجاز مهمة ما، لكنه إن صادف صديقاً في طريقه، يمكن للأخير تبديل مساره. في السيناريو هناك من يتابع الطريق دون هدف. أن نقدم هذا الفيلم فهذا لا يعني أن لبنان في وضع يرثى له، ولست أنا من يقرر هذا الحال بالطبع. ما أعرفه فهذه مشاعرك. من جهتي أرى أن ما قدمته هو الحياة. أرغب في رؤية الأشخاص في حالات الإحباط والحزن. ففي هذه الحالات يصبح الأشخاص أكثر قرباً من قلوبنا. بعضهم كان ممتلئاً بالحب كما فؤاد الذي لم يمل كتابة رسائل الغرام. كما يحب السياسة والمظاهرات رغم «اكتئابه». مع تلك الحالات نعيش الـ«دبرسة» بكل قساوتها. فعندما يترك الحب شخصيات الفيلم، تبدأ الحياة بالنسبة لي.

○ **أظهرت الشباب الذين يحبون الموسيقى متلازمين مع التفلت من أي ضوابط ومنجذبين للمخدرات، أليست صورة سلبية عن الموسيقى والموسيقيين؟**

● ثمة حقيقة في السيناريو الذي كتبته. حين كنت في عمر 18 كان الزمن سنة 2000. ما أعرفه واقعاً عن جيلنا أنه كان يتجه إلى الحد الأقصى في سلوكه، وبتعبير لبنانيات مع شبان سوريين. ميشو ليس إرهابياً، يهرب السلاح بهدف تحرير سوريا من الديكتاتورية. ميشو ثائر.

○ **نشهد لك حسن اختيارك وإدارتك للممثلين من يمنى مروان إلى منال عيسى التي اتقنت صورة المراهقة. هل أتعبك الفريق الذي تعاملت معه؟**

● أحب أبطال فيلمي. وجه معبر يكفيني لتصوير فيلم وجه. لا أحتاج مطلقاً لطائرات هليكوبتر. فيلمي بسيط جداً، فأنا مغرم بالصور. لهذا يمكنني إنجاز الكثير من الأفلام بالحد الممكن من المال، لأني أعشق تصوير الناس، وأن أكون بقربهم وأشعر بأنفاسهم. عملنا بكثافة لمدة شهرين قبل التصوير.

○ **الحضور لمن هم فوق 18 عاما هل هذا ما أردته؟**

● بالعكس. لم يرق لي هذا. كنت أرغب لو يشاهد هذا الفيلم شباب في عمر 15. حزين نسبياً لكنني رغبت أن لا يتعرض الفيلم للمقص.

○ **ماذا عن جديدك مع أبوط برودكشن؟**

● نعمل على فيلمين جديدين أحدهما رعب، والثاني قصة حب بين غنية وفقير.

رأيي. المظاهرة لا تشغل الشباب بالمستوى عينه، فمنهم من يقصدها للقاء الأصدقاء.

○ **لماذا حضر «داعش» من ضمن الفيلم؟ هل للقول أن هؤلاء الشباب لا يعرفون وطنهم؟**

● نعم. هذا واقع جدي دون أن يتسبب لك في الحزن. جيد أنك شاهدت الفيلم فقد ساعدك في اكتشاف جديد عن وطنك. هذا النوع من التعاطي مع أمور الحياة أنظر إليه على أنه توثيق للحياة.

○ **ممارسة الجنس لأول مرة شغل مايا، وانتهت باكتشافه مع شاب سوري يهرّب السلاح. جيد أنك قدمت النازح السوري الأنيق بعيداً عن العنصرية والتنميط.**

● أعرف أن بعضهم سيسأل لماذا سوري؟ ميشو كاوبوي ويرتدي سترة جلد. النازح السوري ليس نمطياً، شاب «حلبوي ومسيطر». أحب الـ«فانتاسما» كثيراً. أعرف حكايات غرام لفتيات لبنانيات مع شبان سوريين. ميشو ليس إرهابياً، يهرب السلاح بهدف تحرير سوريا من الديكتاتورية. ميشو ثائر.

○ **نشهد لك حسن اختيارك وإدارتك للممثلين من يمنى مروان إلى منال عيسى التي اتقنت صورة المراهقة. هل أتعبك الفريق الذي تعاملت معه؟**

● أحب أبطال فيلمي. وجه معبر يكفيني لتصوير فيلم وجه. لا أحتاج مطلقاً لطائرات هليكوبتر. فيلمي بسيط جداً، فأنا مغرم بالصور. لهذا يمكنني إنجاز الكثير من الأفلام بالحد الممكن من المال، لأني أعشق تصوير الناس، وأن أكون بقربهم وأشعر بأنفاسهم. عملنا بكثافة لمدة شهرين قبل التصوير.

○ **الحضور لمن هم فوق 18 عاما هل هذا ما أردته؟**

● بالعكس. لم يرق لي هذا. كنت أرغب لو يشاهد هذا الفيلم شباب في عمر 15. حزين نسبياً لكنني رغبت أن لا يتعرض الفيلم للمقص.

○ **ماذا عن جديدك مع أبوط برودكشن؟**

● نعمل على فيلمين جديدين أحدهما رعب، والثاني قصة حب بين غنية وفقير.

الفيلم الهندي «بادمافاتي»: الحرب والشعر في سبيل الجمال

لقطة من الفيلم الهندي «بادمافاتي»

مروة متولي

من التاريخ السحيق إلى السرد الشفهي إلى الأدب المدون والشعر المكتوب، انتقلت حكاية الملكة بادمافاتي والسلطان علاء الدين خلجي عبر القرون حتى وصلت إلى السينما في أول معالجة لتلك الحكاية الواقعية التي تفوق الخيال. فالمدهش في فيلم «بادمافاتي» أن كل شخصياته حقيقية عاشت بالفعل ووجدت يوماً بكل تعقيداتها الدرامية وجموحها واختياراتها وأخطائها وأقدارها ومصائرها، ما يثير العجب من دراما الكون التي تغلب أكثر الحبكات الفنية تعقيداً ومن الواقع الذي يحتوي على كل هذا الخيال.

اعتمد الفيلم على الوقائع والأحداث التاريخية من خلال الالتزام بملامح الحقبة الزمنية بكافة تفاصيلها وعاداتها، لكنه اعتمد فنياً من بين روايات متعددة للحكاية على رواية الشاعر الهندي مالك محمد جياسي، في قصيدته الملحمية «بادمافاتي» التي كتبها في القرن السادس عشر متناولاً الحكاية الحقيقية التي وقعت أحداثها في القرن الرابع عشر برؤية فلسفية صوفية تمنحها أبعاداً لا متناهية من الجمال.

على غير المعتاد في السينما الهندية يظهر بطل الفيلم الممثل رانفير سينغ، الذي يجسد شخصية علاء الدين خلجي في اللحظات الأولى في مشهد أسطوري حيث يدخل على عمه السلطان جلال الدين خلجي وإلى جواره نعامة هائلة الحجم يمسك بقيدها هدية لابنة عمه التي يحصل في نفس اللحظة على موافقتها ويتزوج بها، ومن خلال هذا المشهد تظهر سمات شخصية علاء الدين المجرم المفتون بالجمال المهووس بالسلطة، الطموح المتلاعب المخادع الذي بإمكانه أن يحصل على كل ما يريد بشتى السبل.

وفي خطين متوازيين تسير الأحداث في الساعة الأولى من الفيلم، خط يتناول قصة علاء الدين وطموحه ونجاحاته وتحقيقه للنصر تلو الآخر بفضل خياناته المتكررة التي تمنحه المزيد من القوة والسلطة في كل مرة، إلى أن يقتل عمه السلطان جلال الدين بطعنة في الظهر بينما هو يحتضنه، ويستولي على تاجه الملكي الذي يصفه «تاج غدار دائما ما يغير الرؤوس» ويصير علاء الدين سلطان دلهي المفدى. ويتناول الخط الآخر حياة «بادمافاتي» التي تجسد شخصيتها الممثلة ديبيكا بادوكون وقصة حبها وزواجها من راتان سينغ ملك ميوار، ونراها في أول مشاهدها وهي تطارد غزالا تحاول صيده بسهامها، وتبدو وسط الغابة الخضراء أجمل من الطبيعة الساحرة ومن الغزال، ثم تطلق سهماً طائشاً يستقر في كتف الغزال الأيسر وكأنه سهم الحب الذي غرس في قلبه، وتقع هي أيضاً في غرامه ويصحبها إلى قصره في «تشيتور» وتصير ملكة يحبها الجميع ما عدا الكاهن الذي يغار من حكمتها التي تفوق حكمته، ويحاول أن يؤذيها بصلوات ما ويكتشف الملك خيانته ويبعده.

هذا الكاهن سيلعب الدور المحوري في التقاء الخطين وسيكون هو نقطة تقاطعهما، إذ يهيم بعيداً عزف بمزماره الحانه الغامضة الساحرة، فيسمعه علاء الدين المفتون بالجمال ويأمر بإحضاره، ويرى أنه يملك موهبة ثمينة في العزف وأنه يمكن أن يحصل على كل شيء عدا مثل هذه الموهبة، فهو يدرك أن الموهبة شيء لا يمكن الحصول عليه ويعرف أن هناك ما هو أثمن من الأشياء المادية، ثم يضمه إليه ويخبره بأنه سيكون فخر بلاطه الملكي، يخبره الكاهن عن «بادمافاتي» في مشهد سيمثل نقطة التحول في شخصية علاء الدين وأحداث الفيلم، حيث يقول له أنه لن يحقق أي شيء ولن يصل إلى أي شيء إن لم يحصل على «بادمافاتي» يصفها له ويخبره بأنها خيال وأنها جوهر الحياة ومعناها وأنها هي سر الخلود، وأنه إن حصل عليها ستكون الدنيا بأكملها والجنة أيضاً في يده.

يبث الكاهن الفكرة في روعه فيما يشبه التعويذة السحرية، كأنها فكرة روحانية سامية، كأنها المثل الأعلى والحقيقة المطلقة، فتصير «بادمافاتي» التي لم يرها ولن يراها إلا طيفاً يبحث عنه، ويستولي على تاجه الملكي الذي يصفه «تاج غدار دائما ما يغير الرؤوس» ويصير علاء الدين سلطان دلهي المفدى. ويتناول الخط الآخر حياة «بادمافاتي» التي تجسد شخصيتها الممثلة ديبيكا بادوكون وقصة حبها وزواجها من راتان سينغ ملك ميوار، ونراها في أول مشاهدها وهي تطارد غزالا تحاول صيده بسهامها، وتبدو وسط الغابة الخضراء أجمل من الطبيعة الساحرة ومن الغزال، ثم تطلق سهماً طائشاً يستقر في كتف الغزال الأيسر وكأنه سهم الحب الذي غرس في قلبه، وتقع هي أيضاً في غرامه ويصحبها إلى قصره في «تشيتور» وتصير ملكة يحبها الجميع ما عدا الكاهن الذي يغار من حكمتها التي تفوق حكمته، ويحاول أن يؤذيها بصلوات ما ويكتشف الملك خيانته ويبعده.

هذا الكاهن سيلعب الدور المحوري في التقاء النار في أغلب المشاهد.

كل شخصيات الفيلم حقيقية بقدر ما تبدو خيالية في أجواء غرائبية بامتياز، ومن هذه الشخصيات شخصية مالك كافور، العبد الوسيم القوي المطيع لسيده علاء الدين والذي حظي بثقته حتى صار نائباً له في الواقع، وجسد شخصيته الممثل والمخرج المسرحي جيم صرب، وأظهر موهبة فذة بأداء جديد مختلف عبر عن هذا العبد الذي يهيم حباً في سيده ويحزنه علمه بحقيقة أنه على الرغم من قربه من سيده وأنه سره الأمين لا يمكن أن يصل إلى مكانة «بادمافاتي» في نفسه وروحه وفكره. وكذلك شخصية راتان سينغ، التي جسدها ببراعة الممثل شاهد كابور ونجح في التعبير عن طبيعة هذه الشخصية التراجيدية بأخطائها المتمثلة في التمسك بالمبادئ التي تجلب له الهزائم بالإضافة إلى سخرية الخصم الخائن الغادر.

ومن الشخصيات المهمة التي لم يتسع لها الفيلم شخصية أمير خسرو، المؤرخ الذي له مصنف عن علاء الدين خلجي بعنوان «خزائن الفتوح» أو «تاريخ علائي» والشاعر الملقب بسيد الشعر، إذ يظهر سريعاً في مشهدين الأول لعلاء الدين وهو يمزق سجلات التاريخ التي لا تحتوي على اسمه ويلقي بها إلى النار لأنه يريد ألا يذكر التاريخ أحداً سواه، ويخبر أمير خسرو أنه مزق بعض مدوناته فيقف خسرو ساكتاً لا يبدي أي اعتراض، والمشهد الآخر يجلس فيه علاء الدين يلقي أبياتاً شعرية ركيكة من نظمه فلا تعجب ابن عمه (الذي يحاول قتله لكن علاء الدين سيقضي عليه) فيخبره أن ها هو أمير خسرو لا يعترض على شعري بل يثني عليه.

أما شخصية علاء الدين فهي درامية من الطراز الرفيع، تقمصها الممثل رانفير سينغ، بجنون وبدا غارقاً في أغوارها العميقة بحيث اختفت ملامح رانفير تماماً ولم يبقى سوى علاء الدين، تلك الشخصية الطاغية الجبارة، أو الإسكندر الثاني كما كان يلقب لأنه كان معجباً بالإسكندر الأعظم ويطمح في أن يكون له مثل توسعاته وانتصاراته، ولم ينقصه الطموح والشغف والجنون بالسلطة والحلم بالتوسع وملك الدنيا والجنة والخلود، يقدم رانفير سينغ، أداء مذهلاً يتفجر طاقة وحيوية منذ أول مشاهد الفيلم حتى مشهد النهاية، وبرع رانفير في تقنيات الرقص التعبيري واستخدام جسده في إظهار غرائز علاء الدين الوحشية وجنون السلطة وشهوة الملك لديه، حينما أخذ يرقص بعنف وكأنه أسد مفترس يستطيع افتراس العالم بأكمله.

لحظة انتصار علاء الدين حين دك حصون تشيتور وقتل ملكها ومشى على جثث جنودها كانت هي لحظة هزيمته وخسارته الكبرى، فلم يحصل على «بادمافاتي» التي أحرقت نفسها للحفاظ على شرفها قبل أن يصل إليها أو حتى يراها، خسر حلمه وذلك الطيف البعيد الذي لم يره إلا لبضع ثوان، لم ير «بادمافاتي» الهادئة النفس التي تمثل الجمال المطلق والقيم العليا والشرف الأسمى، الفكرة التي تلهم نفسه وتستثير عقله وتستحث خياله، فقد مُلك الدنيا والجنة والخلود، فقد ذلك الطيف وذلك الخيال الذي يكون أحياناً أهم وأثمن من كل ما تمسك به اليد. وفي مشهد النهاية المهيب ومع حركة الكاميرا التي تلاحق ركض علاء الدين بسرعة مجنونة رغبة منه في أن يرى حلمه، أن يمسك به قبل أن يحترق، يركض ملهوفاً بجروحه النازفة متعباً بعد جهد شهور وحروب وتضحية بحياة آلاف الجنود، وكل الخراب والدمار وبحور الدم وأكوام الجثث والأشلاء والحرائق والرعب والجوع والحصار، وكل ما صنعه من أجل حلمه الذي ظل يطارده حتى النهاية ولم يجن سوى الحسرة ولم يحصل إلا على الهباء، وإن انتصر في الحرب واحتفظ بحياته وقتل الجميع وامتلك الأرض والقلاع الحصينة، لكنه لم يحصل على الجوهر وفقد المعنى إلى الأبد.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
1st Floor Landmark House. Hammersmith Bridge Road. London. W6 9EJ England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 143 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 1st Floor Landmark House. Hammersmith Bridge Road. London. W6 9EJ England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly
السنة التاسعة والعشرون العدد 9155 الأحد 15 نيسان (ابريل) 2018 – 29 رجب 1439 هـ
Volume 29 - Issue 9155 Sunday 15 April 2018

لماذا يغلب الشجن والحزن على الألحان والأنغام الصادرة عن الذات العربية؟

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبدالله مولود

جاذبية الموسيقى وأثرها على النفس والتناقض الكبير في المراوحة بين تأثيرها المفرح والحزين، موضوعات ظلت مطروحة على مر العصور منذ أبقراط وأرسطو والفارابي، وقد ظلت الرنات العذبة التي ابتكرها مبدعو الموسيقى بلسما يروي الأرواح وتطرب له النفوس وتبتهج به القلوب. وعلى مر الزمن ظلت الموسيقى تسنيما خارج الزمان والمكان، يهفو له كل فؤاد جريح وتنجذب لسحره كل روح ظمأى وكل نفس كليمة. وإذا كانت الموسيقى تستخرج خبء الحزن الكامن في الذات البشرية فإن لها استخداماتها الأخرى في علاج الأمراض العصبية وتهدئة النفوس المنكوبة التي طحنها ألم الحياة ودهستها الأقدار والحظوظ السيئة في معركة الحياة.

تقول كونسيتا تاماينو الناقدة الموسيقية والطبيبة المتخصصة في العلاج بالموسيقى «إن بنية الموسيقى ومحتواها الشعوري ومخزونها العاطفي المتدفق يساعد مرضى التوتر والتعصب، على النفاذ إلى هذه الوظائف مجددا وجعلها تنبعث وتتوهج بعد انطفائها».

ويعد العالم والفيلسوف المسلم الفارابي الذي اشتهر أيضا بالطب أحد أكبر المنظرين عن العلاج بالموسيقى، ويشتهر بنظرية «الفيض» ونظرية «معاني الفكر» اللتين يناقش فيهما الآثار العلاجية للموسيقى وتأثيرها المبهر على الروح.

ومن المعروف أن أبقراط، أب الطب اليوناني، كان يعزف الموسيقى لمرضاه المصابين بعلل نفسية ويستعين بها لعلاجهم، كما كان الفيلسوف أرسطو يصف الموسيقى بأنها «القوة السحرية التي تطهر العواطف والمشاعر».

لكن الغريب، حسب باحثين متتبعين للموسيقى وتأثيرها، هو ما يلف الطرب العربي عموما من ألم وحزن عميق، والغريب أيضا هو تفاعل الإنسان العربي مع الموسيقى في كثير من مقاماتها، بكثير من الآهات الحزينة والتأوهات العميقة الدالة على التألم أكثر من دلالتها على الطرب والنشوة.

في معالجة تحت عنوان «طربنا الأليم» يقول شاعر موريتانيا والباحث آدي آدبه «للفن الموسيقي مقامات، تتناسب مع الأمزجة النفسية، والأحوال الروحية؛ قبضا وبسطا، فرحا وترحا، أملا وألما، طربا وحزنا، لكننا، نحن العرب، يغلب على موسيقانا الشجن، والحزن، أداء، وتلقيا، فالأصوات، والألحان، والأنغام، الصادرة من الذات العربية عموما، تنبعث من جب الروح العميق، ذات حمولة كبيرة من الألم، فتأتي كما لو كانت عويلا، ونحيبا، وتستقبلها الذائقة الفنية لدى المتلقين منا بما يطابق تلك الرسالة الفنية، من تأوهات، وصراخات، ودموع، ونشيج».

وتشهد لذلك عندنا، نحن الموريتانيين، يضيف الشاعر الباحث آدبه، لغة التعبير عن ردات الفعل على إجادة المغنى، في «رداته» الغنائية، والموسيقية، و «طربه» المزعوم، في نظرنا، حيث نمطره بأنين مكتوم، وآهات، أو بصرخات الألم الدفين، والوجع الكظيم، بحيث تغلب «الهحات: هح.. هح...» – التي يسميها الشاعر العربي القديم: ذو الرمة غيلان مية بـ «الوحاوح» الدالة على الشكوى والتوجع– صوت «الآحات: آح.. آح...» الدالة على الطرب والتمتع».

وأضاف «حتى لو حاولنا أن نشوش على دلالة الألم الضاجة ملء هذه التعابير، ونخون في ترجمتها، هاتفين، بين الفينة والأخرى، بأن هذا الغناء/ البكاء (زين... زين) وحتى لو أقسمنا على ذلك جهد أيماننا، كما نفعل دائما، فإن لغة الجسد غالبا، تخذل التعبير عن الطرب أداء وتلقيا، حيث يتبادل كل من جسم المغني/ المطرب= المرسل، وجسم المتمتع/ المتوجع= المرسل إليه، إلى موجات من التشنج العصبي، عبر تفاعلهما الخلاق؛ فكلاهما يتمعر وجهه متقبضا، ويتلون غير منشرح، ويتلوى جسده موحيا بالتوجع أكثر من التمتع».

وظاهرة الطرب الأليم عامة وليست خاصة كما يرى الباحث، فبعض الأغاني العربية، حسب تحليله، يقع من يؤدونها فيما يشبه انفصام الشخصية، حيث يحاولون إقحام الابتسام على جو أغنية حزينة الكلمات، شجية اللحن، وهذا لا يقل نشازا عن إقحام تجهم الوجه، وشجن الغناء، على أغنية طربية الكلمات واللحن. وحتى الرقص، الذي قلت ذات سياق آخر، إن الجسد لا يبتدعه لغة تعبيرا إلا «حين يداهم إحساس الراقص من الانفعال بالنغم ما لا تحتمله أصوات جهازه اللغوي، فتنطق كل ذرة من كيانه بلغة الجسد الأفصح في هذا المقام» حتى هذا الرقص يبدو لدينا أقرب إلى «رقصة الذبيح» الأليمة، منه إلى التعبير عن بلوغ حالة «النيرفانا» الطربية المشرقة الباذخة البهيجة السعيدة.

ويتابع الشاعر آدبه تشخيصه لآلام الطرب «أقول، أن الإنسان عموما رافقه شعور الغربة والفقد الذي ورثه من أبويه: آدم وحواء؛ منذ أن هبطا من نعيم الجنة، إلى مكابدة العيش على الأرض، ومعاناة قلق الوجود، والمصير، ولعل نصيب العرب، من ميراث الفقد هذا كان أكبر من غيرهم، فهم من قديم يشعرون، تاريخيا، بفقد الزمن الجميل؛ زمن المجد والتفوق الحضاري، وهم، جغرافيا، يشعرون بضياع الفردوس المفقود، وتسكنهم، حديثا، نكبة النكبة، أما اليوم، فكل أوطانهم أطلس كبير لخرائط الوجع».

ويصل في آخر المعالجة لنوع من التفويض فيقول «على كل حال قد يكون هذا الانفصام في الإحساس والتعبير حالة طبيعية، حين يتنازعك، الجمال العجيب، والخطر الرهيب، في الوقت نفسه، فيتصارع في كينونتك الألق والقلق، والطرب والرهب، فيلتبس التعبير بالتباس الإحساس بين نشيج الغناء، وشدو البكاء».

باريس تستبدل أكشاكها القديمة بأخرى عصرية وسط معارضة المدافعين عن التراث

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

في خطوة تهدف إلى مواكبة العصر من جهة، وجذب عدد أكبر من الزبائن من جهة أخرى، باشرت بلدية باريس هذا الأسبوع تركيب أكشاك جديدة أكثر عصرية، لتحل تدريجيا محل القديمة ذات اللون الأخضر وقبتها الصغيرة، التي أضحت لأزيد من قرن ونصف ديكورا من ديكورات أحياء العاصمة الفرنسية القديمة، وهو ما أثار حفيظة المدافعين عن التراث، معتبرين أن الأكشاك القديمة تمثل جزءا من سحر باريس ولا يجب المساس بها.

فبعد نحو ثلاث سنوات على إطلاق عمدة باريس آن إيدالغو هذا المشروع الرامي إلى جعل أكشاك باريس أكثر حداثة والذي تبلغ تكلفته الإجمالية 52.4 مليون يورو، ستقوم باريس يوم 18 أبريل/نيسان الجاري بتدشين أول كشك من الجيل الجديد رسميا، على أن يصل عددها إلى 360 كشكا بحلول نهاية عام 2019، بوتيرة 20 إلى 25 كشكا كل شهر. حيث ستتزين حوالي 60 في المئة منها باللون الأخضر الباريسي مثل لون الأكشاك القديمة، بينما ستأخذ 40 في المئة المتبقية اللون الرمادي، وستتوزع في أماكن مختلفة بدوائر باريس العشرين. وبناء على طلب عمدة باريس، سيتم الاحتفاظ بـ 49 من الأكشاك القديمة لمشاريع تعاونية وثقافية أو غير ذلك.

وتعد الأكشاك الجديدة أكثر اتساعا من القديمة من حيث المساحة ومراعاة للبيئة ولظروف عمل البائعين فيها خاصة في فصل الشتاء، إذ أنها ستحظى بالتدفئة بعد أن غابت عنها القبة على السطح التي تميزت بها الأكشاك القديمة التاريخية. والجديد أيضا أنه سيكون بإمكان الزبائن الدخول والبقاء داخل الأكشاك الجديدة وقتاً أكثر وتصفح عدد أكبر من الجرائد والمجلات بتأن، وهو ما يجد البعض من أصحاب الأكشاك أنه قد يؤدي إلى زيادة في مبيعات الصحف والمجلات. وأيضا ستضاف التذاكر للعروض والحفلات والهدايا التذكارية والمشروبات... إلخ، وذلك لتعويض الخسائر التي ألمت بأصحاب الأكشاك خلال السنوات الأخيرة جراء الانتشار الكبير للصحافة الإلكترونية.

واعتبرت عمدة باريس أن الأكشاك الجديدة من شأنها أن تسمح لأصحابها بتحسين وضعيتهم وممارسة عملهم في ظروف أفضل، مشددة في الوقت نفسه على أن الأكشاك «تبقى مرجعية تراثية في تاريخ باريس، ولكنها يجب أن تكون مواكبة للعصر».

غير أن هذه الخطوة تلقى معارضة كبيرة من المدافعين عن التراث، حيث وقع حتى الآن نحو 58 ألف شخص عريضة من أجل الحفاظ على ما اعتبروه جزءا من «روح باريس القديمة» متمثلة في التصميم الذي وضعه المهندس المعماري غابرييل دافيود عام 1857 مع الحافة الحديدية والقبة الصغيرة على السطح، التي ترمز إلى هوية باريس.